ISSN: 2581-3455

العدد الخامس- المجلد الثالث

يوليو - ديسمبر 2019

الجيل الجديد

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مركز الدراسات العربية والإفريقية، مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

ISSN: 2581-3455
NO.5-2019

الجيل الجديد

(مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية)

مركز الدراسات العربية والإفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند
العدد الخامس - المجلد الثالث، يوليو- ديسمبر 2019

أنا البَحرُ في أحشَائِه الدُرُّ كَامِنٌ
فهل سَأَلُوا الغَوّاصَ عَن صَدَفَاتِي؟

(حافظ إبراهيم)

الجيل الجديد

(مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية)

رئيس التحرير

أ. د. رضوان الرحمن

الهيئة الإدارية:

- أ. د. مجيب الرحمن
- أ. د. خلدون صبح
- د. عبيد الرحمن
- د. خورشيد إمام

مراسلات التحرير

Prof. Rizwanur Rahman
Editor in Chief,
Centre of Arabic & African Studies
SLL& CS, JNU, New Delhi- 110067
Tel: 011-26704644
Email: aljeelaljadeed2017jnu@gmail.com
Website: **www.aljeelaljadeed.in**

يصدرها

أ. د. رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند-110067

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ. د. خالد بن إبراهيم النملة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض)
- أ. د. أحمد علي إبراهيم (جامعة الفلوجة، العراق)
- د. نورة علي خليل (جامعة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي)
- د. طارق أحمد البكري (وكالة الأنباء الكويتية، الكويت)
- أ. د. أشفاق أحمد (جامعة بنارس الهندوسية، فاراناسي، الهند)
- أ. د. مظفر عالم (جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية ، الهند)
- أ. د. عبد الماجد القاضي (الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند)
- أ. د. مشير حسين صديقي (جامعة لكناؤ، أترابراديش، الهند)
- أ. د. مسعود عالم الفلاحي (جامعة خواجة معين الدين الجشتي، لكناؤ، الهند)
- د. سيد حسنين أختر (جامعة دلهي، نيو دلهي، الهند)
- د. أختر عالم (جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند)
- د. سعيد الرحمن (الجامعة العالية، كولكاتا، الهند)
- محمد محبوب عالم (جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند)

الأفكار المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة بأي شكل من الأشكال. يتحمل الكاتب جميع الحقوق الملكية الفكرية المترتبة للغير.
لا يخضع ترتيب البحوث في المجلة لأهمية البحث ولا لمكانة الباحث.

شروط النشر في المجلة:

- أن يتحرى الباحث في عمله الجدة والعمق والقصد، والالتزام بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة أكاديميا.
- أن يُرفق مع البحث ملخص لا يزيد على 160 كلمة، وأن يترجم الملخص إلى اللغة الإنجليزية، ترجمة معتمدة.
- أن يُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تزيد على 6 كلمات ترتب هجائيا.
- أن يكون المقال مطبوعا ببرنامج (Word)، ونوع الخط (AL-Mohanad وحجم الخط 14 في كتابة المتن، بمسافة 1.0 بين سطور المتن، وحجم 16 في العناوين الرئيسة و14 للعناوين الفرعية للمتن ، و11 للحواشي. وفي اللغة الأجنبية، نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط 12 في المتن، وفي الهوامش نفس الخط مع حجم 10.
- أن لا يتجاوز عدد الكلمات 5000، بما فيها ملخص البحث بالعربية والإنجليزية، والمصادر والمراجع، وأن لا تتجاوز الأخطاء الإملائية 9.
- أن تُوضع لكل صفحة أرقام هوامشها الخاصة بها في الأسفل.
- ترفق قائمة مفصلة بالمصادر والمراجع وفق طريقة MLA، نهاية البحث مرتبة هجائيا.
- يُرجى في تدوين الهوامش في البحث مراعاة الخطوات التالية:
- عند ذكر المرجع للمرة الأولى:
- **الكتب**: الاسم الأخير للمؤلف، والاسم الأول للمؤلف. **عنوان الكتاب بخط غليظ وخط سفلي**، الطبعة/ المجلد إن وجد. مكان النشر: الناشر، سنة النشر، ص: .
  على سبيل المثال: الندوي، واضح رشيد الحسني. **أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**. لكناؤ: دار الرشيد، 2009م، ص: 25.
- **المقالات:** اسم المؤلف، عنوان المقال "بين فاصلتين مزدوجتين"، اسم المجلة بخط غليظ، السنة، العدد، الصفحة.
- عند تكرار المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، ج، ص: .
- عند تكرار المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ أو المقال، ج، ص: .
- تُخرج الآيات في متن الحديث، وليس في الهوامش، ويكون التخريج كالآتي: (التوبة: 1) .

المحتويات

البحث	الكاتب	الصفحة
كلمة التحرير	أ. د. رضوان الرحمن	7
الدراسات الإسلامية والفكرية		
سؤال القيم في القنوات الموجهة للأطفال دراسة مقارنة بين الماضي والحاضر	خولة خمري	9
الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية		
أسس تعليمية النحو العربي في ظل المقاربة التواصلية الأساس المقامي أنموذجا	د. مسلم خيرة	27
بكاء الأهل في الشعر المغاربي القديم: دراسة موضوعية	د. محمد بوعلاوي	42
دراسة في المؤلفات الأدبية لواضح رشيد الندوي	محمد محبوب عالم	56
كتاب "الاتجاه شرقا": رسالة التسامح والتعايش السلمي للعالم: دراسة استعراضية	د. سعيد الرحمن	86
المسحة الإنسانية في شعر كليم عاجز	محمد معراج عالم	98
وضع المرأة الهندية في رحلة نوال السعداوي	د. زر نكار	117
المسرح المدرسي بين الغاية الإدماجية واكتساب المهارات اللغوية	د. دنيا باقل	129
حقوق الطفل في أدبه قراءة في رواية "منير.. الأبيض لا يليق بكم"	د. طارق البكري	148
ملامح الشعر القصصي للأطفال وأهميته كنوع أدبي	د. سهيل بلاونتي كيزل عمر	176
الدكتور طارق البكري وجهوده في مجال أدب الأطفال	هدى كاظمي	196
الإبداعات الأدبية		
موت ظل	جمال الدين بن خليفة	218
حين أمارس الإقصاء	ليندة كامل	220
الملاذ الأخير	د. محمد علي أختر	223
سائق الركشة	د. ولاء جمال العسيلي	228
حكاية ملف	د. محمد قطب الدين	234
لقاءات		
حوار مع بسمة الخاطري حول إبداعاتها للأطفال	محمد شمشاد عالم القاسمي	242
حوار مع الناقدة د. نادية هناوي	محمد عمران	249

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها القراء الأعزاء!

أضع بين أيديكم العدد الخامس من مجلتكم "الجيل الجديد"، هي مجلة علمية وأكاديمية محكمة. يضم العدد بين دفتيه عددًا من الأبحاث والدراسات التي قام بها الباحثون والخبراء والأساتذة الكبار من الهند والدول العربية.

تحدثت الدراسة الأولى عن سؤال القيم في القنوات الموجهة للأطفال ودور الأسرة خاصة الأم في حماية طفلها من مخاطر العولمة الفكرية، وتناولت الدراسة الثانية أسس تعليمية النحو العربي في ظل المقاربة التواصلية الأساس المقامي أنموذجا. وناقشت الدراسة الثالثة موضوع بكاء الأهل في الشعر المغاربي القديم، إضافة إلى دراسة تناولت بالبحث والتحليل المؤَّلفاتِ الأدبية للكاتب البارع الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي، ودراسة تقصت أهمية كتاب "الاتجاه شرقًا" لعبد الله ناصر سلطان العامري من حيث التعايش السلمي والتسامح بين أتباع الديانات والثقافات والتسابق في عمل الخير وصنع السلام.

كما يزخر العدد بمجموعة من الدراسات القيمة في مجال أدب الأطفال فعالجت دراسة أهمية المسرح المدرسي ومساهمته في تثقيف المتعلم وإثراء معلوماته وتنمية شخصيته، وتوسيع مداركه، واستنتجت دراسة أخرى أهمية حقوق الطفل في العناية الصحية والرعاية النفسية بغض النظر عن اللون والجنس والدين والعرق. كما تناولت دراسة الشعرَ القصصي للأطفال من ناحية البنية والمحتوى، إضافة إلى دراسة سلَّطت ضوءًا كاشفًا على ما يبذله الكاتب المبدع الدكتور طارق البكري من جهود مشكورة في خدمة الأدب الموجه للأطفال.

حرصت في هذا العدد أيضًا على الحفاظ على الأبواب الثابتة للمجلة، ففي الشعر يتضمن العدد قصيدة "موت ظل"، ويضمّ أيضًا قصة قصيرة "حين أمارس الإقصاء"، وقصتين مترجمتين من اللغة الأردية "الملاذ الأخير" و"سائق الركشة"، وقصة مترجمة من اللغة الهندية "حكاية ملف".

ويحتوي العدد على حوارَين نافعين مع بسمة الخاطري حول إبداعاتها للأطفال، ومع الكاتبة والناقدة والأكاديمية العراقية الدكتورة نادية هناوي حول مسيرتها النقدية. مع هذا التنوع، آمل أن يجد قراء المجلة ما يجمع بين المتعة والإفادة. وأجدِّد الدعوة إلى الأكاديميين والباحثين والمهتمين بالدراسات العربية للمشاركة في الأعداد القادمة ببحوثهم الفكرية واللغوية والأدبية.

وأخيرًا لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى جميع المشاركين في هذا العدد، واللجنة العلمية الموقرة للمجلة وهيئة التحرير بها، وكل من ساهم بجهد متميز في مراجعة العدد وإخراجه إلى عالم النشر. وأرجو أن يكون العدد في مستوى طموح القراء ونافعًا للمهتمين بالدراسات العربية.

أ. د. رضوان الرحمن

رئيس التحرير

سؤال القيم في القنوات الموجهة للأطفال
دراسة مقارنة بين الماضي والحاضر

خولة خمري*
Email: khaoula.khamri@hotmail.com

ملخص البحث:

يشهد العالم اليوم تفاعلات ثقافية رهيبة وهو ما يضع الأسرة خاصة الأم العربية أمام تحديات كثيرة نتيجة للانتشار الكبير لمد العولمة المروج لها عبر الإعلام والتي اكتسحت العالم برمته وأصبح لها الدور الفاعل بشقيه الإيجابي والسلبي في تفعيل حركة التعليم وبث الأفكار، وبالتالي تزيد أكثر أسئلة الأمن الفكري عن طبيعة تلك الموجهات الفكرية والقيم التي تود ترسيخها في ذهن الطفل ومدى توافقها مع هويتنا العربية الإسلامية وأثر ذلك على هوية الطفل.

أمام هذا العبث العالمي وتفشي الخطابات الإعلامية المروجة للفكر الاستشراقي لكن في ثوب جديد مغري كفكرة السوبرمان مثلا والفتاة باربي والقيم التي تحاول الترويج لها هذه الرسوم المتحركة وعالم الدجتال عموما من إظهار معين لصورة الرجل المسلم في صورة المتخلف والغبي الغير مواكب لتطورات العصر، تطرح العديد من التساؤلات عن كيفية حماية أطفالنا خاصة نفسيا من ظاهرة مثلا التوحد في ظل النزاعات التي يشهدها وطننا العربي، فضلا عن ما الأدوات الفاعلة التي يمكن من خلالها توفير شروط الأمن الفكري لأطفالنا؟ وما الدور الذي تؤديه الأم في ذلك؟ ومدى أهليتها وتكوينها الفكري للوعي بمخاطر الأفكار المبثوثة بالإعلام؟.

هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها متبعين آليتي التفكيك والتحليل كنوع من المقاربات السسيوثقافية، قصد سبر أغوار دور الأسرة خاصة الأم في حماية طفلها من مخاطر العولمة الفكرية كما سنعمل على تبيان الأبعاد والآليات التي تنتهجها تلك

* باحثة أكاديمية في تخصص تحليل الخطاب ومناهج النقد، مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب بماليزيا، (الباحث المشترك هو الدكتور محمد بوعلاوي، المركز الجامعي، آفلو، الجزائر).

المنابر الإعلامية في غرس تلك الأفكار المسمومة مبينين السبل الكفيلة لتوفير شروط الأمن الفكري ودور الأم في ذلك.

كلمات مفتاحية: الأمن الفكري، العولمة، دور الأسرة، سؤال القيم.

Abstract:

The world is witnessing terrible cultural interactions today, which make family, especially Arab mother face many challenges as a result of the wide spread of globalization through the media, and which have swept the entire world . What are the effective tools through which the conditions of intellectual security for our children can be provided? And what role does the mother play in this?

We will try to answer these and other questions by following the mechanisms of dissociation and analysis as a kind of socio-cultural approaches, in order to explore the roles of the family, especially the mother, in protecting her child from dangers of intellectual globalization. We will also try to clarify the dimensions and mechanisms used by these media platforms to inculcate those poisonous ideas, indicating ways to provide conditions for mental security and role of the mother in that.

مقدمة:

يُعتبر عصرنا اليوم عصر الإعلام وتعدد الوسائط الاتصالية بامتياز، فقد أصبحنا نعيش داخل قرية كونية صغيرة وسط انفتاح رهيب على جميع المستويات سواء الثقافية منها أو الاقتصادية أو السياسية أو غيرها من المجالات، ووسط هذا المزيج الكوني فقد زَاد ذلك من صراع المركزيات العالمية المتهافتة على إحكام السيطرة على العالم خاصة ثقافيا تجسيدًا لمزاعم الإمبراطورية العالمية، وبالتالي تحقيق الفاعلية الحضارية على مستوى العالم من خلال التحكم في آليات الموجهات الثقافية للوسائل الإعلامية بداية من الثقافة الموجهة للأطفال من خلال تلك الرسوم المتحركة، كل هذا تحقيقاً لمصالح معينة تود تجسيدها هذه القوى العالمية على أرض الواقع ذات الأبعاد الاستشراقية.

وهو ما وضع الأسر وخاصة الأم أمام تحديات رهيبة لتوفير شروط الأمن الفكري لطفلها فقديمًا في العصر الجاهلي مثلاً كانت المركزيات أو العصبيات القبلية تستعمل الشعراء كمنابر ثقافية تعكس أيديولوجيا ما إعلاءً لجهات معينة على حساب جهات أخرى، أما اليوم مع كل هذا التقدم التكنولوجي فقد أصبحت القنوات الفضائية

ومختلف وسائل الاتصال هي الأداة الاستعمارية الأكثر فتكًا، فمع دخول الاستعمار مراحل جديدة شجع ذلك على استغلال هذه الوسائل بشكل كبير لتبرز الخطابات الاستشراقية إلى العلن، وهو ما نلاحظه في الوسائل الإعلامية من خلال القنوات الخاصة بالأطفال لعل أبرزها اللعب على وتر هوية الطفل وتكوين معتقداته، إلى جانب التضليل الإعلامي وتزييف الحقائق حتى الدينية منها، فضلاً عن تلميع صور بعض الشخصيات أو التوجهات الأيديولوجية في مقابل تشويه أخرى تحقيقًا لمصالح تديرها أيادٍ خفية تعمل على تهديم مقومات الهوية العربية الإسلامية وهذا زيادة لإحكام السيطرة على العقل العربي منذ الصغر من خلال تلك الرسوم المتحركة.

من خلال ما سبق سنحاولُ أن نرُوم في هذا المقال إماطة اللثام عن المركزية الغربية باعتبارها نوعًا من الأنواع المقنعة للسيطرة على عقول أطفالنا، في محاولة منا لمخاتلة تلك الأبعاد الإمبريالية، وكشف كيفية توظيفها للرسوم المتحركة من خلال اللعب على وتر وسائل الإعلام، لتعود الخطابات الاستشراقية من جديد بطريقة القوة الناعمة إعلاءً للثقافة الغربية ونسف قيم وهويات المجتمعات الأخرى في مقابل تهميش أو إقصاء الثقافة الإسلامية كثقافة عالمية لها دورها الفاعل في توجيه فكر الطفل، فقد أصبحت بسبب تلك الثقافة في حالة من الانفراط الكبير كنتيجة حتمية لتغلغل الاستشراق الإعلامي بسمومه الفكرية عابثا بمقومات الهوية العربية الإسلامية وعدم مقدرة الأم على استيعاب تلك الأفكار، وبالتالي نفثت تلك السموم القاتلة في نسيج فكر أطفالنا تحت غطاء التثاقف وحوار الحضارات والمعرفة الكونية، هذا كُله سنحاول من خلال تفكيكنا أنطولُوجيًا له، في إطار جدلية لطالما شغلت العديد من المفكرين العرب وهي: جدلية الشرق والغرب.

نحو فهم ملابسات الاستشراق الإعلامي الجديد:

إن الحديث عن الاستشراق الإعلامي الجديد هو حديث عن قديم عائد في ثوب جديد بوسائل مختلفة ومتنوعة تعكس التقدم التكنولوجي الهائل الذي وصلت له البشرية في عصرنا هذا عصر السرعة وتعدد وسائط الاتصال لتترجم هذه الحركة الاستعمارية الجديدة مقولة تحول العالم إلى قرية كونية ثقافية صغيرة، وهو ما زاد من حدة التأثير الكبير الذي تمارسه الوسائل الإعلامية المختلفة على أذهان أطفالنا

ووضع الأم أمام تحديات جمة لتوفير سبل الأمن الفكري لطفلها، فالاستشراق الإعلامي الجديد يعمل على صياغة قوانين معينة رنانة لإنتاج المعرفة وغرسًا لنوعية خاصة من الثقافة في أذهان أطفالنا من خلال قوة ناعمة تعكس الأبعاد الإمبريالية التسلطية للمركزية الغربية وفق أجندة خارجية تمليها أطرافًا لطالما تحكمت في دواليب سيرورة الحركة الإعلامية بوطننا العربي وهو ما وضع الأسرة والأم بشكل خاص أمام تحديات كبيرة من أجل توفير شروط الأمن الفكري لطفلها الذي يتلقى يوميا ملايين الرسائل الثقافية التي لا تمت بأي صلة لهويتها ودينا من خلال هذه الوسائل الإعلامية التدميرية للذهن البشري.

ولعل خطابات القوة الناعمة أخطر من ذلك بكثير وذلك من خلال بعدها الاستشراقي الاستعماري الجديد حيث تنطلق من أمور عديدة أبرزها تحريك العقل البشري الرأي العام من خلال الخطاب الإعلامي وزيادة تأثيره على توجهات الجماهير فهي -القوة الناعمة- كما قال عنها الباحث رفيق عبد السلام تتلخص في "القدرة على الاحتواء الخفي والجذب اللين، بحيث يرغب الآخرون في فعل ما ترغب فيه القوة المهيمنة من دون اللجوء إلى استخدام القوة، أو بما يغني عن استخدام سياسة العصا والجزرة أصلا على ما يقول الباحث الأمريكي. وإذا ما كانت القوة الصلبة تتبع أساسا من القدرات العسكرية والاقتصادية، فإن القوة الناعمة تتأتى من جاذبية النموذج وما يمتلكه من قدرة التأثير والإغراء لدى النخب والجمهور على السواء. فحينما تبدو السياسة الأمريكية مقبولة ومشروعة في أعين الآخرين على ما يقول جوزيف ناي، يتعاظم دور القوة الناعمة أكثر، وبموازاة ذلك تتراجع الحاجة إلى استخدام القوة العارية، وعلى العكس من ذلك كلما تضخم استخدام القوة الإكراهية وضعفت شرعية مثل هذا الاستخدام، يتضاءل معهما النفوذ الثقافي والسياسي والتجاري وكل ما يدخل ضمن دائرة القوة الناعمة"[1].

[1] عبد السلام، رفيق، **الولايات المتحدة بين القوة الصلبة والقوة الناعمة**، (بيروت: مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، ط4، 2015م)، ص:11.

إذن أمام تجليات هذا الخطاب الذي كشف الأساليب الأيديولوجية الجديدة في السيطرة على الشعوب تدريجيا انطلاقًا من داخل بيوتنا بداية بتغيير صياغة عقول أطفالنا ونسف قيمهم الأخلاقية وحتى معتقداتهم الدينية وهم في أول أيام تشكلهم الثقافي فتعمل هذه الخطابات الاستعمارية على تغيير الذهنيات نحو اللهث وراء ذلك النموذج المزيف الذي تم تجميل صورته من الصغر في أذهان الأطفال، فلا يخفى على ذي النظر الحصيف ما لهذه الأدوات من خطورة على منظومة القيم الثقافية للأسرة والتي تحملها تلك الأدوات كخطاب استعماري جديد له تداعياته الخطيرة في تحويل الخطابات نحو وجهات معينة، فهي تعكس أبشع ما وصل إليه الإنسان من أساليب جديدة في الاستعمار، فقد حق لنا أمام هذه اللحظات التاريخية التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية خاصة في ظل ما سمي بالربيع العربي المطالبة بالفعل لا القول الغوغائي الذي اعتدنا عليه في تلك الخطب السياسية الرنانة التي لم تزدنا إلا تراجعًا وخيبات تجاه التحولات الذهنية التي تشهدها الدول العربية في مسيرتها الفكرية عبر التاريخ فالأولى بنا هو الاهتمام بتكوين الأم وتفعيل مراكز ودور الاهتمام بالطفل ورعايته باعتباره اللبنة الأولى في طريق حفظ هويتنا من الاندثار بتوفير شروط الأمن الفكري وسط هذا التضارب الثقافي العالمي.

الخطابات الاستشراقية بالإعلام وميكانزمات كسر ثقافة الأمة بأذهان أطفالنا:

إن الغرس الثقافي الممارس بالإعلام أدَّى إلى غياب مفهوم الأمن الفكري وسبل بعث ثقافة العيش المشترك، وقد ظهر ذلك بشكل كبير في الثورة المصرية وهو ما أدى إلى الخروج عن مسار الإنسانية لتدخل تلك الثورة في متاهات سفك الدماء وبشاعة تلك الصور التي تلقاها أطفالنا وغرست بأذهانهم، لتفقد تلك الثورة كل مقومات النهوض بالبلاد كل هذا قام بتغذيته الاستشراق الإعلامي في حين غفلة عن دور الأمن في توجيه فكر طفلنا، هذا الخطاب الإعلامي الذي تتحكم فيه أياد خفية لا تود الخير للأمة العربية، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على فقدان ثقافة الأمة بمجتمعاتنا العربية ونسفها بذهن الطفل العربي، فالأمة كما يراها المؤرخ والفيلسوف الفرنسي إرنست رينان Renan Ernest (1823-1892م) في محاضرته

التي ألقاها سنة 1882م تحت عنوان "ماهي الأمة؟" قائلا إن الأمة هي: "تضامن قوي يكمن محتواه في الإحساس بالتضحيات التي حققناها أو في تلك التي نحن على استعداد لتحقيقها. فهي تفترض وجود ماض وتختزل في الحاضر من خلال واقع ملموس يتمثل في الاتفاق، والرغبة الواضحة في التعبير عن حياة مشتركة دائمة"[2]. وهو ما يبين لنا مدى العجز الكبير على امتلاك ثقافة قبول الآخر فانتشرت نزعة الغلو والتكفير لمن يخالفنا الرأي فيتم تدمير عقول أطفالنا بشكل يومي بخطابات لا تمت بأي صلة لهويتنا الإسلامية.

إن "البحث عن أصل واحد وجوهر واحد يؤدي ليس فقط إلى تخريب الثقافة، بل إلى أخطر الأصوليات"[3]. وهو ما أدى إلى العبث بمقومات الثقافة العربية الإسلامية وتلك العادات التي كانت تحفظ التنوع الطائفي والتماسك الاجتماعي لمجتمعاتنا العربية خاصة في العراق التي كانت فسيفساء جميلة من الطوائف المتجانسة فكريًا وعقديًا متعايشة مع بعضها البعض دون تكفير أو حقد، كل ذلك ذهب هباءً منثورًا لتبرز أصوليات شديدة الخطورة ممثلة في ما يسمى "بداعش" وغيرها من التنظيمات الإرهابية الشديدة التطرف، وهنا نبقي السؤال مفتوحًا عن كيفية وأسباب ودواعي دخول هذا التنظيم الإرهابي إلى العراق الحبيب...؟، ولم كل هذا الحشد الإعلامي الرهيب لإذكاء نار الفتن الأيديولوجية نشرًا للطائفية وتضليلاً للحقيقة...؟ وأين هو دور الأم وسط كل هذا لحفظ فكر طفلها وتوجيهها الوجهة الصحيحة...؟.

إذن هي أسئلة كثيرة تطرحها الملابسات الخفية التي تكتنف هذه الشيفرة المتغلغلة في نسيج بنية الخطابات الإعلامية والتي تغذي عقول أطفالنا بشكل يومي، فميكانيزمات تشكلها وزرعها ماثلة أمامنا، عملاً على التخريب والتدمير الاستراتيجي والخلاق للفكر، فرسوم الكرتون كالسوبرمان الذي يهيم فيه

---

[2] سافيدان، باتريك، **الدولة والتعدد الثقافي**، تر: المصطفى حسوني، (المغرب: دار توبقال للنشر، ط1، 2011م)، ص: 39.

[3] Goytisolo (Juan),"Que peut la litterature ?", Le Monde Diplomatique, Novembre 1999, p.28.

أطفالنا حبا والفتاة باربي وكل ما يمت بصلة للديجتال تعج بإيحاءات جنسية تغرس في أذهان أطفالنا، بل وصل الأمر إلى حد التشكيك في كثير من المعتقدات الدينية الأساسية يتلقاها يوميًا أطفالنا في حين غفلة من الأم، فيتم العصف بهوية الأمة داخل بيوتنا من خلال تلك الصور الذهنية التي يتلقاها أطفالنا يوميًا لتعشش بأذهانهم وتنمو مشكلة ثقافة ذاك الطفل فيصير شابًا فرجلاً فكهلا وهو على تلك الصور والإيحاءات التي غرست فيه منذ الصغر لتكون نموذجه الفكري الذي يقرر خياراته المصيرية ونظرته للحياة عامة.

جدل المعرفي والأيديولوجي في الخطاب الإعلامي العربي:

إن المعرفة والأيديولوجيا لهما ارتباط وثيق بالاستعمار الفكري، بل هي أكبر من ذلك بكثير حيث تعمل على إدخال الأيديولوجيات المختلفة في صراعات وذلك بنشرها في مختلف وسائل الإعلام التي يتلقاها أطفالنا فيشبون على تلك الكراهية والغلو والتطرف لتتطبع فيهم وتتأصل مشكلة شخصيتهم في حين غفلة من الأم التي تتهاون وبشكل كبير تجاه ما يتلقاه طفلها بداية من الرسوم المتحركة ووصولا للأفلام السينمائية ذات الأبعاد الأيديولوجية العنيفة، وهذا كله قصد الإبقاء على الفوضى بطريقة خلاقة ومنظمة مدارة من أطراف تتقن جيدًا فن إدارة الفوضى وتروجها في الخطابات الإعلامية، فهذه السياسات تحاول نسف الأيديولوجيات المختلفة وتفكيكها وظيفيًا، من خلال اللعب على وتر نسف الفكر المتواضع عليه من طرف تلك المجتمعات والأسر، وبالتالي تحدثُ خلخلة عميقة لذلك البناء الاجتماعي والبيوت التي أصبحت في حالة كبيرة من الشتات الفكري لتضع تلك الخطابات أيديولوجيا معينة باعتبارها الفكر النموذجي الذي يجب الاحتذاء به من طرف الأطفال بإيعاز من أطراف تعمل في الخفاء من وراء تلك الشبكات الإعلامية يتميزون باحترافية عالية جدا خاصة من خلال مختصين في علم النفس لمعرفة كيفية السيطرة على ذهن الطفل وتوجيهه الوجهة التي تخدم أبعاد القوى العالمية، وهو ما يجعل الدُول العربية باعتبارها قليلة الفاعلية في سياق التواصل الحضاري للعالم تواجه تحديات كبيرة لحفظ هويتها الفكرية أمام غطرسة مد العولمة الفكرية

المهيمنة على العالم من خلال كبرى الشبكات الإعلامية التي تتحكم فيها قوى عالمية أغلبها صهيونية، وهو ما نراه خاصة على مسرح واقع الخطاب الإعلامي لدول الربيع العربي.

وأمام هذه النزعة الفكرية الإرهابية لأذهان أطفالنا والمبطنة بدواعي شيفرة الأيديولوجيا الديمقراطية على الطريقة الغربية وغيرها من الأقنعة المصطنعة التي أوهمونا بضرورة تطبيقها في أنظمتنا العربية من خلال الترويج لها إعلاميا، أدى ذلك إلى ظهور أصوليات شديدة التطرف كرد فعل على تلك السياسات المتبعة من طرف الدول الغربية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع دول العالم الإسلامي "فهي من أي موقع تعبر عن أيديولوجيا، إنها بعبارة أدق تحاول تكريس نفسها ومنظومتها، من خلال نزع الشرعية عن أية أيديولوجيا وإكسابها لنفسها بعد الإيهام بتحرر منظومتها من الأيديولوجيا"[4].

فالاستعمار الفكري في نسخته الإعلامية الجديدة المعولمة للذهنيات من خلال الغرس الثقافي للأفكار الاستشراقية أدخل العالم في مأزق حضاري مدمرًا للهويات ومقصيًا للتنوع الثقافي الذي يحفظ كيان الدول، وهو ما يجعلنا نتساءل مع عالم الاجتماع الفرنسي ألان توران[5] حينما تساءل قائلا: "كيف نتخلص من الخيار الصعب بين عولمة كونية خادعة تغفل تنوع الثقافات، والواقع المنغلق للجماعات المتقوقعة على ذاتها"[6]. فمحاولة غرس أيديولوجيا وفكر واحد بقوة السلاح وزرع الأفكار الطائفية الخبيثة والمدمرة وعدم إعطاء مساحة كافية لباقي الهويات الأيديولوجية، أدى ما أدى إليه من خراب في العراق وسوريا وغيرها من الدول العربية التي أصبحت تتجسد فيها قيم الوحشية والجنون الحضاري المرتبط بسياسات الدول الغربية وسعيها الحثيث لتطبيق

[4] بلقزيز، عبد الإله، **في البدء كانت الثقافة، نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية**، (المغرب: أفريقيا الشرق، 1998م)، ص:133.

[5] آلان توران: Alain Touraine أحد كبار علم الاجتماع المعاصرين، فرنسي الأصل من مواليد 1925م، ومن أهم مؤلفاته نقد الحداثة سنة 1998 Critique de la modernité ، براديغم جديد: من أجل فهم عالم اليوم 2005م، الحركات الاجتماعية، ما هي الديمقراطية؟، وعدة مؤلفات أخرى.

[6] Touraine (Alain), Pourrons nous vivre ensemble ?, Fayard,Paris, 1997, p.2.

هذه الشيفرة الاستعمارية في نسيج بنيتنا الفكرية بداية من الطفل وصولا للشيخ الطاعن في السن ليتم نسف تلك الآية التي لطالما ميزت أمتنا الإسلامية وهو آية "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسطًا" (البقرة: 143).

نظرية الإقلاع الحضاري لمالك بن نبي ودورها في تحقيق الأمن الفكري لأطفالنا:

يعتبر مالك بن نبي أحد أبرز المفكرين الذين عكفوا على دراسة سبل النهضة العربية وأسباب هذا الضمور الفكري للأمة الإسلامية، فالتاريخ كما يقول: "لا يصنع بالاندفاع في دروب السير فيها وإنما يفتح دروبا جديدة، ولا يتحقق ذلك إلا بأفكار صادقة مع جميع المشاكل ذات الطابع الأخلاقي فعالة لمواجهة مشكلات بناء في مجتمع يريد بناء نفسه"[7].

إذن هذه الفكرة إذا ما عملت الأم على غرسها في طفلها منذ الصغر وتفعيلها في مختلف وسائل الإعلام تحيا وتفعل فعلتها حينما تساعدها الظروف والعوامل التي توفرها الأسرة، كما أن الفكرة قد تجد بل وتصطدم بأفكار أخرى، فهي ليست وحدها في الميدان وهو ما يضع الأم أمام تحديات أكبر وبالتالي إمّا أن تفرض ذاتها في عقر دارها قبل الغير أو قد تتنكر لها وتهاجر إلى تربة ووسط آخر لتحل محلها أفكار منحرفة ليكون "الخروج عن جادة الصواب والبعد عن الوسط المعتدل وترك الوسط المعتدل وترك الاتزان والتمسك بجانب الأمر دون حقيقته"[8]. فكلما ابتعدنا عن الوسط كلما ازداد التطرف وهو حال كثير من شبابنا، فكل ما يصنعه المرء هو نتيجة مباشرة لما يدور في فكره كما أن المرء ينهض على قدميه وينشط وينتج بدافع من أفكاره التي تغذيها خطابات وسائل الإعلام، كذلك يمرض ويشقى من أفكاره أيضا وهو ما يجعلنا نبحث وبشدة عن سبل إيجاد الأمن الفكري.

إن المجتمعات النامية لا تتميز بقلة المواد أو الوسائل المادية (الأشياء)، وإنّما بقصور في الأفكار وعدم فعالية استغلال الثروات المادية المتوفرة لديها وعجزها عن إيجاد سبل

---

[7] مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، تر: عبد العظيم علي، (القاهرة: مكتبة عمار، 1971م)، ص: 209 .

[8] الزحيلي، محمد، **الإسلام والشباب**، (دمشق: دار القلم، 1414هـ)، ص:163.

الاستثمار في الثروة العقلية الموجودة عند أطفالنا، في حين أن اليابان بلد فقير من حيث الثروات الطبيعية، لكنه يملك ثروة عقلية فكرية من خلال الاهتمام بدور الحضانة ونشر الأفكار والإبداعات وتفعيلها من خلال الوسائل الإعلامية المختلفة، لذا فإن أهمية الفكرة ضرورية وتكوين الأم بشكل جيد أمر لا مناص منه لأي تغيير أو نهوض تربوي حضاري .

ولكن السؤال المطروح في هذا المقام هو: أي الأفكار تحدث التغيير وتصنعه في أذهان أطفالنا؟ أهي كل إرث فكري أم هي أفكار جديدة؟ هل التمسك بالأصالة هو الذي يغيرنا؟، أم بالحداثة والفكر المعاصر؟ أم بالتوفيق بينهما؟.

يرى مالك بن نبي في هذه النقطة أن هناك نوعان من الأفكار:

1- أفكار ميتة وأفكار قاتلة.

2- أفكار ذات فعالية صادقة.

فالأفكار الميتة هي التي ورثناها عن عصر الانحطاط وهي أكثر الأفكار قدرة على القتل من الأفكار الأخرى ويعرف مالك الفكرة الميتة بقوله: "فكرة خذلت أصولها وانحرفت عن نموذجها المثالي ولم يعد لها جذور في محيط ثقافتنا الأصلي"[9]. كما يعرف الفكرة القاتلة بقوله: "فكرة تقدمت شخصيتها وقيمتها الثقافية بعد أن فقدت جذورها التي ظلت في مكانها في عالمنا الثقافي الأصلي"[10].

وعليه يوصي مالك بن نبي على ضرورة إحداث ثورة ثقافية فكرية تغير الكثير من المفاهيم الفاسدة الباطلة المتفشية في أذهان أطفالنا وشبابنا، الدخيلة علينا خاصة وأن الصراع الحالي صراع ثقافي يركز على الطفل بشكل كبير بالدرجة الأولى خاصة وأنه في طور التشكيل الفكري، كما علينا بمنظومتنا الأخلاقية الفكرية داخل بيوتنا وغربلة كل ما يتلقاه أولادنا من خلال هذه القنوات وتمييز صحيحها من سقيمها حتى نتكيف مع الثقافات العالمية، علينا أن نوجد كل ما في وسعنا من

[9] المرجع نفسه، ص: 209.

[10] المرجع نفسه، ص: 209.

وسائل نشر الفكر الوسطي بأذهان شبابنا وأطفالنا حتى نحدث التغيير الثقافي الذي يصحبه النمو دون أن نخشى الثقافات الأخرى بدعوى الذوبان.

بين الطفل العربي والطفل الأوروبي اختلاف للعقول أم اختلاف للظروف:

إن الاختلاف بين الطفل العربي والطفل الأوروبي ليس مردُّه اختلاف في الطباع أو في الاستعداد الفطري فمثلا الطفل العربي عندما يدرس في مدارس عربية لا يقل عن زميله الأوروبي فطانة واجتهادا ونجاحا، إلا أن هذا التلميذ الأوروبي ينصرف بعد ذلك للعمل في وسط يساعده على تنمية ثقافته ويلائم الجو الاجتماعي فتثمر وتزدهر، أما الطالب العربي فيعود بثقافته تلك إلى أرض غريبة عنها فيحاول غرسها ولكن سرعان ما تنكمش ويعتريها الذبول، وحتى وإن لم تتم فإنها لا تجد في التربية الاجتماعية ما يساعدها على الإثمار والنمو فتبقى شجرة ذابلة تعيش بين الحياة والموت، ولربما تحولت إلى فكرة تدميرية تنشر التطرف والتكفير وهو ما استغلته الجماعات الإرهابية فزاد من الانحراف الفكري "الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والتقاليد والأعراف.. والنظم الاجتماعية"[11]. ما أنتج بدوره تخلفا فكريا ساعده ذاك المناخ العام بالأسرة في عدم استيعاب المرأة للتغيرات الفكرية الحاصلة لطفلها، فالتخلف الفكري كما يقول المفكر الإسلامي عبد الكريم بكار هو: "وضعية عامة تصيب الأمة نتيجة القصور المستمر لقرون طويلة في أعمال العقل وطرق بحثه عن الحقيقة"[12] فأي واقع ينتظر مستقبل طلابنا في ظل هذا الوضع المتأزم؟. وهنا تبرز بأذهاننا حادثة دريفوس وثورة الطلاب الفرنسية حينما ثاروا على النظام التربوي والنسق الثقافي عامة فالمثقف هو منارة علمية، فصفة المثقف كما يقول سارتر "لا تطلق على علماء يعملون في حقل انشطار الذرة لتطوير أسلحة الحرب الذرية وتحسينها: فهم محض علماء، لا أكثر ولا أقل، ولكن إذا ما انتاب هؤلاء العلماء

[11] الجحني، علي بن فايز، "رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف"، **المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب**، ع 27، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1420هـ، ص:264.

[12] بكار، عبد الكريم، **التأزم الفكري في واقعنا الإسلامي المعاصر**، (دمشق: مركز الراية للتنمية الفكرية، ط1، 1427هـ)، ص:23.

أنفسهم الذعر لما تنطوي عليه الأسلحة التي تصنع بفضل الجهود هم وأبحاثهم من طاقة تدميرية، فاجتمعوا ووقعوا بيانا لتحذير الرأي العام من استخدام القنبلة الذرية، غدوا من فورهم مثقفين، وذلك بالفعل، لأنهم تجاوزوا صلاحياتهم "[13].

لعلّ ما يمكن أن نقوله هنا هو أنّ سارتر باعتباره أحد أقطاب الفكر الغربي بمثاله هذا جعل معيار وصف المثقف بهذه الصفة هو الوعي والدفاع عن القيم الإنسانية التي يفتقدها العديد من طلابنا، ولعل هذا النوع من المثقفين هو الذي يحتاجه حاضر أمتنا، فالفكر الآمن البعيد عن الاختراقات الفكرية المتطرفة يجعل من المثقف قادرا على فهم واقعه بوعي لما يجري حوله خاصة تلك التي تروج في مختلف وسائل الإعلام هذا الوعي الذي اكتسبه من داخل بيته أثناء تكوينه الفكري في الصغر هو الذي يمده بالقوة والقدرة على التغيير فضلا عن الاعتزاز بالهوية.

فالمثقف كما يقول ديكارت "ناقد اجتماعي يسعى إلى نقد الممارسات انطلاقا من مرجعية نظرية موحدة ومحددة"[14]. فالمثقف الحق يتميز بالحس النقدي، والوعي الكبير الذي يجعله قادرًا ومتمكنًا من تفحّص سلوكيات مجتمعه، وإيجاد السبل الكفيلة التي تسهم في تعديلها أو تغييرها لتكون عملية التغيير من منطلق مرجعية إسلامية واضحة ومحددة المعالم وهو ما نحتاجه في راهن عصرنا اليوم عند المرأة العربية المسلمة والتي يغيب عنها كثيرا الحس النقدي في تفقد ما يبث في مختلف وسائل الإعلام ويتم تغذية عقل ابنها به ومن ثم نسف قيمه والعبث بها.

وهو ما يحتم علينا تفعيل دور المرأة المثقفة بشكل خاص كونها اللبنة الأولى في أي عملية تغيير والنهوض بعقول أطفالنا بطريقة عملية وتجنب التنظير فإن "الاستغراق في التعليم المستند بصفة كلية أو شبه كلية إلى التنظير هو مدعاة للانحراف الفكري، حيث تشير ملحوظات التربويين حول سلوكيات الطلاب -جنبا إلى جنب- مع ملحوظات الآباء والأمهات إلى حدوث اختلالات فكرية عديدة على الجيل الجديد يمكن أن تعزى

---

[13] سارتر، جون بول، **دفاع عن المثقفين**، تر: جورج طرابيشي، (بيروت: منشورات دار الآداب، ط1، 1973م)، ص: 13.

[14] جلاوجي، عز الدين، **صحيفة الخبر**، ع 4510، ص:16.

إلى كثرة التنظير الذي يتعرض له الطلاب في مدارس التعليم العام الذي لا يصاحبه أو يقترن به ما يحققه علميا في عالم الواقع"[15]. وهنا تبرز نظرية مالك بن نبي عن التغيير الثقافي الفكري فقد أولى مالك بن نبي الثقافة أهمية كبرى في عملية التغيير لما لها من أهمية في النهوض بعقول أطفالنا وتشجيعهم على استثمار مواهبهم، حيث يرى أن الإيمان بصدق الفكرة وصحتها والإيمان أو بالأحرى الاقتناع بها يؤهلان عقول أطفالنا والإنسان عامة لكي يغير ذاته ومجتمعه بل وأمته ويصنع مجدها ولعل ذلك يكون بـ:

-تطوير المناهج بما يواكب عصر الانفتاح والتطور التقني الحديث.

-تعديل اتجاهات الطلاب والمجتمع نحو التخصصات التقنية والإنسانية على حد سواء.

-العناية بإعداد وتطوير وتدريب الأمهات وإدخالهم في دورات تكوينية، والنظر في سبل تطوير النظام التعليمي تجنبا للخطابات الاستشراقية الجديدة التي تعبث بعقول أطفالنا بشكل يومي من خلال تلك الرسائل المشفرة عبر وسائل الإعلام.

-دراسة أسباب انخفاض مستوى مخرجات التعليم العام، والتركيز على متطلبات سوق العمل، والواقع السلوكي للتلميذ وتوجيه الأم بما يخدم خلق هذه الفرص في ذهن ابنها.

إن المؤسسات الأسرية والتربوية الرسمية تعد محاضن أولى، قد أسست لخدمة المجتمع، وتلبية حاجات أفراده التربوية والتعليمية والاجتماعية والترفيهية، لتشغل الفراغ الذي قد ينتج من غياب مثل هذه الأدوار المهمة للدولة، "فالمدرسة التي هي المؤسسة التربوية الأولى تعرض على الطالب سلوكا معينا يناسب وظيفتها ودورها في المجتمع، وهو يذهب إليها من منطلق احترامه لها وتقديره للدور الذي تؤديه في بناء شخصيته العلمية والأدبية، ولا يتفق سلوك الطلبة مع الدور الذي يفترض أن تقوم به المدرسة، فالطالب يتعامل مع رفاقه بأسلوب يتنافى مع ما هو مطلوب من سلوك

[15] الخطيب، محمد شحات، **الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي**، (الرياض: مكتبة فهد الوطنية، 2005م)، ص:129.

مدرسي، فهو يستخدم ألفاظا نابية ويعتدي على زملائه"[16]، وربما يرجع السبب إلى أن "المدرسة بوضعها الراهن أعطت معلومات ومعارف ربما كانت عصرية حديثة ولكنها لم تفلح في صقل السلوك وتهذيب الخلق عند من تعلمهم"[17]. فأنتج ذلك فكرا منحرفا بعيدا عن روح الإسلام السمحة نتيجة تلك الخطابات الاستشراقية، وهو ما جعل الأستاذ نبيل شبيب يحترز بقوله: "يميل الخطاب الوسطي إلى التركيز -حسب احتياجات معركة جانبية دخيلة- على جوانب من الإسلام دون أخرى، أو إلى إبراز بعض ميزاته على حساب بعضها الآخر، تماشيا مع ما يقال عن ضرورات الرد على أفعال الآخر في الغرب، وما يطرحه وينطوي على افتراءات أو مغريات وغضبة عامة المسلمين إزاءها، أو تماشيا مع ما يقال عن ضرورات الواقع القائم في البلاد الإسلامية نفسها، واحتياج الممارسات السياسية إلى نفي اتهامات التطرف والإرهاب وما شابه ذلك عبر أطروحات السلام والتسامح وحدها، رغم التعرض لعداءات الآخر"[18]. وهو ما يجعلنا نبحث عن سبل تحقيق الانعتاق من الخطابات الاستشراقية الجديدة الساعية لعولمة للفكر الإسلامي من خلال تدمير البنية العقلية لأطفالنا.

خاتمة البحث:

من خلال ما طرحناه آنفًا في هذه المقالة من إشكاليات وتساؤلات عويصة، وسعيًا منا لإيجاد الحلول المناسبة للوقوف في وجه هذا التسونامي إن جاز التعبير هذا الخطاب الجارف للهويات الدينية والثقافات المتنوعة بوطننا العربي، نطرح في خاتمة مقاربتنا هذه بعض الأفكار والتوصيات التي نرجو أن تسهم في ترميم تصدعات النظام التربوي العربي وإيجاد من خلال توفير شروط الأمن الفكري الترياق المناسب للتصدي للاختراقات الفكرية الحاصلة لأطفالنا من خلال الخطابات الاستشراقية

---

[16] عودة، خليل، السلوك اليومي لطلبة المدارس في قطاع غزة، **وقائع المؤتمر الأول للتعليم الفلسطيني التعليم الفلسطيني إلى أين؟** المنعقد بجامعة بيت لحم في الفترة 2-1991/10/3م، ص: 410.

[17] مجاور، محمد صلاح الدين، **تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية**، (الكويت: دار القلم، ط4، 1990م)، ص: 329.

[18] نبيل شبيب: "الوسطية الإسلامية .. المفهوم، التحديات، الأدوار"، مؤتمر المنتدى العالمي للوسطية، صنعاء، 19-20 مايو عام 2010م.

الجديدة المبثوثة في وسائل الإعلام وذلك لتحقيق سبل انعتاقنا من مد خطاب العولمة الإعلامية المحرضة على العنف والإرهاب والتكفير، وبحثا منا عن سبل إرساء دعائم الاستثمار في عقول أطفالنا باستغلال أدوات العصر المختلفة وتفعيل دور الأم في ذلك بعيدًا عن خطابات الاختراق الفكري.

فلابد من تضافر جهود جميع الأطراف سواء على مستوى حكومات الدول العربية فيما بينها من تنسيقات، أو على مستوى الشعوب فيما بينها، أو على مستوى النخب الثقافية بما أنها فئة تنويرية لبعث سبل النهوض بعقول أطفالنا لمحاربة الاختراقات الفكرية وتوجيه الخطاب الإعلامي بما أنه أداة تأثيرية كبيرة وأداة تربوية تعليمية بما يدعم ذلك من خلال برامج إعلامية تربوية تحث على تنمية العقل وتنمية المواهب، وضرورة دعم منظمات المجتمع المدني لذلك من خلال انتشارهم بالمدارس والمعاهد والجامعات والإشهار لهذه المنظمات عبر مختلف وسائل الإعلام تشجيعا على نشر التوعية بأهمية الاستثمار في العقل البشري والبحث عن الكفاءات الموهوبة.

ومن الضروري إقامة تجمع عربي عالمي يجمع جميع المختصين في الخطاب الإعلامي التربوي يكونون أصحاب كفاءات عالية لوضع مناهج تربوية تعليمية عربية إسلامية بحتة توجه الأم الوجهة الصحيحة في كيفية التعامل الفكري مع طفلها بعيدًا عن الوصايات الغربية بكيفية سير منظومتنا الإعلامية، وإقامة أكاديميات عربية ذات مستوى عال جدًا تهتم بتكوين الأطفال يشرف عليها أخصائيون شرفاء لتخريج شباب أكفاء في مجالات شتى ينتشرون فيما بعد بباقي البلدان العربية خاصة في دول الربيع العربي حفاظًا على الهوية الإسلامية من مد الاختراق الفكري، ونشرًا للوعي الديني السليم البعيد عن التطرف والتكفير وغيرها لتحقيق الإقلاع الحضاري الذي حث عليه مالك بن نبي رحمه الله.

إن لمّ شعث الانفراط الهوياتي للهوية الفكرية العربية الإسلامية في إطار جدل الشرق والغرب المغلف بلعبة العولمة للفكر الاستعماري الغربي ومكائده المنتشرة في وسائل الإعلام لن يتأت إلا من خلال العودة لمنابع تراثنا العربي القويم من جميع جوانبه ومختلف مجالاته، وتفعيل كل تلك الذخائر النفيسة في أنظمتنا الفكرية

كالإمام العلامة الماوردي الذي عرف بفكره الوسطي لبعث من خلاله اعتزازنا- خاصة فئة الشباب- بهويتنا وكياننا الحضاري دون التغافل عن الدور الفاعل للأم في ذلك من خلال تكوينها فضلا عن ضرورة مد جسور التفاعل مع الآخر لإقامة هوية عربية إسلامية عالمية فاعلة في إطار تبادل العطاء الحضاري العالمي النابذ للتعصب، لتحقيق إقلاع حضاري نابع من كنف الإنسانية، فالعمل على الخروج من دائرة الوصاية الغربية على أنظمتنا التربوية العربية لن يتأت بشكل سريع، وإنما لابد من العمل على تحقيقه على المدى البعيد للتخلص من رواسب الأبعاد الاستعمارية للخطابات الاستعمارية الجديدة المنتشرة بوسائلنا الإعلامية، وذلك كإقامة منظمة عربية فكرية عالمية تسعى للعمل على تحقيق الوحدة العربية المنشودة بمختلف طوائفها، وسبل الاستثمار في العقل البشري والحفاظ على قيم ثورات الربيع العربي وقيم الثقافة العربية عامة من وحدة قومية وترابط أخوي إسلامي يجمع جميع الأيديولوجيات، والتخلص من تبعات الخطاب التكفيري ونتائجه المدمرة للبنية التحتية والفوقية لعقول أطفالنا، وهو ما يحتم علينا تكثيف الجهود أكثر سياسيًا وعسكريًا وقبل كل هذا فكريًا تحقيقا للإقلاع الحضاري الذي حث عليه مالك بن نبي واقتلاع الفكر التكفيري التطرف من جذوره، وكشف أصوله الفكرية الحقيقية المبثوثة في الخطاب الفكري الغربي، والمفعل بإحكام شديد بأنظمتنا التربوية، لزعزعة أمن واستقرار دولنا العربية خاصة دول الربيع العربي.

لابد من إقامة مؤتمرات عالمية دائمة سنوية تجمع جميع النُخب العالمية البارزة من جميع الأديان ومختلف الثقافات والأعراق، من أجل التباحث عمليًا لإيجاد أدوات تحقيق سبل المحافظة على هويات الشُعوب، وكيفية التخلص من الأطر المعرفية للخطابات الاستعمارية الجديدة، وسلبيات العولمة الفكرية المدمرة لعقول الأطفال، وهيمنتها الثقافية على ثقافات الشعوب المستضعفة عن طريق آليات الاستشراق الإعلامي الجديد والمدجنة بأيديولوجيات ذات توجه صليبي حاقد على أن يرى إقلاع حضاري إسلامي يستثمر في عقول أطفالنا وكذا ثورات عربية فكرية تنزع غبارًا جثم على صدورنا لسنوات طويلة.

من الضروري بعث سبل تجديد الثقافة الإسلامية بأنظمتنا الأسرية والتربوية بغرس ثقافة إسلامية سليمة ولاسيما الخطاب الديني، وتفعيل دوره للحفاظ على الهوية الإسلامية بعيدًا عن جدل التعصب للعرق أو المذهب أو العشيرة...إلخ، وقوفًا في وجه الخطاب الاستشراقي الإعلامي المغلف بالفكر الاستعماري الغربي، وهذا تأسيسًا لنوع من الإقلاع الحضاري والاستشراف المستقبلي لأمة جديدة ولدت من رحم الانبعاث الحضاري الإسلامي، بعيدًا عن الصراع الأيديولوجي المدعم من أطراف خارجية تكن الحقد والكره للهوية الإسلامية فالطفل العربي يعتبر أذكى الأطفال بالعالم رغم الظروف القاهرة التي تحيط به من كل جانب.

المصادر والمراجع:

- بكار، عبد الكريم، التأزم الفكري في واقعنا الإسلامي المعاصر، دمشق: مركز الراية للتنمية الفكرية، ط1، 1427هـ.
- بلقزيز، عبد الإله، في البدء كانت الثقافة، نحو وعي عربي متجدد بالمسألة الثقافية، المغرب: أفريقيا الشرق، 1998م.
- الجحني، علي بن فايز، رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، ع27، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 1420هـ.
- جلاوجي، عز الدين، صحيفة الخبر، ع 4510.
- الخطيب، محمد شحات، الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني والدولي، الرياض: مكتبة فهد الوطنية، 2005م.
- عودة، خليل، السلوك اليومي لطلبة المدارس في قطاع غزة، وقائع المؤتمر الأول للتعليم الفلسطيني التعليم الفلسطيني إلى أين؟ المنعقد بجامعة بيت لحم في الفترة 2-3 أكتوبر، 1991م.
- الزحيلي، محمد، الإسلام والشباب، دمشق: دار القلم، 1414هـ.
- سارتر، جون بول، دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابيشي، بيروت: منشورات دار الآداب، ط1، 1973م.
- سافيدان، باتريك، الدولة والتعدد الثقافي، تر: المصطفى حسوني، المغرب: دار توبقال للنشر، ط1، 2011م.

- عبد السلام، رفيق، الولايات المتحدة بين القوة الصلبة والقوة الناعمة، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، ط4، 2015م.
- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، تر: عبد العظيم علي، القاهرة: مكتبة عمار، 1971م.
- مجاور، محمد صلاح الدين، تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية، الكويت: دار القلم، ط4، 1990م.
- نبيل شبيب: "الوسطية الإسلامية .. المفهوم، التحديات، الأدوار"، مؤتمر المنتدى العالمي للوسطية، صنعاء، 19-20 مايو عام 2010م.

المراجع الأجنبية:

- Goytisolo (Juan),"Que peut la litterature ?", Le Monde Diplomatique, Novembre 1999.
- Touraine (Alain), Pourrons nous vivre ensemble ?, Fayard,Paris, 1997.

أسس تعليمية النحو العربي في ظل المقاربة التواصلية
الأساس المقامي أنموذجا

د. مسلم خيرة*
Email: kheiracritique31@gmail.com

ملخص البحث:

ربما كانت قضية المقام من القضايا المهمة التي شغلت عقول الباحثين والعلماء على طول الزمن، وإن خمد هذا الاهتمام ردحا من الزمن، إلا أنه عاد من جديد وبقوة ليتربع على ركح الدراسات اللسانية المعاصرة، باعتباره معطى مهما لا ينبغي تجاوزه في أي دراسة تنشد التواصل والتفاعل. ومما لا شك فيه أن ميدان التعليم قد استثمر في هذا المعطى باعتباره العمود الفقري الذي يشد كيان العملية التعليمية ويسمو بها نحو الفعالية والنجاح، خاصة إذا أدركنا أن الخطاب التعليمي هو ذو بعد تواصلي بالدرجة الأولى.

إن هذا المقتضى التصوري يفرض نفسه بقوة في المقاربة البيداغوجية المعاصرة المسماة بالمقاربة التواصلية، فإلى أي حد استثمرت هذه الطريقة البيداغوجية المعاصرة معطى المقام والمقولات والمفاهيم المنوطة به وكيف وظفته في مناهجها ومقارباتها؟ وفيما تتجلى القضايا (التعليمية) التي يمكن أن نلمس من خلال الغوص في مضامينها تمظهرات نظرية المقام؟ وكيف يمكننا أن نستثمرها في مناهج تدريس النحو.

كلمات مفتاحية: التعليمية، الكفاءة التواصلية، المقاربة التواصلية، المقام، النحو.

Abstract:

The theme of the context has a considerable place in the field of literature and language, especially at this time, because it constitutes an irrefutable component in linguistic studies which facilitates the understanding of communicability and interactionist operation. This has a positive impact on the effectiveness of teaching as it focuses on communication.

This vision is intentionally imposed on contemporary pedagogical approaches namely "communicative approach". We want to unveil in this study, the link that weaves the link between the context and the concepts

* أستاذة مختصة في اللسانيات والنقد الأدبي، جامعة د. مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر.

that surround it with a rating, and what methods and approaches have been used on the other side? And how can one use all this in order to achieve a grammatical teaching efficiency.

مقدمة:

اللسانيات التعليمية مصطلح وضع في اللغة العربية ليقابل المصطلح العربي المشهور بالمصطلح الآتي la didactique des langues، ولهذا نلفي العديد من الباحثين في هذا المضمار من يترجمون المصطلح الفرنسي الأخير ترجمة حرفية بـ "تعليمية اللغات"، ونجد آخرين يستعملون المركب الثلاثي "علم تعليم اللغات"، بالإضافة إلى باحثين آخرين يكتفون بتسمية هذا الحقل بـ "تعليم اللغة"، وأحيانا يترجم عند قسم من العلماء والباحثين العرب بـ"التعليميات" أو "التعليمية"[1].

ومما لا شك فيه أن معظم الباحثين يعرفون التعليمية بأنها "دراسة علمية لمحتويات التدريس وطرقه وتقنياته، ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ، دراسة تستهدف صياغة مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ، دراسة تستهدف صياغة نماذج ونظريات تطبيقية معيارية بقصد بلوغ الأهداف المرجوة، سواء على المستوى العقلي أو الانفعالي أو الحسي الحركي"[2].

لقد أشبع ميدان تعليمية اللغات بمدارسات ومقاربات مستفيضة في الآونة الأخيرة "إذ أضحت مركز استقطاب بلا منازع في الفكر اللساني المعاصر، من حيث إنها الميدان المتوخى لتطبيق الحصيلة المعرفية للنظرية اللسانية، وذلك باستثمار النتائج المحققة في مجال البحث اللساني النظري في ترقية طرائق التعليم للناطقين بها وغير الناطقين"[3].

---

[1] مقران، يوسف، **مدخل في اللسانيات التعليمية**، (الجزائر: دار كنوز الحكمة، 2013م)، ص: 15-16.

[2] مجاهد، ميمون، تعليمية اللغات من التأسيس إلى الاهتمامات، **مجلة متون**، العدد الرابع، ديسمبر، الجزائر، ص: 114.

[3] حساني، أحمد، **دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات**،(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2000م)، ص: 130.

لقد كان تأثير الدراسات اللسانية باختلاف مذاهبها وتياراتها ومدارسها على الدرس التعليمي كبيرًا جدا، حيث ما فتئ هذا الدرس يستثمر أهم المقولات التنظيرية والإجرائية والأجهزة المفاهيمية التي ولّدتها المدارسات والتنظيرات اللسانية، ولكن ما ينبغي ذكره في هذا المضمار؛ أن المدارس اللسانية التواصلية الوظيفية كان لها الفضل الأعظم في إثراء المنظومة المفاهيمية المتعلقة بحقل التعليمية، وخاصة اللسانيات التداولية Linguistique Pragmatique، التي أمدت الطرائق البيداغوجية المعاصرة بأهم مقولة جوهرية في الفعل التعليمي والمتمثلة: في أن المتعلم هو المحور الأساس والركن المركزي المحوري الأصيل في العملية التعليمية التعلمية برمتها.

لقد استوحت التعليمية منهج المقاربة التواصلية من الاتجاه التداولي الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى اكتساب المتعلم كفاءات تواصلية تمكنه من التوظيف الجيد والمحكم للغة التي يتلقفها من وضعيات ومواقف اجتماعية مختلفة بدل أن ينحصر اكتسابه اللغوي في التمارين التركيبية وحفظ القواعد اللغوية وكل ما ركز عليه الاتجاه البنيوي الذي يراعي البنى والأشكال اللغوية بمعزل عن السياق الاستعمالي، وهو الأمر الذي جعل الدراسات اللسانية تفتقر وتنحصر في إطار شكلاني محض[4]، وهو ما سنتطرق إليه ببعض التفصيل في المباحث اللاحقة.

1. بين مفهومي النحو وقواعد اللغة

قبل التعرض لمفهوم النحو، لا بد للتعرض لماهية قواعد اللغة، باعتبار أنها أكثر شمولية إذا ما قارناها بقواعد النحو، وتتبين أحقية هذا المقتضى التصوري إذا أدركنا أن مصطلح القواعد يجمع بين قواعد النحو والصرف وعلم المعاني في علم واحد يصطلح على تسميته بقواعد اللغة العربية.

بالنسبة للقواعد Grammaire؛ يمكن عد هذه الأخيرة "بمثابة الأداة أو الآلية التي تتيح للإنسان أن يتكلم اللغة، والتي تحدد شروط التواصل والتفاهم وضوابطهما بين

[4] مصابيح، محمد، **تعليمية اللغة العربية وفق المقاربات النشطة، من الأهداف إلى الكفاءات**، (الجزائر: taksidj.com للدراسات والنشر والتوزيع، 2014م)، ص: 159.

أبناء اللغة الواحدة"[5]، أي أن حاجة الفرد لتعلم النظام القواعدي للغة معينة "تكمل حاجته إلى التفكير آخذا بالاعتبار معطيات الواقع (الاستعمال) ومسهلا على نفسه التكيف مع مظاهره الجديدة (القياس) بل حتى طرائق تعلم اللغة لا تنفك تخضع لهذه الواقعة الطبيعية التي هي بمثابة القاعدة"[6] وعليه يغدو مصطلح القواعد مصطلحا جامعا لقواعد النحو والصرف وعلم المعاني في علم واحد نصطلح على تسميته بقواعد اللغة العربية.

في ظل هذا المقترب التصوري؛ يمكن القول إن مصطلح القواعد هو الكفيل باستيعاب بنيتين للجمل العربية هما: البنية النحوية الساكنة، والبنية الإبلاغية المتحركة المتعلقة بمقام التلفظ l'énonciation وأحواله، باعتبار أن الأولى "تضم كلا من قواعد النحو والصرف، والأخرى تضم القواعد التي تعرف بها أحوال الكلام العربي الذي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له"[7].

أما علم التركيب (علم النحو) Syntaxe فيصطلح عليه في العربية بعلم الصيغ أو علم الجمل، ويطلق بحسب جون ديبوا "على الحقل أو المجال النحوي الذي يلقي على عاتقه مهمة تنظيم الوحدات الدالة في الجملة"[8]، أي هو ذلك المجال الذي يلقي مقارباته وتركيزه على نظام الجملة ووحداتها، ودلالاتها، ومكوناتها، وأنواعها وحركية المعطيات والعناصر المشكلة لها ضمن شبكة العلاقات الرابطة بين كل وحدة وأخرى.

---

[5] زكريا، ميشال، **مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1985م)، ص: 75.

[6] مقران، يوسف، **مدخل في اللسانيات التعليمية**، ص: 151.

[7] رشيدة، جلال، **نظرية المقام وأثرها في حسن تعلم اللغة العربية**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2012م)، ص: 27.

[8] Jean dubois est autre ,dictionnaire de linguistique, (paris ,édition larousse,1973), p: 83.

كما يلقي علم النحو عناية خاصة لفكرة الإضافة والزيادة، أو الحذف والنقصان في مكونات الجملة كقول البوصيري:[9]

واخْش الدسائس من جوع ومن شبع فرُبَّ مَخْمَصَة شَرٌّ من التخم

بقليل من التدبر في هذا البيت الشعري يمكن أن نلاحظ أن البنية الصرفية لفعل الأمر –اخش– تدل على الإرشاد والتوجيه والنصيحة، وأن كلا من الجوع والشبع صفة على تقدير في البنية العميقة "الدسائس الناشئة من الجوع" ودل التنكير على التنويع والتعظيم، ودلت الوحدة المورفولوجية "الـ" على العهدية وأبرزت وجها من أوجه التداخل بين الأجزاء في الجملة.

أمام هذه العتبات المعرفية يمكن أن يستشف الباحث المتأمل الحصيف بعض الملاحظات والاستنتاجات (التعليمية/ التربوية) التي من شأنها الرقي بالتعليم نحو درجات أسمى وأرفع من حيث الفعالية والنجاح، ويمكن القول إن أهمها ما يتعلق بتدريس النحو بالطرق التقليدية وعجزه عن الإتيان بالأُكُل الذي ينشده كلٌ من المعلم والمتعلم، باعتبار أن النظر في نظام الجملة ووحداتها ودلالتها وأنواعها يفضي إلى ملء أذهان المتعلمين بقوالب معرفية جامدة ومعلومات ساكنة ميتة لا يربطها بالواقع المعيشي للطالب أي صلة، بحكم أن الحياة الاجتماعية مجموعة من الوضعيات التواصلية ذات بعد استعمالي بالدرجة الأولى، وبهذا المسار التعلمي التقليدي المعياري تُفصل التعلمات المعرفية للطالب عن ما يمكن أن يصادفه في المواقف التبليغية المختلفة بحكم أنه تلقى في درسه النحوي أشكالا لغوية فارغة من محتواها الاجتماعي والثقافي. كل هذا بالإضافة إلى الملل والضجر والفتور النفسي الذي يعتري نفسية الطالب وهو يتعامل مع أمثلة وشواهد مقطوعة عن سياقاتها الاستعمالية ومستقاة من أزمنة بائدة في الكثير من الأحوال.

أما بالنسبة للطريقة الأولى المرتبطة بتعليم القواعد مجتمعة في آن واحد؛ فيمكن القول إنها طريقة مجدية وفعالة بحيث يؤدي عدم الفصل بين فروعها والنظر إليها

[9] بوحوش، رابح، **البنية اللغوية لبردة البوصري**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م)، ص: 151-245.

باعتبارها وحدة متكاملة في عملية التعليم إلى معلومات ذات بعد وظيفي "فليس هناك قراءة مستقلة، ولا تعبير أو نحو منفصلين، لأن هذه الفروع منفصلة من أجل الدرس، لكن لا تعدو أن تكون وسائل ينبغي أن تتكامل لتؤدي اللغة وظيفتها في المجتمع والمتمثلة في عملية التواصل بين الأفراد والجماعات"[10].

ومن بين اللغويين والبلاغيين العرب القدماء الذين اتبعوا هذا المسعى في مدارساتهم وتنظيراتهم؛ نلفي عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، حيث أصر على الجمع بين اللفظ والمعنى أي بين النحو وعلم المعاني في نظريته المعروفة "بالنظم"، وهو ما يؤدي إلى الإعجاز القرآني، بمعنى أن الجمال المنشود في الكلام لا يتحقق إلا عندما تكون الأوضاع النحوية ملائمة لما يقتضيه المقام من التعبير عن المعاني المختلفة، بالإضافة إلى ما جادت به قريحة أبي يعقوب السكاكي عندما مهد لعلم الصرف بالأصوات العربية فوضح عددها ومخارجها وصفاتها لوعيه الناضج والعميق بانعكاس هذه الخصائص الصوتية ومدى مساهمتها في تشكيل المباني الصرفية، ليتمكن علم النحو في نهاية المطاف من القيام بوظيفته المنوطة به، فيسلك هذه المباني التركيبية الصرفية في جمل وتراكيب تعمل في مجموعها على تأدية أصل المعنى، وهذا بالاعتماد على قوانين مستنبطة من كلام العرب[11].

ربما كان العلامة ابن خلدون من أهم العلماء الذين عالجوا هذه المسألة بدقة متناهية، حين ميز بين النحو كمَلَكَة وعلم النحو كصياغة. فعلم النحو علم بكيفية[12]، والنحو نفس كيفية، والفرق بينهما جوهري. وتعلم قواعد النحو وحدها دون تطبيق وممارسة هو كمن يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا وذلك كالخياطة والنجارة مثلا، كأن تسأل شخصا عن النجارة فيعطيك كل المعلومات النظرية عن الكيفية التي تتم بها هذه الصناعة، ولكن إذا طلبت منه أن

---

[10] رشيدة، جلال، **نظرية المقام وأثرها في حسن تعلم اللغة العربية**، ص: 29.

[11] السكاكي، أبو يعقوب، **مفتاح العلوم**، (القاهرة: المطبعة الأدبية، ط1، (د ،ت))، ص: 2-3.

[12] ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق أ.م كاترمير، (بيروت: طبعة باريس، مكتبة لبنان، 1970م)، ص: 121-122.

يصنع كرسيا مثلا عجز واحتار. إن هذا التصور عند ابن خلدون ينطبق على اللغة، حيث يقول: "إن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، وليس هو نفس العمل، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في الصناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه... أو قصد من مقصوده أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن"[13] ثم ينصح ابن خلدون مريدي امتلاك اللغة بأن يرجعوا "إلى الأمثال والشواهد والأشعار أي إلى حفظ قوالب التراكيب بأخذها من النصوص وتسييرها في منوال ملكته فيحصل حفظها في محفوظة ويندرج في أماكنه ومفاصل حاجاته"[14].

ووفق هذا المنظور الخلدوني؛ فإن المعلمين ملزمون بنقل نماذج وبنى تركيبية إلى أذهان الطلبة ليتمكنوا من استعمالها في مفاصل حاجاتهم وبطريقة عفوية، ولا يقوم ذلك إلا إذا طلب المعلم من المتعلمين أجرأة هذه المعارف النحوية النظرية، أي أن يمارس المتلقون اللغة كما تجري بالفعل في الحقيقة اليومية، ويتم ذلك مثلا بمطالبتهم بتحرير سطور تعبيرية في موضوع حياتي معين يوظف المتعلم من خلاله تلك القوالب والمعارف النحوية النظرية، وهو ما يضعنا رأسا في عنق التعليم الوظيفي الذي تتغنى به الطرائق التدريسية المعاصرة التي دعت إلى ضرورة تجاوز المنحى التربوي التقليدي الذي دعت إليه البنيوية في تدريس النحو. فما هي أهم هذه المناهج والطرائق التدريسية المعاصرة التي ظهرت على أنقاض المناهج التربوية البنوية، وكيف استطاعت المنهجية الجديدة في تعليمية النحو أن تضع يدها على مكمن الداء؟ هذا ما سنعالجه في المبحث الموالي.

2. تمظهرات المقام في تعليمية النحو في ظل المقاربة التواصلية

لما كانت الغاية الأساسية التي تنشدها تعليمية اللغات هي تمكين المتعلم من التواصل بطرق تخول له التكيف مع مختلف الوضعيات والحاجيات، احتيج إلى مقاربات بديلة تتخطى المقاربات التعليمية البنيوية وتنحو نحو مقاربات جديدة ذات بعد استراتيجي تواصلي تضع نصب عينيها مقامات التلقي في العملية التعليمية وهو ما

[13] ابن خلدون، المقدمة، ص: 1082.

[14] المصدر نفسه، ص: 1083.

أهملته الطريقة التقليدية التي كانت تدفع بالأستاذ نحو تعليم اللغة كمادة مجردة دون الاهتمام بتوظيفها، مما أدى بالطلبة بالعجز عن التعبير السليم حتى في أبسط المواقف التواصلية.

لقد تم هذا الانتقال بناءً على افتراض بديل قائم على فكرة جوهرية عمادها "أن المعرفة اللغوية تزاوج بين المعرفة بقواعد النحو والمعرفة بقواعد الاستعمال، وأنهما يكونان معا نسقا واحدا، ويتطوران معا بالطريقة ذاتها"[15]، وها هو كيفون يقر "أن دراسة الجمل بمعزل عن سياقها الطبيعي وعن متكلميها اختيار منهجي استنفذت الحاجة منه، ولم يعد من اللائق العمل به ذلك لأن عزل الجمل عن سياقها يثير شكوكا بخصوص واقعيتها من جهة، ويتجاهل دور السياق التواصلي في تحديد بنية هذه الجمل من جهة أخرى"[16]، فلا يمكننا بحال من الأحوال عزل اللغة عن استعمالها في الواقع التواصلي بحكم أنها تقوم على خصائص أسلوبية واجتماعية.

وبالتالي قضت هذه النزعة الجديدة على الأعراف التعليمية التي نظر لها شومسكي والتي كانت تنظر إلى اللغة على أنها معرفة أكثر مما هي طريقة عمل أو صناعة، وهو المفهوم الذي شاع حتى في الاستعمال العام للغة Compétence Linguistique الذي امتد إلى ميادين وعلوم أخرى، ففي أوساط التربية عموما يقال عن المعلم إنه كفء أي ذو قدرات علمية Compétent وهي بمنزلة الملكة، لكنه لا يمتلك مؤهلات في التعليم، أي ليس لديه مهارات التعليم الفعالة التي تمكنه من إتقان عمله في مقامات عملية مختلفة[17]، وعليه بات لزاما على المعلم (الأستاذ) أن يمتلك الملكة الاتصالية التبليغية أي "لا بد له أن يحسن استعمال اللغة بكيفية مناسبة تتماشى والمقامات والأحوال المتنوعة (....) وهذه الملكة التبليغية/ الاتصالية ضمنية إلى حد بعيد وتكتسب في صلب التخاطب، وتتضمن القواعد التي تعنى بجوانب مختلفة:

---

[15] البوشيخي، عز الدين، **التواصل اللغوي، مقاربة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)**، (لبنان: دار صائغ، ط1، 2012م)، ص: 29.

[16] المرجع نفسه، ص: 28-29.

[17] Voire jean cardinet , evaluation scolaire et pratique, colle pégagogie en developement, (Ed de boeck ,bruxelles , 1988) , p: 130-131.

حسن تسيير التداول على الكلام، معرفة ما يجب قوله في هذه الحالة أو تلك، معرفة مساوقة الإيماءات مع العبارات المتفوه بها مع عبارات وإيماءات المتلفظ المشارك ومعرفة مجارات الغير... ويتعلق الأمر في المحصلة بإتقان السلوكات التي تفرضها مختلف أنواع الخطابات"[18].

ومن بين العلماء الغربيين الذين كان لهم باع طويل في نقل عجلة التعليمية إلى منهج المقاربة التواصلية: الإنجليزي فيرث Firth والبولندي مالينوفسكي Malinowsky والباحث هايمز Hams، ولقد دعا هؤلاء العلماء (وهم من اللغويين وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا) كل الباحثين للكشف والتركيز على قواعد القدرة التواصلية (التداولية) للغة في مقابل القدرة اللغوية التي نظّر لها شومسكي.

لقد أصبح التعليم عامة وتعليم النحو خاصة وفق هذه المقاربة لا يعني اكتساب المتعلم القدرة على القراءة والكتابة ولا إنتاج جمل صحيحة من الناحية النحوية فقط وإنما ترمي هذه المقاربة كما يقول مايلي Miley "إلى تعليم الطالب كيفية التصرف بهذه اللغة في وضعيات الخطاب الحقيقية، أي أن يكون المتكلم قادرا على فهم وإنتاج كلام يطابق مقاصد وأغراض المشاركين في التواصل"[19] بمعنى أنه لا يجب فصل الفعل الكلامي عن المقام ويتم ذلك بالتركيز على المتلقي (الطالب) الذي أصبح وفق هذه المقاربة بمثابة قطب الرحى والركن الركين في العمليات التعليمية.

ولكن ثمة مسألة جوهرية في هذا المضمار لا ينبغي التغاضي عنها، وتتمثل في أن هذه المقاربة الجديدة في التعليمية والتي نقترحها لتعليم النحو في جامعاتنا ومؤسساتنا التربوية؛ لا ترى أن المتلقي (الطالب) مجرد وعاء أو قالب نصب فيه ما نشاء "وإنما هو كيان نفسي اجتماعي، يقوم بعمليات الانتقاء والرفض والقبول، يختار من اللغة ما

[18] مانغونو، دومينيك، **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، تر: محمد يحياتن، (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008م)، ص: 23.

[19] رشيدة، جلال، **نظرية المقام وأثرها في حسن تعلم العربية**، ص: 49.

يساعده على التكلم، وما يساعده في التفاهم والتواصل"[20] أي التعامل مع الطالب وفق مسار براغماتي منفعي "ينصب على التساؤل حول المادة اللغوية والأبواب النحوية والصرفية التي يحتاجها المتعلمون فعلا ليحققوا بها أغراضهم في المجتمع"[21].

أمام هذا الطرح؛ بات لزاما على الطرائق البيداغوجية المتعلقة بتعليم النحو في جامعاتنا الوطنية الاستثمار والتوظيف المحكم لمعطى المقام، واعتباره من الفعاليات القصوى التي يتأسس عليها الخطاب التعليمي بصفة عامة، والدرس النحوي بشكل خاص، وتظهر حجية هذا التصور الذي ندعو إليه (وتدعو إليه المقاربة التواصلية المعاصرة) في نقطتين اثنتين:

3-1- التوظيف المحكم لمعطى المقام في العملية التعليمية بشكل عام

وتظهر الفعالية الحقيقية المتعلقة بنجاح الدرس عندما يقوم الأستاذ المرسل بلعب أدوار عديدة، فأحيانا يكون سائلا، وأحيانا أخرى مناقشا وتارة موضحا...، ناقدا ... إلخ، فكل هذه الاستراتيجيات تقوم على عاملين اثنين: الأول هو المعرفة الموسوعية أو التخصصية التي يحملها هذا الأستاذ، أما العامل الثاني "هو معرفته بخصائص تلاميذه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية"[22] وهو ما يضعنا رأسا أمام نظرية المقام، والتي تلزم الأستاذ المرسل ببناء استراتيجية خطابية مناسبة لمقام التخاطب وهو ما يسمى عادة في الدراسات البلاغية بـ "مراعاة المتلقي"، فلا يمكن للفعل الكلامي أن يؤثر ويقنع إلا إذا راعى الخصوصيات الحضارية والثقافية والاجتماعية للمتلقي، فلا يمكنه مثلا أن يعالج مسائل ودروسا تفوق قدرات المتلقين ومستوياتهم.

بالإضافة إلى ذلك يسعى الأستاذ إلى بناء علاقات اجتماعية حميمية مع الطلبة، وخلق جو نفسي هادئ في القاعة مع بعض التشويق والتحفيز في تلقي المادة المعرفية، والاهتمام بانشغالات الطلبة وما يحتاجونه إليه، كما يجد نفسه ملزما على

[20] المرجع نفسه، ص: 51.

[21] Dahglian (G) et autre, pour un nouvel enseignement des langues, (paris clé international, 1984), p: 27 -30.

[22] رشيدة، جلال، **نظرية المقام وأثرها في حسن تعلم العربية**، ص: 11.

الاستعانة بطرائق تدريس المادة، ووسائل توضيحها (كالرسوم ولوحات العرض والصور والأشرطة....) تبعا لاختلاف ذاكرة التلاميذ، مع توظيفه لقرائن سمعية كالنبر والتنغيم والتوظيف المحكم للقرائن البصرية كالإشارة والحركة الجسمية، والاستثمار المحكم والدقيق لعنصري الزمان والمكان[23].

2-3- التوظيف المحكم لمعطى المقام في تعليمية النحو

لقد أصبح المقام بمثابة القاعدة المركزية التي يرتكز عليها تعليم الدرس النحوي في المقاربات البيداغوجية المعاصرة، ويعود السبب القابع وراء هذا المنحنى الذي تنشده هذه المقاربات إلى سبب جوهري مفاده؛ أن الطرائق التعليمية المعاصرة تلزم المدرسين بضرورة تدريس النحو باعتباره مطية تواصلية بالدرجة الأولى، بمعنى أن الهدف من تدريسه هو تمكين المتعلم من اكتساب القدرة على استعمال اللغة في مختلف المواقف التواصلية الحية داخل المجتمع[24].

إن هذا المجموع المؤدى كان له أثر بالغ على مجمل التصورات التقليدية التي سيطرت على المقاربات اللسانية والتعليمية التقليدية، حيث تحطم بناؤها وفُنّدت آراؤها التي كانت تنظر إلى اللغة بوصفها مجموعة من الأحكام المعيارية الجامدة والحقائق الساكنة، وعليه تحول النظر إلى اللغة من زاوية أخرى مغايرة تنهض على معطيات علم النفس وعلم الاجتماع ومفادها أن اللغة هي مجموعة مهارات، ولتحصيل هذه الأخيرة لا مناص من ممارسة اللغة في أطر تواصلية حقيقية، باعتبار أن تعليم اللغة ونحوها بمعزل عن مقام التواصل يؤدي إلى تعلم اللغة تعلما شكليا سطحيا.

يقدم لنا نهاد موسى نموذجًا من تلك القواعد المنعزلة عن الواقع التواصلي وهو في حديثه عن التعليم الجامعي، حيث يقول: "يعرض للطالب الجامعي المتخصص في العربية مثلا تعريف المبني والمعرب على هذا النحو: المعرب ما اختلفت حركة آخره باختلاف العوامل الداخلة عليه، والمبني ما ليس كذلك. فيستظهر الطالب هذا

[23] المرجع نفسه، ص: 10-18.

[24] المرجع السابق، ص: 18-19.

التعريف على ظاهره غير متجاوز ما وراء هذا الظاهر، ولا ملتفت إلى ما تحته من معنى مخبوء. وحين يسأل على طريقة في التحصيل النحوي التقليدية، ما المبني؟ يجيب المبني ما ليس كذلك"[25].

أمام هذه العتبات المعرفية، يمكن القول إن تهميش وعزل مقام التلفظ، يحفز على استخدام لغة اصطناعية، قد تعبر –في بعض تمظهراتها– عن الوضعية التعلمية، ولكن لا تملك أي علاقة جدية مع الواقع الاستعمالي للغة، وهو ما نلمسه من القول كمال بشر عندما تحدث عن أهمية الموقف اللغوي في فهم وتأويل الملفوظات: "كل محاولة لعزل المقال من دفء وجوده الطبيعي، وإحالته على شيء مشوه ممسوخ أو شيء جامد"[26]. فعندما نقول مثلا: الكتاب مفعول به لفعل محذوف، نكون قد جانبنا حد الصواب، بيد أن استنباط الفعل المحذوف وتقديره لا يقوم إلا على إدراك حيثيات وملابسات المقام، فقد يعني المتكلم افتح الكتاب إذا أراد قراءة بعض سطوره المعرفية أو مراجعتها، وقد يعني العكس أي اغلق الكتاب إذا حقق مراده المتعلق بالكتاب ... إلخ. فالبنية التركيبية المنعزلة عن سياقها الطبيعي تحتمل عدة تأويلات، وهكذا يبقى الطالب عاجزًا ومحتارًا في استعمال اللغة في واقعها التواصلي الحي من خلال التفاعل مع بعض المواقف والوضعيات الحياتية المختلفة.

بناءً على ما تقدم يمكن القول إن تعليمية الدرس النحوي ضمن المقاربة التواصلية المعاصرة تنحو نحو تحصيل الطالب كفاءة تواصلية/ تداولية تمكنه في نهاية المطاف من تعلم القواعد النحوية وهي مقترنة باستعمالاتها السياقية المختلفة التي تتغير باختلاف الوضعيات الحياتية المختلفة التي يمكن أن يواجهها الإنسان في حياته اليومية، بخلاف المقاربات البنيوية التقليدية والتي عجزت عن الإتيان بمنهج تعليمي

[25] المرجع نفسه، ص: 20.

[26] بشر، كمال، **دراسات في اللغة**، (مصر: طبعة دار المعارف، 1969م)، ص: 129.

نحوي يمكن أن يكون له صدى استعمالي سياقي يخدم التواصل ويفعّله بميكانيزمات تواصلية.

خاتمة البحث:

لقد تمخض عن هذه الرحلة البحثية العديد من النتائج والحقائق المعرفية، ويمكن ذكر أهمها في النقاط التالية:

-تعتبر المدارس اللسانية الوظيفية (خاصة التداولية) بمثابة المحضن الفكري الذي أثرى التعليمية بمقومات تواصلية/مقامية تنشد مراعات المتلقي، وتعتبره المحور الأصيل الذي تقوم عليه العملية التعليمية برمتها.

-لقد تجسدت هذه الاستفادة بعنف في ظهور ما يصطلح على تسميته بالمقاربة التواصلية حيث يؤدي اعتمادها إلى اكتساب المتعلم كفاءات تواصلية تمكّنه من التوظيف المحكم للغة في وضعيات متباينة ومختلفة.

-لقد أدّى هذا التحول المعرفي إلى تحطيم ركائز الاتجاه البنيوي وممارساته التأثيرية على حقل التعليمية، حيث كانت تدرّس البنى والأشكال اللغوية بمعزل عن سياقاتها الاجتماعية الاستعمالية (التداولية).

-إن تدريس النحو بالطرق البنيويّة التقليديّة بقي عاجزا عن الإتيان بالفائدة الحقيقية التي ينشدها كلاّ من المعلم والمتعلم، على أساس أنه يقوم بحشو أذهان المتعلمين بقوالب معرفية جامدة/ ساكنة لا ترتبط بالحياة الاجتماعية (الاستعمالية) ذات الوضعيات المختلفة، بالإضافة إلى الفتور والضجر النفسي الذي يعتري نفسية المتعلم عندما يتعامل مع أمثلة ذات قوالب جامدة بعيدة كل البعد عن السياقات الاجتماعية الاستعمالية المرتبطة به والاهتمامات التي تساوره.

-لقد بات من الضروري التوجه بالطرائق التعليمية والبيداغوجية نحو المنحى الذي يحتفي بالمعطى المقامي، والذي يمكن أن يتمظهر في موضعين اثنين وهما: الموضع التعليمي الذي يعنى بتدريس مختلف المقاييس والمواد العلمية وما يصاحبه من استراتيجيات خطابية ومن أهمها مراعات المتلقي (المتعلم) وتمثلاته القبلية والاستعانة بوسائل التدريس المناسبة للدرس وطبيعته وتفاصيله... هذا من جهة، ومن جهة أخرى

التوظيف المحكم للمقام في تعليمية النحو وهو ما يمكن تلمّسه ومعاينته في ذلك الإطار المعنى بتحصيل وتعلم القواعد النحوية وهي مقترنة باستعمالاتها السياقية المتباينة والمتجددة بطريقة سرمدية تبعا للوضعيات المتعددة وغير المتناهية التي يمكن أن يجابهها المتعلم في حياته وهو ما يتموضع ضمن مجال ما يصطلح على تسميته في الدرس التداولي المعاصر بمصطلح الكفاءة التداولية.

المصادر والمراجع:

- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق أ.م كاترمير، بيروت: طبعة باريس، مكتبة لبنان، 1970م.
- بشر، كمال، دراسات في اللغة، مصر: طبعة دار المعارف، 1969م.
- بوحوش، رابح، البنية اللغوية لبردة البوصري، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م.
- البوشيخي، عز الدين، التواصل اللغوي، مقاربة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، لبنان: دار صائغ، ط1، 2012م.
- حساني، أحمد، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2000م.
- رشيدة، جلال، نظرية المقام وأثرها في حسن تعلم اللغة العربية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2012م.
- زكريا، ميشال، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1985م.
- السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، القاهرة: المطبعة الأدبية، ط1، (د ،ت).
- مانغونو، دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008م.
- مجاهد، ميمون، تعليمية اللغات من التأسيس إلى الاهتمامات، مجلة متون، العدد الرابع،ديسمبر، الجزائر.

- مصابيح، محمد، تعليمية اللغة العربية وفق المقاربات النشطة، من الأهداف إلى الكفاءات، الجزائر: taksidj.com للدراسات والنشر والتوزيع، 2014م.
- مقران، يوسف، مدخل في اللسانيات التعليمية، الجزائر: دار كنوز الحكمة، 2013م.

المراجع الأجنبية:

- Dahglian (G) et autre, pour un nouvel enseignement des langues, (paris clé international, 1984).
- Jean dubois est autre, dictionnaire de linguistique, (paris ,édition larousse,1973).
- Voire jean cardinet , evaluation scolaire et pratique, colle pégagogie en developement, (Ed de boeck ,bruxelles , 1988).

بكاء الأهل في الشعر المغاربي القديم: دراسة موضوعية

د. محمد بوعلاوي *
Email: boualaoui.med@gmail.com

ملخص البحث:

الرثاء من أصدق الأغراض الشعرية وأكثرها تعبيرا عن العاطفة، فلا توجد أمة من الأمم إلا وتبكي موتاها بكاء يصوِّر حزن الإنسان ومأساته، وقد عرف العرب فن الرثاء منذ القديم، والصور التي وردت في مراثيهم راقية تعبر عن شعور عميق. وفي الشعر المغاربي القديم يقف الباحث على كثير من القصائد في رثاء الأهل والأقارب أثرت الشعر العربي وصورت البيئة المعيشة، وجاءت قصائدهم الرثائية على شكل فلسفة وجودية ملونة بأبعاد فكرية.

كلمات مفتاحية: الشعر المغاربي، الرثاء، القديم، دراسة موضوعية.

Abstract:

Elegiac poetry is one of the truest poetic purposes and the most expressive of emotion. The Arabs have known the art of Elegy since time immemorial. The images in their elegies express a very deep feeling. In the ancient Maghreb poetry, the researcher finds many poems related to the lament of parents and relatives which enriched Arabic poetry and portrayed the living environment. Their Elegiac poems came in the form of an existential philosophy with intellectual dimensions.

الرثاء في الشعر العربي:

عرف الشعر العربي فن الرثاء منذ القدم، عرفه لما كان الموت كأسا دائرة على الجميع، وحوضا لابد من وروده، حينها لجأ الشاعر إلى هذا الفن لتصوير آهاته وحسراته وزفراته في لوحات فنية رائعة، كأقوى ما يكون عليه الشعور إزاء ما يحل به من عاديات الزمن وتقلبات الدهر، لا بل إزاء هذا المجهول الذي يتربص بالبشرية جمعاء، ويمكن القول: "الرثاء وجع عربي بامتياز" فدواوين الشعراء العرب غاصة بأشعار كثيرة بارعة، مفعمة بانفعالات شتى وبتأثر شديد، تأخذ بمجامع القلوب

* أستاذ الأدب العربي القديم، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر.

وتحرك كوامن النفوس، ومن أشهرها وأحسنها على الإطلاق تلك المراثي التي جمعت بين التفجع والتألم والتأوه للمرثي من جهة، وبين الحديث عن أمجاده واستعراض شيمه وخلاله التي كانت تعرف عنه في الدنيا من جهة أخرى.

ففي العصر الجاهلي كان الرثاء في معظمه رثاء أفراد، كالتفجع على الأقارب، والاعتراف بفضل الأبطال، والاعتزاز بمناقب الأشراف، وشعر "المهلهل" في رثاء أخيه "كليب"، و"الخنساء" في رثاء أخيها " صخر" أروع من مثّل ذلك، فقد كان رثاؤهما زفرات حرّى، تنبع من فؤاد صادق العاطفة، منفطر الوجدان، مع وضوح المعنى، وفصاحة اللفظ، ومتانة التركيب، وعذوبة السبك، والصور التي بين أيدينا من هذا الرثاء صور راقية تعبر عن شعور عميق بالحزن والألم، ولا شك أن هذا التعبير قد سبق بمراتب كثيرة من تعبيرات ساذجة عن الموت والموتى.

ولعل أقدم صور الرثاء عندهم "ما نقش على قبورالأقيال[1] والأذواء[2] في اليمن والأمراء في الحيرة وعند الغساسنة في الشام"[3]. وعليه وجد الرثاء طالما وجد الموت.

وفي صدر الإسلام من البعثة إلى سنة 40هـ ظهرت قيم دينية وخلقية وليدة الرسالة المحمدية، مع نزعة العزاء التي تدعو إلى التسليم بقضاء الله وقدره، احتسابا للأجر وطلبا للمثوبة، مصداقا لقوله تعالى "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ منَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ" (البقرة: 155).

أما في العصر الأموي (40 إلى 132هـ) فقد استمر الشعراء ينظمون مراثيهم مقتدين بمن سبقهم من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام.

وفي العصر العباسي (132 إلى 656هـ) شاع رثاء الخلفاء والأبطال ممزوجا بالحماسة، وظهرت ضروب من الرثاء لم تكن معروفة من قبل كرثاء المدن بغداد والبصرة وغيرهما.

---

[1] الأقيال ملوك حمير.

[2] الأذواء ملوك اليمن.

[3] ضيف، شوقي، **الرثاء**، (مصر: دار المعارف ط4، 1955م)، ص: 7.

أما في عصر الضعف (656 إلى 1213هـ) تدهور فن الرثاء وجمد كباقي أغراض الشعر بسبب تردي الحياة السياسية والاقتصادية.

وفي العصر الحديث ابتداء من (1213هـ) فقد استعاد الشعر مكانته، وأخذ الشعراء يطرقون في مراثيهم مناقب المرثي الاجتماعية، وأدخل على المرثية الحديثة، ما يتصل بالنزعات السياسية والوطنية.

رثاء الأهل في الشعر المغاربي القديم:

1. رثاء الأبناء: الابن فلذة الكبد وزهرة العمر وزينة الدنيا، فكلما سطا الموت عليه تقطع القلب ألما وحسرة وخيّم الحزن، فتتدفق قرائح الشعراء بشعر يسيل عاطفة ويتقاطر حنانًا، لأن الشاعر يرثي أعز من يحب، و يرثي في حالة من الانفعال شديدة، وفي حالة من الحزن المتراكم، والفاجعة قد تفقده الاتزان النفسي والتماسك العقلي، لأن " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً" (الكهف: 46).

"ولعلّ أقدم صور الندب والنواح في شعرنا العربي هي صورة ندب الأهل والأقارب والنواح عليهم"[4]، ومن يطلع على أيام العرب ووقائعهم، يدرك أنّ لهم في كل وقت صرعى، وكل صريع تبكيه البواكي وتندبه النوادب من أهله وأقاربه، وتظل علاقة الإنسان بأصوله وفروعه أقوى العلاقات إذ يرى فيهم سكنه ويأمن لوجودهم، ويجزع لفقدهم ويتألم لفراقهم.

وفي الشعر المغاربي القديم نقف عند "بكر بن حماد التيهرتي" (200- 296هـ)[5] حين رثي ولده "عبد الرحمن" بعد أن قتله لصوص بالقرب من "تيهرت" سنة 295هـ، قائلا: (الوافر)

بكيت على الأحبة إذْ تولوا ولو أنّي هلكتُ بكوا عليّ

[4] المصدر نفسه، ص: 13.

[5] هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي أو التيهرتي، نشأ بتيهرت وأخذ عن علمائها، والتحق بالقيروان حوالي 217 هـ، فأخذ بها عن الإمام الجليل "سحنون"صاحب"المدونة"]، ثم انتقل إلى المشرق وطاف بحواضره العلمية.

فيا نسلي بقاؤك كان ذخراً وفقدُك قد كوى الأكباد كيّا
كفى حزناً بأنني منك خِلْوٌ وأنك ميتٌ وبقيتُ حيّا
ولم أكُ آيساً فيئستُ لمّا رميتُ التربَ فوقك من يديّا[6]

صبغة وجدانية هي صوت للألم الشاكي في إباء ورصانة، فالابن قتل أمام ناظري الأب، وواراه التراب بيديه، وكان الأب شيخا طاعنا تجاوز من العمر التسعين، وهو بحاجة إلى من يشدّ عضده، فتداعت أبياته تنزف حزنا وألما.

فليت الخلق إذْ خلقوا أطاعوا وليتك لم تكن يا بكر شيّا
تُسر بأشهر تمضي سراعاً وتُطوى في لياليهن طيّا
فلا تفرح بدنيا ليس تبقى ولا تأسف عليها يا بنيَّا[7]

استعار الشاعر قبسا من نور الحكمة ليسترشد به في دروب الحياة المظلمة، وقد امتاز شعره بـ"حثه على الإعراض عن الدنيا ونبذ محاسنها وملاذها، فكان زعيما من زعماء الطريقة الفلسفية في الزهد"[8]، والقصيدة رغم قصرها إلا أنها حافلة بالعواطف الجياشة والعظات البليغة يغلب عليها طابع الندب فالرابطة التي تربط الشاعر بالمرثي رابطة أبوة.

ومما يدل على أن الشاعر كان شديد التفجع على موت ابنه، فقد رثاه بأبيات أخرى -وربما بقصائد أخرى- ضاعت كما ضاع أكثر شعره لعدم استقراره وتنقله بين العراق والقيروان وتيهرت، يقول: (الطويل)

وهوَّنَ وجْدِي أنني بك لاحقٌ وأنَّ بقائي في الحياة قليلُ
وأنْ ليس يبقى للحبيب حبيبه وليس بباقٍ للخليل خليلُ

[6] شاوش، محمد بن رمضان، **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد**، (المطبعة العلوية مستغانم، ط1، 1966م)، ص: 89.
[7] المرجع نفسه، ص: 87.
[8] المرجع نفسه، ص: 88.

ولــو أنّ طــول الحــزنِ ممّــا يــردهُ للاَزمنـــي حـــزنٌ عليـــه طـويـــل[9]

استحضر الشاعر الحكمة لتهجيع أوار الفاجعة وتسليم الأمر للقدر ولسنة الكون والحياة ومن هنا كانت عاطفته هادئة قليلاً، فلحاقه بابنه لا شك واقع، وأنْ لا أحد يبقى مع من يحب، وهي رؤية إنسان صهرته الحوادث وعلمه تعاقب الليل والنهار، فبات يدرك لو أن الحزن يرد الفقيد للازمه طويلاً؛ والمقطوعتان عبارة عن ندب لا تأبين به.

وقد استمد الرثاء معانيه عند "بكر بن حماد" من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واقترن عنده بالزهد.

أما الأمير" أبو زكريا " فيقول راثيا ولده "أبا يحي" ولي العهد" ببجاية": (الطويل)

ألاَ جــازعٌ يبكـــي لفقــد حبيبـــه فـإني لعمـري قـد أضـرّ بـيَّ الثكـلُ
لقـد كـان لِـي مـالٌ وأهـلٌ فقـدتهم فهـا أنـا لا مـالٌ لـديَ أهـل ولا أهـلُ
سـأبكي وأرثـي حسـرة لفراقـهم بكـــاء قريـــحٍ لا يمـــلُّ ولا يســـل
فلـهفي ليـومٍ فـرَّق الـدَّهر بيـــننا ألاّ فـــرجٌ يرجـــى فينـــتظم الشّـــملُ
وإنِّـي لأرضـى بالقضـاء وحكمـه وأعلـم ربّـــي أنّـــه حـــاكمٌ عـــدلُ[10]

عزف الشاعر على الأوتار الشجية، بعد أن عدت العوادي على ولده وأهله وماله، ثم أسلم لمشيئة الله وحكمه، وهي قيم استمدها من مرجعيته الإسلامية.

ولـ "ابن حمديس الصقلي" (447 /527هـ) (1055-1133م)[11] قصيدة رثى بها صبية تبناها توفيت بـ"بجاية" "قد رأينا أنه في إقامته بـ" بجاية" قد تبنى طفلة صغيرة وحنا

[9] المرجع نفسه، ص: 89.

[10] محمد بن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان، **إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر**، (تلمسان: دار بريسكي، ط2، 2002م، ص: 28.

[11] هو أبو الفضل محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي، ولد بمدينة سرقوسة من جزيرة صقلية وبها نشأ ... هاجر إلى الأندلس عام (471هـ / 1078م) بعد أن مر بالمغرب من أقصاه إلى أدناه، ونزل على المعتمد بن عباد وامتدحه، دخل المغرب الوسط واستوطنه مقيما تارة بـ "تاجنة" وطورا بـ "بجاية".

عليها حتى كبرت، فزوجها هناك بينما رأيناه انتقل إلى"صفاقس" واستقر بها"[12] وكانت قد ماتت حزنا على الشاعر بعد أن وصلها نعيه -كذبا- فقال في ذلك وهو معنى انفرد به: (الطويل)

ننام من الأيّام في غرض النّبل ونغذى بمرّ الصّاب منها فنستحلي
وقد فرغت للقوم في غفلاتهم حتوفٌ بهم تُمسي وتُصبح في شغل
أرى العالَم العلوي يفنى جميعه إذا خلت الدنيا من العالم السفلي
ويبقى على ما كان من قبل خلقه إلهٌ هدى أهلَ الضلالة بالرسل
ويبعث مَن تحت التراب وفوقه نشوراً إليه الفضلُ يا لك من فضل[13]

رؤيا فلسفية للموت وللحياة، للبداية وللنهاية استهل بها الشاعر قصيدته، وأرجح أن الشاعر قد خاض في مذهب الفلاسفة الذي كان متداولاً بـ "الأندلس" التي تواجد بها قبيل مجيئه إلى "بجاية"، ثم قال:

فيا غرسة للأجر كنت نقلتها إلى كنفي صوني وألحفتها ظلي
وأنكحتها من بعد صدقٍ حَمدتهُ كريماً فلم تذممْ معاشرة البعل
أتاني نعي عنك أذكى جوَى الأسى عليَّ اشتعال النَّار في الحطبِ الجزل
وجاءك عنِّي نعيّ حيّ فلم يجز لكِ الكحلَ فيه ما لبِسْتِ من الكحل

والبيت الأخير يصوِّر بعض مراسيم الحزن التي كانت سائدة آنذاك، من لبس للسواد وترك للزينة والطيب، ثم قال:

أساكنةَ القبرِ الذي ضمّ قطرهُ على البِّر منها والدّيانة والفضل
أصابك حزنٌ من مصابي قاتلٌ فهل أجلٌ لاقاكِ قد كان من أجلي
وخلفتِ في حجر الكآبة للبكا بناتٍ لأمٍ في مفارقة الشملِ[15]

[12] زين العابدين بن السنوسي، **عبد الجبار بن حمديس**، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1983م)، ص: 107.
[13] المرجع نفسه، ص: 108.
[14] المرجع نفسه، ص: 109.
[15] المرجع نفسه، ص: 109.

ناجى الشاعر ساكنة القبر ذات الدين والخلق والفضل والوفاء وهي قيم افتقدها بموتها، ويمكن إسقاط هذه المعاني على ثقافة الشاعر الدينية التى رسم من خلالها صورة للمجتمع على أيامه، إذ سادت الفضيلة والتآزر والتكافل، ثم وصف حزن وكآبة بناتها لهول ما حلَّ بهن، فصرن كأفراخ حمامة صادها طائرٌ جارح لا يقدرون على الطيران، وليس باستطاعتهم تدبير شؤونهم، وفي الأخير سأل اللّه الرحمة لها واللطف بها.

أما "عفيف الدين التلمساني" (610-690 هـ/ 1213– 1291م) [16] فرثى ولده "شمس الدين محمد" المعروف بـ"الشاب الظريف"، وذكر أخاه "محمد" بقصيدة منها، قوله: (السريع)

مالي بفقد المحمّدين يدُ ... مضى أخي ثمّ بعده الولدُ
يا نارَ قلبي وأين قلبي أو ... يا كبدي لو تكونَ لي كبد
يا بايعَ الموت مشتريه أنا ... فالصّبر ما لا يصاب والجلد

استهلال عنيف يدل على هول الفاجعة وجلالة الخطب وعلى ترنح الشاعر، فلا الصبر يسليه ولا الموت يلحقه بأخيه وولده.

أين البنان التي إذا كتبت ... وعاين الناس خطها سجدوا
أين الثنايا التي إذا ابتسمت ... أو نطقت لاح لؤلؤ نضِد

بكى الشاعر بنان ولده وثناياه، وركز على المعاني الحسية فالفقيد فلذة الكبد وصورته لم تبرح الذاكرة.

ماذا على الغاسلين إذْ قرب الـ ... أملاك منه لو أنهم بعدو
قد حملت نفُسه العلومَ إلى الـ ... فردوس والنعش فوقه الجسد

رفع الشاعر ولده إلى مرتبة الشهداء الذين تتولى الملائكة تغسيلهم، ويزفون إلى الجنة دون حساب، وقد أهلته لذاك منزلته العلمية، ومنه نستخلص أن العلماء على أيام

[16] هو سليمان بن علي بن عبد الله الكومي التلمساني الملقب بعفيف الدين، ولد بتلمسان ثم ارتحل إلى الشرق، فدخل القاهرة ثم سافر إلى بلاد الروم... ثمّ استوطن دمشق.

الشاعر كانت لهم مكانة مرموقة فكان طالب العلم يضاهي المجاهد في سبيل الله، ثمّ قال:

بـــي كبـــر سنّـــي وأمّـــكَ قـــد شـــاخت فمـــن أيـــن لـــي تُـــرى ولـــدُ
وهبـــه قـــد كـــان لـــي فمثـــلك لا يرجـــى وأيـــن الزمـــان والأمـــدُ

ما تصنّع الشاعر وما تكلف، بل ترك نفسه على سجيتها، فانسابت القوافي انسيابا عن طيب خاطر، فقد استولى اليأس على نفسه وعم الحزن أرجاء البيت، خاصة أنّ الأبوين قد كبرا، ولا قدرة لهما على الإنجاب، ثم أضاف قائلاً:

يـــا ليـــتني لم أكـــن أبًـــا لـــكَ أو يـــا ليـــتَ مـــا كنـــت أنـــت لـــي ولـــدٌ
لـــو أنّ عـــينيَّ منـــك مـــا رأتـــا مـــا رأتـــا مـــا دهـــاهما الرّمـــدُ
لـــو أنّ أذنـــيّ منـــك مـــا سمعـــا نطقـــاً لمـــا صمتـــا لمـــا أجـــدُ
لـــو احتماليـــك باليديـــن إلى صـــدري لم ترتـــعش عليـــك يـــدُ [17]

حسرة لازمت الشاعر وحزن فتت كبده فقد تمنى وله أن يتمنى، فالأماني جسور يعبر فوقها إلى الهناءة والحبور، ونلمس عاطفة الأبوة تتقد في أحشائه، لأنه يرثي ولده حيث فقده على الكبر حين احتاج إليه -وربما كان وحيده- خاصة وهو بعيد عن موطنه الأصلي "تلمسان" "ونحن نفهم المرثاة، نشرحها، نعالجها، ونظهر خصائصها، ولكننا لا نمر في جحيم الرؤيا التي يعانيها صاحب الأبيات، ومن هنا كان الشعر لمحات قبل أن يكون محطات وحدودا"[18] والقصيدة حافلة بهذه المعاني.

2. رثاء الوالدين: حث الإسلام على البر بالوالدين والإحسان إليهما، وقد وظّف الشعراء هذه المعاني في أشعارهم، فهذا "أبو حمو موسى الزياني" (639 – 791هـ)[19]

[17] ابن شاكر، **فوات الوفيات**، ج 1، ص: 365 – 366. الموسوعة الشعرية.

[18] جورج غريب، **سلسلة الموسوعة في الأدب العربي**، ج2، (لبنان: دار الثقافة، (د.ت))، ص: 68.

[19] يتصل نسبه بـ" أبو حمو موسى الزياني" مؤسس الدولة العبد الوادية يغمراسن ابن زيان، هو "أبو حمو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن" ولم تكن الإمارة في أحدٍ من أسلافه بعد "يغمراسن".

راثيا أباه "أبو يعقوب الزياني" الذي توفي سنة (763هـ)، بقصيدة[20]، قال فيها: (الكامل)

دنِفٌ تذكّـر حسـرةَ التوديـعِ وهـنيء وصـل بالنـوى مقطـوعِ
ولمـا عـرا مـن فقـد خيرِ أحبتـي ومـرارة التوديـعِ والتشييـعِ
فبكيتُ مـن أسـفٍ لـذاك كمـا حزَنـاً عليـه منـازلي وربـوعِي

الذكرى هيّجت عواطف الشاعر فبكى أباه بلوعة، واستبكى المنازل والربوع، وأشرك سامعيه في مآسيه، إلى قوله:

والقصرُ أمسى ما حلاً مـن بعـده ومنـازل تزهـى بكـلّ صـنيع
ونمـارقٌ مصفوفـة قـد زُينـتْ مـن درّهـا المنظـومِ بالتـرصيع
ومقاصـرٌ لم يُـبنَ قـط مثالهـا مـن قبـلُ للمـأمون والمخلـوع

صور للقصر وما يحتويه من نمارق ومقاصر فاقت قصور بغداد، ومن القصيدة يمكن أن نتصور العمران ونستحضر بعض المراسيم السياسية على أيام الزيانيين، خاصة وآثارهم بـ" تلمسان" لا تزال ماثلة لأولي الأبصار، ثم يقول:

والأسْـدُ تخضـع والملـوك تهابُـه فلكَـمْ لـه مـن سـامعٍ ومطيـع
ولكـم تزاحفـتِ الكتائبُ خلفَـه فيَـروعُ بأسـاً وهـو غـير َمـروعِ
ولكم عساكـرُ قادها يومَ الوغَـى مـن كـلّ صـنديدٍ بكـلّ نَجـُوع
مـن خير قـوم مـن أجـلّ عشـيرة وأعـزِّ مُنتسـب إليـه رفيـع
سبط الحسـين ابـن البتـول وجـدّه خيـرُ الأنـامِ أجـلَّ كـلّ شـفيع
مـن كـان هـذا أصلُه أو فصلـه فلـه العلـى في منـزِل التّـرفيع
قـد حـاز أشتـاتَ المحـاسنِ كلّهـا فأعجـبْ لحسـن ثنائـه المجمـوع

كان الفقيد مهاب الجانب، قائدا مغوارا لجيشٍ عرمرمٍ فقدَ فيه الشاعر البطولة والإقدام والنسب الشريف، أما شيمه فمكارم الأخلاق من عدل ورحمة وحمى لمن

[20] حاجيات، عبد الحميد، **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1994م)، ص: 333.

يلوذ به، ومن الإشارة إلى آل البيت ندرك مدى شيوع بعض معاني الدعوة الفاطمية في ربوع الجزائر حتى حقب متأخرة.

لو كان يعرضُ للفداء فديتُه ... بالدّرثمّ بعسجدٍ مطبوعِ
وبما ملكتُ وناظريَّ وحُشاشتي ... ومهجتي وبقلبيَ المصدوع

ليت الموت يقبل فدية ليفدي الشاعر والده بأعز ما يملك من مال أو نفس، وهو معنى مستهلك منذ الجاهلية، حتى قوله:

فاحذر زمانك لا يغرك إنه ... في شهده يأتي بكلّ فظيع
وكذلك الدنيا فلا تأمن لها ... فلكم تغرّ بوصلها المقطوع
ولكم غدا في أسرها من ماجدٍ ... ولكم لها من ضيغم مصروع
أين الملوك وأين ما قد جمّعوا ... من كلّ ذخر في الحياة رفيع
ساروا فلم تسمع لهم خبراً ولم ... تر منهم أثراً يلوح بريع
وأبادهم صرف الزّمان وخلفوا ... ما جمّعوا من جنة وزروع
لم يبق منها غير فعلٍ صالحٍ ... يملأ الصحيفةَ، أو ثنا مسموع[21]

نظر الشاعر إلى الدنيا وأحوالها -من عليائه- نظرة حزن وأسى ولكن قلبه عامر بالتقوى والورع، فسرد جملة من الحكم ممزوجة بالتأسي بالملوك السابقين الذين أبادتهم صروف الزمان، وخلفوا ما جمعوه وراء ظهورهم، ولم يقدموا أجلّ من العمل الصالح، ولم يبقوا أفضل من الثناء الحسن، وختم قصيدته بالصلاة والسلام على الرسول، وطلب الشفاعة منه يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وللشاعر قصيدة ثانية في رثاء والده دائما، قال فيها: (من بحر البسيط)

صبٌ تذكر عهدا بالحمى سلفًا ... فظلّ يسكب دمعًا هاطلاً وكفا
وبات من شدّة الإشراف في قلقٍ ... وخامرت عقلَه الأفكارُ فاختلفا

[21] المرجع نفسه، ص: 133-135.

وهيّجته الصّبا يومًا بهم فصَبا وصاح من وهج التبريح وا أسفا
وظلّ يركض في ميدان مِرته ولا درى أن ناعي الموت قد هتفا

الذكريات أذكت أحزان الشاعر وألهبت مواجعه فأخلد إلى البكاء، متعجبا من تقلبات الدّهر، ثم قال:

قد كان لي في الدُّنى أبٌ يساعدني فصار تحت الثرى في لحده اكتنفا
مددت في ظلّ نعماه يدي زمناً ونلت من رفده في دهره التحفا
رعى جناني وليدٌ غير مضطجرٍ حتى ترعرعتُ في ظل له ورفا
وكلما قد رآني صرت يافعة زها وسرّ وأسدى لي منه عرفا[22]

أبّن الشاعر أباه الذي ثوى تحت الثرى فقد كان سندًا له، عاش في كنفه سعيدًا هنيئًا حتى استوى رجلاً، رباه ليكون له خلفًا، ثم استسلم لليأس وللدموع، واستسقى الغمام لقبر والده على عادة الشعراء العرب في جل مراثيهم، وتأسى بالملوك السابقين الذين بنوا وشيدوا وغرتهم الدنيا، حتى جاءهم قدر الله الذي لا مرد له، مصداقًا لقوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" (الأنبياء: 35).

3. رثاء الزوجات: الزوجة سكن الرجل وشريكته في هموم الحياة ومربية أولاده، وحالة فقدها يبكيها الزوج ويؤبن فيها المكارم والقيم التي كانت تتحلى بها، وقد بكى رسول الله زوجته "خديجة بنت خويلد" وما انفك يذكرها. وخلد الشعر العربي قصائد عصماء في رثاء الزوجات، كقصيدة جرير التي يقول في مطلعها:

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وممن رثى زوجته من شعراء الجزائر القدماء "ابن حمديس الصقلي" بهذه القصيدة التي أوردها صاحب موسوعة "إرشاد الحائر"[23] ضمن الأدب الجزائري وقد أنشأ

[22] المرجع نفسه، ص: 136.

[23] شاوش، محمد بن رمضان، والغوثي بن حمدان، **إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر**، ص: 104.

الشاعر هذه القصيدة على لسان ابنه وناجى بها أخاه الرضيع، قائلا: (من بحر الخفيف)

أيّ خطـبٍ عـن قوسـه المـوت يرمـي وسـهامٌ تصيـبُ منـه فتُصمـي
يسـرِع الحـيّ في الحيـاة بـبرءٍ ثـمّ يُفضـي إلـى الممـات بسُـقم
فهـو كالبـدر ينقصُ النّـورُ منـه بمحـاقٍ وكـان مـن قبـلُ ينمِـي
كـل نفـسٍ رميـة لـزمـانٍ قـدر سـهمٍ لـه فقـل كيـف يرمـي

نظرالشاعر إلى الموت نظرة عارف يرى أنّ سهامه صائبة لا تخطئ أحدًا، وشبه المرء بالهلال الذي يكتمل بدرًا ثم يتناقص حتى يتلاشى، كذلك الإنسان يجيء إلى الدنيا سليمًا معافى ويغادرها مريضًا متهالكًا.

أيـن مـن عمّـر اليبـاب وجيـلٌ لـبس الـدهر مـن جديـسٍ وطسـمِ
وملـوكٌ مـن حميـر ملـؤوا الأر ضَ وكانـت من حكمهم تحت خَتمِ
وجيـوشٌ يُظـلُّ غـابُ قناهـا أسـداً مـن حُمـاة عـرب وعجـم
كشـر الدهـرُ عـن حـدادِ نيـوب أكلتـهم بكـل قـضمٍ وخضـمِ
ومُحـوا مـن صحيفـةِ الـدّهر طـرا محـوَ هُـوج الرّيـاح آيـاتِ رسـم[24]

هنا دعوة إلى الاعتبار بالملوك السابقين ممّن عمروا الأرض، وأخضعوا الأمم لكن يد الدّهر أبادتهم كما أبادت غيرهم من ذوي الجاه والسلطان، ونهيٌ عن التمادي في الأخذ بتلابيب الدنيا الزائلة، وهو اتجاه أدبي يصور علاقة الشد والجذب بين الدين والدنيا، ثمّ قال:

لـو بكـى نـاظري بصـوبِ دمـاءٍ مـا وفـىّ الأسَـى بحسـرةِ أمِّـي
مـن توسّـدت في حشـايا حشـاها وارتـدَى اللحـم فيـه والجلـد عظمـي
وضـعتني كرهًـا كمـا حملتنـي وجـرى ثديـها بشُـربي وطعمـي

[24] المرجع نفسه، ص: 105.

الأم أرضعته بعد أن حملته في أحشائها ورعته صغيرًا وحنت عليه، معان طرقها الشاعر على لسان ولده وهي سطحية متداولة لم يأت فيها بجديد، وأضاف:

يـابن أمـي إنـي بحكمـك أبكـي فقـدَ أمـي الغـداة فابْـك بحُكمـي

قُسـمَ الحـزنُ بيننـا فثبيـرٌ لـك قسـمٌ ويـذبل منـه قسـمي

لم أقـل والأسـى يصـدق قولـي جَمـدتْ عَبـرَتي فلُـذتُ بحِلمـي

ولـو أنّـي كففـتُ دمعـي عليـها عقنـي برهـا فأصبـح خصـمـي

استبكى الشاعر أخاه وقاسمه أحزانه، واعتبر أن كفكفة دموعه يعد عقوقًا لوالدته، ثم استرسل قائلاً:

بأبـي منـكِ رأفـةٌ أسنـدوهـا فـي ضريـحٍ إلى جنـادل صـم

وعفـافٌ لـو كـان في الأرضِ عـادتْ كـلّ عظـمٍ مـن الدفيـن ولحـمِ

وصيـامٌ بكـل مطلـع شمـسٍ قيـامٌ بكـل مطلـعِ نجـمِ

ولسـانٌ دعـاؤه مستجـابٌ لـيَ أودعتُـه الرّغـام برُغمـي[25]

أبن الشاعر زوجته على لسان ولده، فهي العفيفة المتدينة التي تنفق مالها في سبيل اللّه، صاحبة الدعاء المستجاب، والذكر الطيب بين الناس وكلها محامد أخلاقية جلبت لها الثناء الحسن؛ والملاحظ أن الشاعر في رثائه لزوجته تقمص شخصية ولده، ويمكن تعليل ذلك بأن بكاء الرجل زوجته وذكر اسمها تصريحا كان يعد منقصة، واسم الأنثى لم أقف عليه عند شعراء الجزائر القدماء عامة عدا بعض الكنى، ولم أجهد نفسي في تفسير ذلك فالظاهرة لا تزال واسعة الانتشار في ربوع "الجزائر" إلى يوم الناس هذا.

خاتمة البحث:

تميزت قصائد رثاء الأهل في الشعر المغاربي القديم بالآتي:

[25] المرجع نفسه، ص: 106.

- برع الشعراء في تجسيد وجعهم وحرقتهم عبر استثمار معجم شعري خاص بهم.
- استعملوا الرمز أحيانا كأداة في تجسيد حرقتهم.
- أهم سمة ميّزت أشعارهم صدق العاطفة، لأنّ الشاعر ينظم قصيدته إثر فاجعة أصابته.
- باعتبار أن الموت مقدّر على الجميع وأنْ لا شيء يرده، وقف بعض الشعراء موقف الحكيم الذي يشخص ويعلل الظاهرة، وعلى هذا جنحوا إلى ضرب الأمثال والدعوة إلى الاعتبار بالأمم البائدة.
- اقترن في بعض القصائد بكاء الفقيد وبكاء النفس.
- التكرار: لأن التكرار عبارة عن دفقات شعورية وزفرات حرّى ينفثها الشاعر ساعة حزنه.
- جاءت قصائدهم محملة بالثنائيات الضدية وتكرار المعاني المأساوية.
- بعض القصائد صورت مظاهر الحزن: كلبس السواد والتخلي عن الزينة والتأبين...

المصادر والمراجع:

- حاجيات، عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1994م.
- زين العابدين بن السنوسي، وعبد الجبار بن حمديس، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983م.
- شاوش، محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، مستغانم: المطبعة العلوية، ط1، 1966م.
- شاوش، محمد بن رمضان، والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، تلمسان: دار بريسكي، ط1، 2002م.
- ضيف، شوقي، الرثاء، القاهرة: دار المعارف، ط4، 1955م.
- غريب، جورج، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي، بيروت: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ الطبع غير مذكور.

دراسة في المؤلفات الأدبية لواضح رشيد الندوي

محمد محبوب عالم *
Email: mahboobjnu@gmail.com

ملخص البحث:

ألَّف واضح رشيد الحسني الندوي عددًا كبيرًا من الكتب التي تتناول الموضوعات الأدبية والفكرية والإسلامية. وتلقت مؤلفاته الأدبية شهرةً في الأوساط الأدبية وشهدت إقبالاً كبيرًا لدى دارسي اللغة العربية وآدابها والباحثين فيها، إذ كانت الحاجة ماسةً إلى ظهور مثل هذه الكتب القيمة للطلاب الهنود في المدارس الإسلامية والجامعات العصرية على السواء.

ويعود سبب اختيار موضوع البحث إلى إبراز خصائص كتبه الأدبية، فسيبحث هذا المقال في مؤلفاته الأدبية التي أكسبته صيتًا كبيرًا وسمعةً طيبةً في الأوساط العلمية والأدبية. ويعتمد المقال على منهج تحليلي.

كلمات مفتاحية: واضح رشيد الندوي، المؤلفات الأدبية، اللغة والأدب، ندوة العلماء.

Abstract:

Wazeh Rasheed Hasani Nadwi was one of the unique figures in Arabic language, literature and journalism because of his wonderful and attractive style of writing. His life was full of valuable achievements in various fields such as Islamic and literary studies, Arabic journalism, teaching and administration. Wazeh Nadwi achieved great fame around the world by his valuable articles published in "Al Baas Al Islami" and "Al Raid" on various topics related to Islam, its teachings and principles, and what Islam faces today by enemies.

The reason for choosing this topic is to highlight the characteristics of his works dealing with the Arabic language and Literature, adopting an analytical method.

مقدمة:

عاش السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي (رحمه الله) حياة حافلة بخدمات جليلة في مجالات العلم والأدب والصحافة والتاريخ، وتلقى مكانًا بارزًا لدى العلماء

* باحث، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

المعاصرين الذين يبدون إعجابهم به ويعترفون بفضله وعلمه وأدبه ويقرون بسعة اطلاعه على الأوضاع الراهنة في العالم وتحليلها تحليلاً دقيقًا شاملاً.

كما نال قبولاً وتميزًا في أنحاء العالم بمقالاته القيمة المنشورة في مجلة "البعث الإسلامي" وصحيفة "الرائد" الصادرتين عن دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ، حول مواضيع مختلفة من الإسلام وتعاليمه ومبادئه وما يواجهه الإسلام اليوم من التحديات الغربية والتهديدات الصهيونية ومؤامرات المستشرقين وأعداء الإسلام.

انخرط في سلك التدريس في دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ بعد أن عمل كمترجم ومذيع في إذاعة عموم الهند بنيو دلهي لمدة عشرين عامًا فقدّم استقالة طوعية من منصبه ليشتغل بعملية التدريس ويتفرغ للكتابة حيث كرّس حياته لخدمة اللغة العربية وآدابها عن طريق التدريس والكتابة والترجمة.... كان يتمتع بعدة مواهب ومؤهلات، فكان صحفيًا كبيرًا ومحلّلا سياسيًا بارزًا ومترجمًا قديرًا ومُطَّلِعًا تامًا على الفنون الأدبية قديمًا وحديثًا.

(تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي))

كان السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) يرغب في تأليف كتاب شامل في موضوع الأدب العربي من أجل عرض المادة الأدبية والعلمية في قوالبها الأصيلة وتصحيح المسار العلمي والأدبي الإسلامي، ولكن مسؤولياته الأخرى لم تسمح له بذلك، فتولى مسؤولية هذه المهمة الأدبية السيد محمد الرابع الحسني الندوي ومحمد واضح رشيد الحسني الندوي "واستقل الأستاذ واضح رشيد الندوي بقسم العصر الجاهلي من تاريخ الأدب العربي، والأستاذ محمد الرابع الندوي بجزء صدر الإسلام من تاريخ الأدب العربي، وقرر الاستمرار في إتمام هذه السلسلة إلى أن تصل إلى الدور المعاصر، وإلى إبراز قسط شبه القارة الهندية في إثراء المكتبة العربية الأدبية والعلمية، ومعطياتها في بعض المجالات والميادين، وبذلك تكمل هذه السلسلة الذهبية بإذن الله تاريخيًا وجغرافيًا، وشمولاً واحتواءً"[1].

[1] الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، **تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي**، (لكناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر، 2010م) ص: 12-11.

صدر هذا الكتاب عن مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء، لكناؤ، مشتملاً على ثلاثة أبواب، وكل باب ينقسم إلى عدة فصول.

تحدث المؤلف في الفصل الأول من الباب الأول عن العرب وأصلهم وموطنهم، والساميين واللغات السامية والموطن الأول للشعب السامي، وشبه الجزيرة العربية والتقسيم الطبيعي لجزيرة العرب. كما تناول الخصائص التي تميز بها العرب عن غيرهم من الفصاحة والبيان والفروسية والشجاعة والحماسة وما إلى ذلك. وتكلم أيضًا عن العادات القبيحة التي كانت سائدة فيما بين العرب لبعد عهدهم بالنبوة والأنبياء كالقتال وشرب الخمر والمفاخرة ورواج الربا في المجتمع العربي، وأنكحة فاسدة أبطلها الإسلام.

وفي الفصل الثاني تحدث عن اللغة العربية ونشأتها وتطورها وخصائصها، كما تحدث عن أيام العرب المشهورة في العصر الجاهلي التي جرت بين قبائل مختلفة لمدة طويلة -سواء كانت لأمر تافه أو لأمر جاد- بقدر من التفصيل، وأسباب وقوعها، وهي العصبية والانتصار للقبيلة والأخذ بالثأر والمحافظة على الشرف والرئاسة.

ثم تحدث عن أسواق العرب التي لها دور ملموس في نشأة اللغة العربية وانتشارها "كان لشيوع اللغة العربية وانتشارها عاملان أساسيان وهما الأسواق وأيام العرب"[2]. فكانت للعرب أسواق للتجارة والأدب والتسلية، ومن أهم أسواق العرب هي: سوق عكاظ، وسوق دومة الجندل، وسوق المشقر.

كما بيّن المؤلف ما يميِّز اللغة العربية عن اللغات الأخرى في العالم من الوضع والاشتقاق والمترادفات والإعراب وما إلى ذلك "مما تمتاز به أنها تضم أسماء وصفات كثيرة لشيء واحد، باعتبار الأشكال والحالات والمقادير والأحجام، ففيها اسم خاص لكل ساعة من ساعات الليل والنهار، واسم خاص للطفل باعتبار الشهور والأيام ومراحل العمر واللون، وأسماء لليالي والقمر والشعر والنظر والجلوس والقيام وحالة القيام والنوم واليقظة وأسماء مختلفة للرمل وكثبانه، والأرض باعتبار نوع

[2] المرجع نفسه، ص: 60.

التربة ولونها ولون الحصى، وكذلك الخيام وأصوات الحيوانات، والمشي وسرعة السير"[3].

وإنه لم يكتف بذلك بل ذكر أمثلةً عديدةً للكلمات التي تستعمل للمعنى الواحد مثلا كلمة "الجلوس" فالربوض للغنم والبروك للإبل، والجثوم للطير، والجلوس للإنسان، وكلمة "معدة" فالكرش للدابة والمعدة للإنسان والحوصلة للطائر وما إلى ذلك[4].

وفي الفصل الثالث تكلم عن الأدب وتعريفه وأقسامه وعناصره وتاريخه وعصوره وعن كيفية تطور كلمة "الأدب" في عصور مختلفة.

ويشتمل الباب الثاني على ثلاثة فصول، والفصل الأول هو عن الحالة الاجتماعية والدينية والثقافية للعرب قبل الإسلام. في هذا الفصل تحدث المؤلف عن الحالة الاجتماعية بقدر من التفصيل، وأما الحالة الثقافية فإنه مر بها مرورًا سريعًا، فبين في الحالة الثقافية العلوم التي اشتهر العرب فيها من العرافة والقيافة والفراسة والزجر والعيافة ومعرفة النجوم والأنساب.

إن العرب كانوا أميين لا يعرفون القراءة والكتابة إلا على نطاق ضيق، ولكن جهل عامة العرب لم يمنعهم من اكتساب قدر كبير من الوعي والثقافة والمعرفة الكونية، وذلك لاتصالهم بالبلدان المجاورة عن طريق التجارة، فإنهم اكتسبوا المعارف العلمية بالتجربة كالمعرفة الجغرافية والمعلومات الفلكية حتى إنهم كانوا يعرفون مواسم الأمطار ووقت زراعة الحبوب والأشجار، ويوزعون السنة على الأشهر. وبالإضافة إلى ذلك فإنهم كانوا يعرفون الطب فيداوون مرضاهم بالأعشاب أو بالكي أو ببعض الأدوية الأخرى التي ينقلونها من الأمم المجاورة، وفي معارفهم أيضا الرياضة والفروسية والكر والفر واستعمال أدوات القتال.

وفي الفصل الثاني تحدث عن النثر الجاهلي وأقسامه من الأمثال والحكمة والخطابة والوصية، وجاء بأمثلة عديدة للنثر الجاهلي لأعلامه البارزين.

---

[3] المرجع نفسه، ص: 71.

[4] المرجع نفسه.

وإن الفصل الثالث يعطي معلومات كافيةً حول الشعر الجاهلي وأغراضه وميزاته وأسباب الشك في الشعر الجاهلي، ويسلّط الضوءَ على تراجم الشعراء الذين ذاع صيتهم في الآفاق من أصحاب المعلقات السبع أو العشر على اختلاف المؤرخين، وطبقات الشعراء وتراجم الشعراء الصعاليك والشعراء الفرسان والشعراء الحكماء والشعراء الأجواد مع ذكر نماذج أبياتهم الرائعة.

ألقى الباب الثالث الضوء على رواية الشعر العربي وشرح الشعر، وبداية الخط العربي والكتابة وكتابة الشعر ومواد الكتابة بدراسة مستفيضة. فتناول هذه الموضوعات كموضوعات أساسية ليتعرف القراء عليها ويمكنهم التوسع في المعرفة عن الموضوعات بمراجعة الكتب المفصلة في الموضوع.

يغلب على هذا الكتاب الطابع الديني والإسلامي، فإن المؤلف قد قام بتأليفه من المنظور الإسلامي ليتأثر الدارس فيه بالأفكار الطيبة والأقوال الحسنة، ويبتعد عن الأفكار الرذيلة والمضللة.

إن هذا الكتاب ليس إبداعًا في موضوعه، ولكن إبداعًا في اختيار تراجم الشعراء والأدباء ونصوصهم الأدبية وعرض الكتاب في أسلوب يتميز بالبساطة والسهولة حتى لا يصعب فهمه للقارئ العادي. ويتميز الكتاب بالمعلومات القيمة والأبحاث الدقيقة في تاريخ الأدب العربي بالإطناب تارة وبالإيجاز تارة أخرى، فيمكن القول إنه من أحدث الكتب العربية التي ألفت في الهند في هذا الموضوع، لقد أشار المؤلف إلى ميزة الكتاب واختلافه عن غيره من الكتب:

"يختلف هذا الكتاب عن كتب تاريخ الأدب الأخرى في الجمع والشمول، فإن كتب التاريخ الأدبية الشائعة في مدارس الدول العربية تركز على عرض تراجم الأدباء والشعراء والنصوص على الخطوط التي وضعها الكتاب في عهد الاستعمار، وبالإضافة إلى ذلك إن تاريخ الأدب في المدارس العربية موزع على دراسة النصوص، دراسة تاريخية، ودراسة نقدية، ودراسة علم اللغة وفقه اللغة، أما دراسة هذا الموضوع في مدارس الهند فهي محدودة، فلا يقرأ الطالب تاريخ الأدب إلا في مراحل متقدمة بدون دراسته في المراحل الثانوية، ولا يجد فرصة ليقرأ بحوث النقد الأدبي ولا تاريخ

نشأة اللغة العربية، وتهذيبها، وطبيعة الحياة العربية، فجمعت بعض المعلومات الأساسية في هذه العلوم في هذا الكتاب لتحصل للطالب معرفة بها"[5].

(المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي)

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي في طليعة أولئك العلماء الأفذاذ والمفكرين القلائل والأعلام البارزين الذين أسهموا بكتاباتهم العلمية والأدبية والتاريخية والدعوية في وقت واحد.

نال أبو الحسن علي الحسني الندوي حظًا وافرًا من الذوق الأدبي والملكة الأدبية التي استطاع بهما أن يشق طريقه إلى مكتبة الأدب، ولم يقف أثر الحس الأدبي لأبي الحسن عند حدود المؤلفات الأدبية الخالصة، بل تجاوزها إلى غيرها من المؤلفات الأخرى، فهي تحتوي على حكم أدبية بليغة. وتمتاز كتابات الندوي الأدبية بالتنوع بين الرحلة والتراجم والسير والقصة والنقد.... وتحتل جميع مؤلفاته الأدبية مكانًا بارزًا في ساحة الأدب العربي وخاصة في مجال الأدب الإسلامي.

يحتوي هذا الكتاب القيم الصادر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية بلكناؤ، الذي يدل على ذوقه الأدبي وشغفه بالأدب العربي، على مجموعة مختارة من المقالات الرائعة التي دبجها الكتاب والأدباء العرب وغير العرب بهدف تسليط الضوء على خصائص كتابات أبي الحسن الندوي الأدبية وذوقه السليم للأدب العربي وقدرته على التعبير عما اختلج في نفسه من خواطر، وما جاش في صدره من عواطف دينية وحمية إيمانية، بالإضافة إلى إبراز ما أدّاه الندوي من دور ملموس في تنشئة الجيل الجديد وتربية الأطفال الصغار من خلال أدب الأطفال/ تأليف سلسلة من "قصص النبيين" و"القراءة الراشدة" و"قصص من التاريخ الإسلامي"، وذلك لكي يغرس العقائد الدينية والإيمانية في قلوبهم ويحبّبها إلى نفوسهم.

كانت جميع المقالات في هذا الكتاب منتشرةً في الصحف والمجلات هنا وهناك، فقام واضح رشيد الندوي بجمعها وترتيبها في شكل الكتاب لتتضح ميزة أبي

[5] المرجع نفسه، ص: 24.

الحسن الندوي في مجال الأدب العربي، وتعم فوائد المقالات العلمية والأدبية بعد ظهورها كتابًا.

يشتمل الكتاب على ثماني مقالات، أما المقالة الأولى فهي بقلم فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي بعنوان "ملامح أسلوب الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي"، وهي مقالة تحتوي على حوالي إحدى وعشرين صفحةً، تتناول تربيته وتذوقه للأدب العربي، وما أدّى من دور بارز في هذا المجال من خلال مؤلفاته الأدبية بأسلوب رشيق وممتع.

ثم قدّم صاحب المقالة نماذج رائعةً عديدةً للنواحي الأدبية المختلفة، من أمثال: نموذج للمجال الفكري والاجتماعي، ونموذج من أسلوبه التاريخي، ونموذج في الموضوع الديني، ونموذج للموضوع الأدبي، ونموذج في موضوع الدعوة وفي مجال الأسلوب القصصي.

والمقالة الثانية لهذا الكتاب كتبها الأستاذ عبد القادر بن عيسى بطاهر بعنوان "الأدب الإسلامي ونقده عند الشيخ أبي الحسن الندوي"، وهذه مقالة جامعة شاملة تتناول مفهوم الأدب الإسلامي ووظيفة الأدب الإسلامي، والأدب الإسلامي والتسلية والأدب الحي والأدب المزخرف، والأدب الإسلامي وقضايا الحضارة، وأدب الرحلات للندوي، والتأصيل الإسلامي للنقد ووظيفة النقد الإسلامي وصفات الناقد المسلم، والقيم وأثرها في النقد الإسلامي، ونظرات نقدية في الشعر والنثر، وقيمة الإنسان في شعر جلال الدين الرومي، ووقفة مع إقبال، والآفاق العالمية للأدب والنقد الإسلاميين وما إلى ذلك، ويقول عن دور أبي الحسن الندوي في الأدب العربي:

"يعد الشيخ أبو الحسن الندوي –رحمه الله- أحد الرواد الأوائل الذين أسهموا في بلورة المشروع الحضاري الإسلامي وتأسيسه في النصف الثاني من هذا القرن، فشارك في مسيرته بفكر عميق، ورأي سديد، وعزيمة ماضية، في تزويد هذا المشروع الحضاري بالأدب الحي الذي يبعث الحماس والحيوية والفاعلية في الأمة"[6].

[6] الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، **المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي**، (لكناؤ: مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة، ط1، 2004م)، ص: 84-83.

لقد شعر أبو الحسن علي الندوي بأهمية التربية والتعليم والتنشئة للأطفال، واهتم بها اهتماما كثيرا، وبذل قصارى جهوده في هذا المجال، وألّف كتبًا عديدةً حسب مستويات الأطفال وأذواقهم وسنهم، منها: قصص النبيين للأطفال في خمسة أجزاء، وذلك لغرض غرس العقائد الدينية والإسلامية في أذهان الأطفال، وتحبيبها إلى نفوسهم البريئة، فإنه قدّم أمثلةً صادقةً للأنبياء والرسل، وبدأ الكتاب بقصة إبراهيم بعنوان "من كسر الأصنام"، فهذه القصة تحفز المشاعر والأحاسيس، وتصوّر تصويرًا صادقًا لحياة إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) وأسرته. ويقول أبو الحسن الندوي في مقدمة الجزء الأول وهو يخاطب ابن أخيه (محمد الحسني):

"أراك حريصًا على القصص والحكايات، وكذلك كل طفل في سنك، تسمع هذه القصص بكل رغبة، وتقرأها بكل رغبة، ولكني أتأسف، لأني لا أرى في يدك إلا حكايات السنانير والكلاب والأسد والذئاب والقردة والدباب، وعلينا العهدة في ذلك، فذلك هو الذي تجده مطبوعا... فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين (عليهم صلاة الله وسلامه) بأسلوب سهل، يوافق سنك وذوقك، ففعلت"[7].

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب في تقديمه للجزء الثالث من هذه السلسلة:

"لقد قرأت الكثير من كتب الأطفال –بما في ذلك قصص النبيين عليهم الصلوات والسلام- وشاركت في تأليف مجموعة (القصص الديني للأطفال) في مصر، مأخوذًا كذلك من القرآن الكريم، ولكني أشهد من غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يدي، جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة، وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها، ومن تعليمات داخلة في ثنايا القصة، ولكنها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار"[8].

---

[7] الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **قصص النبيين للأطفال**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م)، ص: 7-8.

[8] المرجع نفسه، ص: 4-5.

وتؤدي مثل هذه الكتب إلى غرس عقيدة التوحيد في القلوب وتطوير محبة الأنبياء والرسل في النفوس، والبغض والكراهية من الشرك والوثنية والفكر والبدع وغيرها من الأعمال السيئة التي تتسبب في سخط الله وغضبه.

لقد قام أبو الحسن الندوي بتأليف سلسلة القراءة الراشدة في ثلاثة أجزاء، وهي تتضمن المواد الأدبية واللغوية المتنوعة بأسلوب تدريجي حسب ذوق الناشئة المسلمة في الهند. وحاول علي الندوي في إعداد هذه الكتب أن تكون اللغة فيها متسمة بالطابع الأدبي الديني الذي يتزود بمسحة من جمال أدب الكتاب والسنة، واستخدم الكلمات المستحدثة التي لها أصل عربي، وقام بتكرار المفردات والمشتقات لكي يتمرن عليها الطالب ويحفظها بسهولة، وراعى تنوع الموضوعات لكي لا يسئم الطالب من قراءتها بل يدرسها بشوق ورغبة، وذلك كله بأسلوب سهل عذب وممتع يشوِّق الطالب إلى قراءتها مرارًا وتكرارًا، وتحمل الكتب في طياتها دروسًا خلقيةً وتربويةً وآدابًا إسلاميةً ودينيةً في مختلف نواحي الحياة.

وتعتبر الحكايات الخفيفة الشيقة الهادفة من أقوى وسائل تربية الأطفال وتنشئتهم الدينية والخلقية، فالتفت أبو الحسن الندوي إلى هذا الجانب المهم مستهدفا تربية الأجيال القادمة لتتحلى بالأخلاق النبيلة والفتوة والتضحية والإيثار والمروءة والرجولة والبطولة، فألّف كتاب "قصص من التاريخ الإسلامي" الذي يشتمل على حكايات شيقة وممتعة اختارها من كتب السيرة وتاريخ الإسلام والسير والتراجم، وتحث الحكايات الرائعة الحافلة بالدروس الدينية والأخلاقية والنصائح والعبر الأطفال على أن يحاكوا محاكاة كاملة حياة أبطال القصص، فيتحلوا بحب الله ورسوله والتضحية والبطولة والجهاد والشهادة في سبيل الله، ويؤثروا الآخرة على الدنيا، ويبتعدوا عن سفاسف الأمور وفضول الحياة، ويعيشوا كما عاش الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتتميز جميع القصص بأسلوب شيق ولغة سهلة وجذابة.

وبالإضافة إلى ذلك قام أبو الحسن الندوي بجمع مجموعة من المختارات في الأدب العربي. سمى هذه المجموعة "مختارات من أدب العرب"، وتشتمل هذه المجموعة الطيبة على ثلاثة وسبعين نصًا أدبيًا، وتمثل الأدب العربي الإسلامي في جميع

مظاهره ومناحيه الأدبية والتاريخية والتهذيبية من العصر الإسلامي الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري "وتجمع بين ألوان الأدب العربي المختلفة وبدائعه من وحي سماوي وبلاغة نبوية وخطب لأشهر خطباء العرب في أزهر العصور العربية وروايات وقصص، ورسائل، وكتب، ومناقشات ومحاورات، ورحلات، وأحاديث منزلية متبسطة، وجد وهزل وحكمة ولهو"[9].

حظيت هذه المجموعة بقبول حسن في الأوساط الأدبية، وتم إدخالها في المقررات الدراسية لكثير من المدارس الإسلامية والجامعات العصرية في داخل الهند وخارجها. فمعظم مقالات هذا الكتاب تدور حول دور أبي الحسن الندوي في أدب الأطفال، وخصائصه الأدبية والفنية وذوقه المرهف لأدب الأطفال، فالأستاذ محمد حسن بريغش في مقالته بعنوان "أبو الحسن الندوي الأديب الناقد" تحدث عن جهود الندوي في بعث الأدب الإسلامي من جديد، وتربية الناشئة على حب العربية وتذوق الأدب، وجهوده في رعاية الأدب الإسلامي وجمع أدبائه وإسهاماته في الأدب والدراسات الأدبية. يقول صاحب المقال عن أدب أبي الحسن الندوي وذوقه السليم:

"كان الشيخ الندوي محبًا للأدب، ذواقا للكلمة، بل كان يعد الأدب سلاحًا من أسلحة الدعوة، وأسلوبًا مؤثرًا في النفس البشرية، ولولا ذلك لما كان كتاب الله عز وجل –الكتاب المعجز، بأسلوبه وحقائقه، ولما كانت أول آية تتنزل تأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة، هذه القراءة التي فتحت أمام النفس البشرية آفاق الحقائق الثابتة، ووضعت لكل الناس معالم المنهج السوي للحياة البشرية المستهدفة بهدي الخالق العليم -سبحانه- والقائمة بمهمة الاستخلاف، والمحققة لكل أنواع النجاح الدنيوي والفوز يوم الدين.

كان الشيخ محبًا للغة العربية وآدابها، ومحبًا للأدب، -بعامة- ومارس الكتابة والخطابة والمحاضرة بأسلوب بليغ حاز فيه التقدير والإعجاب.

[9] الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، **المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، ص:** 153-154.

لم يكن الشيخ الندوي متفرغًا للأدب، ولكن حبه للأدب، وأصالته في استخدام أساليبه، وقدرته على التعبير الدقيق الجميل، والإتيان بالصور الرائعة، وعرض الحقائق بأسلوب سهل ممتع بسيط، كل ذلك كان واضحًا في كتاباته ومؤلفاته وخطبه ومحاضراته"[10].

وأما المقالات الأخرى فهي "رائد الأدب الإسلامي" للدكتور سعيد الأعظمي الندوي، و"ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال لأبي الحسن الندوي" للدكتور سعد أبي الرضا، و"أدب الأطفال عند أبي الحسن الندوي" للأستاذ نصر عبد الله سلامة العتوم، و"جهود الشيخ أبي الحسن الندوي في خدمة الأدب الإسلامي" للدكتور عبد الباسط بدر. لقد تناول جميع أصحاب المقالات جوانب مختلفة للأدب الإسلامي وأدب الأطفال بقلم أبي الحسن الندوي، وتأثير كتاباته الأدبية في تربية الأجيال القادمة والتربية الإسلامية والثقافة الإسلامية بدراسة تحليلية ونقدية.

كما يتضمن الكتاب دراسةً نقديةً وتحليليةً لمؤلف الكتاب واضح رشيد الندوي بعنوان "القصة في أدب الشيخ أبي الحسن الندوي". ألقى المؤلف ضوءًا كاشفًا على عناية أبي الحسن الندوي بأدب الطفل اعتبارًا إياه من أهم أصناف الأدب، وأكثرها تأثيرًا على الذهن، وذلك على الرغم من كونه مشتغلاً بالتأليف في الموضوعات الفكرية والعلمية الجادة التي تحتاج إلى بحث دقيق وفحص عميق، ومنصرفا إلى مهمات دعوية وإصلاحية شاقة وجهود تربوية مضنية.

لقد تحدث واضح رشيد الندوي في مقاله عن عكوف أبي الحسن الندوي على أدب الطفل بمختلف نواحيه، وأسلوبه القصصي، ورعايته لمعرفة الطفل للألفاظ التدريجية ومعرفة الصيغ كالماضي والمضارع والأمر والنهي وحروف العلة والمبتدأ

[10] المرجع نفسه، ص: 115.

والخبر والصفة والموصوف باعتبار سنه ودراسته، كما حاول إبراز الجانب الأسلوبي وخصائص أسلوبه القصصي في كتبه ومحاضراته الأخرى، يقول عن أدبه وأسلوبه: "كان سماحة الشيخ الندوي رائدًا للأدب الإسلامي للأطفال ومنشئًا لمدرسة جديدة في القصة بالإضافة إلى بحوثه وأفكاره، وإسهاماته العلمية للعقلاء والمثقفين الكبار وأصحاب الفكر الناضج، وأدبه أدب طبعي خالص فيه إبداع وابتكار، وتوليد المعاني، وتحليل الوقائع، وفتح للأذهان، ودعوة إلى التفكير والتدبر، وهو أول كاتب للأطفال في اللغة العربية في الهند، بهدف ومبدأ، وبتعبير سيد قطب الشهيد هو أنجح كاتب في القصة الإسلامية ليس في الهند فحسب بل في العالم الإسلامي"[11].

فهذا الكتاب مرجع أساسي للباحثين والدارسين في إسهامات أبي الحسن الندوي في صنف أدب الطفل. لقد بذل واضح رشيد الندوي جهودًا مشكورةً في اختيار هذه المقالات القيمة من بين المقالات الكثيرة المنتشرة في الصحف والمجلات في الهند وخارجها، وهذا الاختيار يدل على سعة اطلاعه وعلو كعبه في البحث والفحص والتذوق، كما يدل على ثقافته الموسوعية وقدرته الأدبية للتعرف على هذه الدرر والموضوعات في آلاف الصفحات، ولا يستطيع كل من هب ودب أن يتولى زمام هذه المسؤولية الأدبية إلا من له ذوق أدبي ويتميز بثقافة واسعة ومطالعة دقيقة للأدب العربي وشغف زائد بالأدب مع نواحيه المختلفة.

(أعلام الأدب العربي في العصر الحديث)

يصوِّر أدب كل عصر طبيعة الحياة في ذلك العصر بمختلف جوانبه، ولذلك يعتبر الأدب مصدرًا مهمًا من مصادر التاريخ في ذلك العصر، لأن الأدب يعكس الاتجاهات الفكرية والعقلية والاجتماعية، وقيل عن أدب العصر الجاهلي إنه "ديوان العرب".

لقد تناول الأدباء في العصر الحديث قضايا الحياة اليومية والقضايا العلمية والاجتماعية والسياسية والفكرية في رواياتهم وقصصهم ومسرحياتهم، فمنهم من جمع العلم والبحث والأدب، ومنهم من تأثر بالآداب الأوروبية تأثرًا بالغًا، في حين

[11] المرجع نفسه، ص: 170.

التزم بعضهم الاحتفاظ بالخصائص الشرقية، وفيهم من ثار على القديم، وفيهم من كان معتدلاً متوسطًا بين القديم والحديث.

وقد استعرض المؤلفون في تاريخ الأدب العربي جهود الأدباء المحترفين أو الأدباء الذين لم يهتموا إلا بالأعمال الأدبية، وتركوا أصحاب القلم والأدباء الذين لهم اتجاهات إسلامية وميول دينية وخلقية، ولهم دور ملموس في إثراء الأدب الحديث وفي تصوير حياة الفرد أو المجتمع وذلك على الرغم من كونهم أدباء معترف بهم كمحب الدين الخطيب، وكرد علي، ونجيب الكيلاني، وسيد قطب الشهيد، وعلي الطنطاوي، وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم.

حاول مؤلف هذا الكتاب جمع أدباء طبقات مختلفة، وقام باستعراض سريع لعناصر تطور الأسلوب، وبيان خصائص الأدب الحديث، وسلّط الضوء على الأفكار والاتجاهات ليتعرف طلاب المدارس الإسلامية عليها.

هذا الكتاب، في الحقيقة، بمثابة مذكرات أعدّها واضح الندوي لتدريس طلاب الأدب العربي، عندما فوض إليه مسؤولية تدريس هذا الموضوع في دار العلوم ندوة العلماء، وقد استفاد الندوي في إعداد الكتاب من كتب مهمة لتاريخ الأدب العربي الحديث للدكتور عمر الدسوقي، والدكتور شوقي ضيف، والأستاذ أنيس المقدسي وغيرهم من الكتاب الآخرين.

"قد كان تدريس الأدب العربي قاصرا على أدب العصور الوسطى في سائر المدارس الدينية، ولكن دار العلوم ندوة العلماء أولت الأدب العربي الحديث بالاهتمام بدون أن يطغى ذلك الاهتمام على الاهتمام بأدب العصور الوسطى، وكذلك اهتمت دار العلوم ندوة العلماء بأدب العصور الأولى...

"ولأجل هذا الاهتمام بأدب العصر الحديث ضم منهج الأدب الحديث مع نصوص القسمين النظم والنثر مدارس النقد القديمة والحديثة، وتاريخ الأدب الحديث، وكان ذلك لسببين: أولا أن لا يغفل طالب الأدب العربي أدب أي عصر من العصور، فإن أدب كل عصر له أسلوب بحكم اقتضاء العصر، والكاتب والموضوعات التي يتناولها الكاتب، ويصوِّر أدب كل عصر طبيعة الحياة في ذلك العصر علميًا وعقليًا

وسياسيًا وفنيًا، ولذلك هو مصدر من مصادر التاريخ، وقد قيل لأدب العصر الجاهلي بصفة خاصة إنه "ديوان العرب"، وعلى كل حال أدب كل عصر يدل على الاتجاهات السائدة في ذلك العصر مهما كانت المبالغة غالبة عليه"[12].

قسّم مؤلف هذا الكتاب الذي نشرته دار الرشيد بلكناؤ عام 2009م إلى ثلاثة أقسام. يشتمل القسم الأول على خصائص الأدب العربي المعاصر وتطوره، واللغة العربية بين العامية والفصحى، كما تحدث عن العناصر التي أدّت دورًا بارزًا في تطوير الأدب العربي الحديث بعد حملة نابليون على مصر من المطابع والصحافة ومدارس الترجمة والنقل، والمجامع اللغوية والعلمية، وكذلك عن الفنون الجديدة في الأدب العربي التي ظهرت في العصر الحديث واختارها الأدباء وتفننوا فيها من القصة وأدب الرحلة والسيرة الذاتية وأدب الأطفال والمقالة.

ويحتوي هذا القسم على مقال رائع للدكتور محمد مصطفى هدارة، استعرض الدكتور فيه تأثير المذاهب الأدبية على الأدب العربي المعاصر، والمدارس التي نشأت فيما بعد عندما تأثر أدباء العرب بالاتجاهات الأدبية الغربية. وهذا المقال تم نشره في مجلة الأدب الإسلامي الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ونظرًا إلى أهمية هذا المقال عن الأدب العربي الحديث ضمّه المؤلف إلى هذا الكتاب لكي يطلع به كل دارس على مدى تأثر الأدب العربي المعاصر بالمذاهب الأدبية الأوروبية وخاصة في كتابات الذين انتقلوا إلى جامعات أوروبية أو طالعوا الآداب الأوروبية، فتأثروا بتلك المذاهب الغربية وتقلدوها في كتاباتهم.

ويشتمل القسم الثاني على تراجم الأدباء الذين ذاع صيتهم في الأدب العربي الحديث بفضل أسلوبهم الرائع وأدبهم العالي وأفكارهم العالية، أمثال المفتي محمد عبده، ومصطفى لطفي المنفلوطي، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي، والأمير شكيب أرسلان، وإبراهيم عبد القادر المازني، ومحمد حسين هيكل، وعباس محمود العقاد، ومحمود تيمور، والدكتور طه حسين، وتوفيق الحكيم، والدكتور نجيب

[12] الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، **أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، (لكناؤ: دار الرشيد، ط1، 2009م)، ص:7-8.

الكيلاني، ونجيب محفوظ. استخدم هؤلاء الأدباء الكبار "الأدب كأداة لنشر الأفكار التي نشأت في أذهانهم أو تلقوها من أساتذتهم الأجانب في الجامعات الغربية التي درسوا فيها دون أن ينظروا إلى ما تحملها من جوانب سلبية، وما فيها من فساد في العقيدة، وانحراف في السلوك ودعوة إلى الإباحية، وثورة على الدين والشريعة"[13].

أما القسم الثالث فهو يشتمل على تراجم الكتاب الإسلاميين أمثال عبد الرحمن الكواكبي، الأستاذ محمد كرد علي، والدكتور مصطفى السباعي، والسيد قطب الشهيد، والكاتب الكبير محب الدين الخطيب، والأستاذ محمد المبارك، والدكتور تقي الدين الهلالي، والشيخ محمد الغزالي، ومحمود محمد شاكر، والدكتورة عائشة بنت الشاطئ، والشيخ علي الطنطاوي، والشيخ أبو الحسن علي الندوي، والأستاذ أنور الجندي، والأستاذ محمد قطب، وهؤلاء الكتاب يتمتعون بمكانة سامية في الساحة الأدبية بأدبهم الرفيع وأسلوبهم الخلاب وأفكارهم السديدة وأخيلتهم الدقيقة ومعانيهم السامية وعواطفهم الملتهبة، وطرق معالجتهم للقضايا الاجتماعية المعاصرة، ولا تقل مكانتهم عن الأدباء المحترفين الذين نالوا شهرةً فائقةً، ولكن الكتاب ألّفوا كتبًا كثيرةً في تاريخ الأدب العربي الحديث، وركّزوا عناياتهم على الأدباء المحترفين، ولم يعتنوا بأمثال هؤلاء الأدباء الذين لهم اتجاهات إسلامية وميول خلقية، حتى أنكر بعض الكتاب جهودهم المشكورة في الأدب الحديث وعابوا عليهم بأن كتاباتهم لا تتزود بالجمال الفني والروعة البيانية، وذلك لأنهم تناولوا قضايا دينيةً وعلميةً في كتاباتهم الأدبية. فهذا القسم الثالث يتناول مثل هؤلاء الأدباء لكي يعيد إليهم حقوقهم بإبراز مكانتهم الأدبية.

تحدث المؤلف في كلا القسمين الثاني والثالث عن تراجم ستة وعشرين أديبًا من العصر الحديث بقدر من التفصيل، فتناولهم بالتعريف عن مكانتهم العالية البارزة وحياتهم الأدبية المثالية في ضوء التحليل الأدبي والتاريخي، وتطرق إلى كل أديب ميزته في الصناعة الأدبية وتصوره وفكره. كما قدّم نماذج من كلامهم لتدل على

[13] المرجع نفسه، ص: 4.

أساليبهم الشيقة ومكانتهم المرموقة في الأدب الحديث، وكذلك قد أتى المؤلف بأقوال الكتاب البارزين الآخرين التي تبرز مكانتهم الأدبية وتحدِّد أساليبهم المتميزة في الكتابة والبيان.

يقول المؤلف عن أسلوب المنفلوطي: "كان المنفلوطي أديبًا موهوبًا، حظ الطبع فيه أكثر، ويتسم أسلوبه بالطلاوة والعذوبة، والرصانة، واللفظ المختار، والتصوير الفني، والاتزان بين العبارة، ويميل إلى الإطناب والتفصيل، وسمته الغالبة العاطفة والانفعال"[14].

ويستطرد قائلا عن أسلوب الشيخ علي الطنطاوي: "أديب العربية علي الطنطاوي من كبار الكتاب الذين أنجبتهم الأمة العربية في القرن العشرين الميلادي، تجمع كتابته بين الرشاقة والجزالة، ومحاسن القديم والجديد، وتدل كتبه على اقتداره على اللغة، وبلاغته في التعبير، وأسلوبه -تصويرًا وتعبيرًا- يتسم بالشاعرية وخصوصًا في وصف الطبيعة، والأماكن المفتوحة، فهو يأسرنا بالخيال الابتكاري البارع والكلمة الموحية النابضة"[15].

ويتزين هذا الكتاب بمقدمة رائعة بقلم السيد محمد الرابع الحسني الندوي الذي استعرض فيها الأدبَ العربي الحديث بشكل موجز، كما تحدث عن أهمية الكتاب. إضافة إلى ذلك، يحتوي الكتاب على تقديم قيم ومليء بالمعلومات الضخمة عن الأدب الإسلامي وعناصره وخصائصه بقلم الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي الندوي الذي تكلم فيه عن موضوع "الأدب الإسلامي" بدراسة مستفيضة.

فإن هذا الكتاب من المراجع المهمة لكل من يريد الاطلاع على أعلام الأدب العربي الحديث وإبداعاتهم ولكل من يقوم بالبحث في تاريخ الأدباء العرب وأعلامهم في العصر الحديث، فيسد الكتاب فراغًا كبيرًا في الأدب العربي المعاصر للدارسين والباحثين في المدارس الإسلامية والجامعات العصرية.

---

[14] المرجع نفسه، ص: 97.

[15] المرجع نفسه، ص: 285.

سيشهد كل من يقرأ هذا الكتاب بأن المؤلف قد بذل جهودًا جبارةً في إعداد المذكرات لتدريس مادة "الأدب العربي الحديث" وأنه قد قام بمراجعة عدد كبير من المصادر والمراجع حول الموضوع، وذلك بأسلوب يتسم بالسهولة والجزالة، لا تعقيد فيه ولا غموض. لقد ترك المؤلف بابًا كبيرًا من الأدب العربي في هذا الكتاب، وهو أدب المهجر، لو تناول المؤلف هذا الباب المهم للأدب المعاصر لكان الكتاب أكثر منفعة، وقد ذكر المؤلف عن الأدب المهجري بإشارة خفية دون التطرق إلى تراجم أدباء المهجر الشمالي أو الجنوبي، حيث يقول:

"خرج عدد من الأدباء والشعراء من الشام إلى البلدان الأوروبية وأمريكا، وواصلوا في مهاجرهم الإنتاج الأدبي، وتأثروا بالبيئة الأوروبية، واقتبسوا من المدارس الأدبية الغربية، وتأثروا بها، ونقلوا ثمار هذه الآداب إلى الأدب العربي نظمًا ونثرًا، فكان ذلك عاملاً آخر للالتقاء بالغرب، ونقل الفكر وتصور الحياة الغربية إلى اللغة العربية، ونشأت بذلك مدرسة أدبية جديدة تحمل اتجاهات جديدة عرفت فيما بعد بمدرسة المهجر التي أنجبت شعراء وكتابا وناقدين ولغويين"[16].

(مصادر الأدب العربي)

نشر هذا الكتاب أولاً عام 2004م مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد برائي بريلي، وتلقى قبولاً واسعًا في الأوساط العلمية والأدبية بكونه مشتملا على أساطين الأدب العربي، وتحديد مكانتهم الأدبية والعلمية، ووصف خصائص الموضوعات الأدبية والفنية، وصدرت له الطبعة الثانية عام 2012م عن "دار الرشيد" بلكناؤ، بشيء من الإضافة والتنقيح والتهذيب.

في البداية كان هذا الكتاب من مذكرات واضح رشيد الحسني الندوي حول مصادر الأدب العربي التي أعدّها حسب مؤهلات الطلاب في الدراسات العليا للأدب العربي في دار العلوم ندوة العلماء، وحسب مستوياتهم الدراسية، فاكتفى بالاختصار والتعريف الموجز للكتب التي تعد من مصادر الأدب العربي، ثم أضاف إليها بعضًا

[16] المرجع نفسه، ص: 28-29.

من الكتب الأخرى التي تم تأليفها في مثل ذلك العهد، وتسير على مستوى هذه الكتب الأدبية.

تشتمل هذه المجموعة من المحاضرات على كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة، و"الكامل" للمبرد، و"الأمالي" لأبي علي القالي، و"الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان. وكل كتاب من هذه الكتب يتميز بمنهجه وأداء مضمونه ومكانته المرموقة لدى الأدباء والكتاب والمهتمين باللغة العربية وآدابها وعلومها. وأصحاب هذه الكتب "لهم منهج خاص في تأليفها وترتيبها، وأسلوب فريد في عرض النصوص وتحليلها، ومعالجة القضايا العلمية والأدبية، والاستشهاد بالأقوال والأشعار، واستغلال هذه المواد في تكوين ذوق القارئ وتنمية مواهبه، وإثارة الملكات الأدبية والقدرات البيانية واستخدامها في حل المشكلات والمعضلات العلمية والفنية"[17].

كان واضح رشيد الندوي له اختصاص وخبرة تدريسية في هذا الموضوع منذ سنوات، فإنه قد أتى بالنقاط المهمة لكل كتاب من هذه الكتب، وقدم أمثلة لهذه الميزات مع بيان درجة مؤلف الكتاب بين أقطاب الموضوع الأدبي القدماء ومكانته في أوساط أعلام الأدب.

ويدل الاختيار والاقتباس وطريقة تقديم النصوص والمقارنة العادلة بين النصوص على ذوق الندوي الأدبي والعلمي ومهارته في الموضوع، وعمق دراسته لمصادر الأدب العربي والكتب الأدبية والتاريخية، وسعة اطلاعه على الأدب العربي عبر العصور، كما يشير ترتيب هذا الكتاب وتهذيبه من المصادر الموسوعية بعد الدراسة العميقة والبحث الدقيق والتحليل الرائع إلى معرفته الواسعة بموضوعات الأدب العربي من جوانب مختلفة، والشعور الدقيق بمستوى الطلاب العلمي والأدبي وحاجتهم الأساسية لتنمية مؤهلاتهم العلمية والأدبية ومستوى ثقافتهم.

[17] الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، **مصادر الأدب العربي**، (لكناؤ: دار الرشيد، ط2، 2012م)، ص: 14.

لقد وضع المؤلف ترتيبًا زمنيًا في ترتيب هذا الكتاب، حيث بدأه من الجاحظ (م255هـ)، ووصل إلى النهاية بذكر وفيات الأعيان لابن خلكان (م681هـ).

البيان والتبيين للجاحظ:

قام بتأليف هذا الكتاب الذي يعد من أمهات الأدب العربي أبو عمرو بن بحر الملقب بـ"الجاحظ"، وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب الألفاظ والتراكيب ولهجات العرب في البدو والحضر والأفكار والأساليب وتناسب اللفظ والمعنى، وتكلم عن الشعراء والخطباء، وجاء بالأخبار والنوادر والطرائف، وشواهد القرآن الكريم والحديث الشريف والخطب والأمثال، ولم يتقيد الجاحظ في إعداد الكتاب بمنهج محكم يترسمه، بل يبدأ الكلام في قضية من القضايا، ثم يتركها في أثناء ذلك ليتناول قضية أخرى ثم يعود إلى ما أسلف من قبل.

تناول واضح الندوي هذا الكتاب بدراسة شاملة، ففي البداية سلَّط الضوء على حياة صاحب الكتاب، وجاء إلى الآراء المختلفة التي وردت من قِبَل النقاد والباحثين حول اسم الكتاب "البيان والتبيين" أو "البيان والتبين". وذكر سبب تأليف الكتاب ومنهج كتابته، وبعد ذلك عرض بعض أبواب الكتاب مع ذكر الأمثلة مثلاً: باب البيان وباب ذكر اللسان وباب الصمت وباب الأسجاع من الكلام، باب مزدوج الكلام وباب من اللغز في الجواب، وغيرها من الأبواب الأخرى بالإضافة إلى بعض الأمثلة من الخطب المؤثرة.

أدب الكاتب لابن قتيبة:

ألّف هذا الكتاب القيم الذي يعد من أهم مصادر الأدب العربي أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي والمروزي الدينوري المعروف بـ"ابن قتيبة" وهو كتاب تأدب به الكثيرون واهتم به الأدباء والكتاب بالشرح والنقد والتعليق والتحليل حسب أذواقهم ومستوياتهم في عصور مختلفة.

لقد استعرض واضح الندوي حياة صاحب الكتاب ومذهبه في الكتابة بالإضافة إلى نقل الآراء التي أدلى بها الأدباء والكتاب الآخرون عن شخصيته وذوقه الأدبي وعلمه

الغزير وفضله في اللغة والنحو والأدب، كما ذكر سبب تأليف هذا الكتاب في ضوء ما كتبه نفس المؤلف في مقدمة الكتاب، يقول الندوي عن أسلوبه:

"يمتاز أسلوبه بوضوح واصطفاء ألفاظ والمزاوجة بينها على طريقة الجاحظ أحيانا وأحيانا يسترسل دون محاولة الازدواج، لكن مع العناية باختيار الكلمات والملائمة بينها بحيث لا تجد فيها أي نشوز ولا أي اضطراب، أو انحراف، كانت لغته مرنة، لا يتأبى عليه أي لفظ، ولا تستعصي عليه أي كلمة، أسلوب متناسق مستو. ويبدو كتابه "عيون الأخبار" كأنه مصبوب في قوالب متماثلة، قوالب تستريح لها الآذان، وتجد فيها القلوب والعقول متاعا لا ينفد، ولا يستطرد ابن قتيبة كاستطراد الجاحظ الذي قد يكون مملا، بل ينسق كلامه تنسيقا ويفوق الجاحظ في هذا التنسيق"[18].

الكامل للمبرد:

كتب هذا الكتاب أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عميرة بن حسان بن سليمان، الملقب ب"المبرد". ويعد هذا الكتاب أحد أصول علم الأدب وأركانه، ومن أمهات كتب الأدب العربي، وهو كتاب يتحدث عن علوم اللغة وآدابها، ويحتل مكانة ديوان تخير فيه الكاتب نصوصًا من أقوال العرب القدامى شعرًا ونثرًا، بل هو مجموعة من المختارات الأدبية، ركّز عنايته فيها على شرح المشكلات اللغوية والنحوية التي تخلقها تلك النصوص الأدبية، كما قام باستخراج ما فيها من فوائد ونكت تتعلق باللغة والأدب العربي. وقد أشار صاحب هذا الكتاب إلى سبب وجود الكتاب:

"هذا كتاب ألفناه، يجمع ضروبا من الآداب، ما بين كلام منثور وشعر مرصوص، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحًا وافيًا"[19].

[18] المرجع نفسه، ص: 75.

[19] المرجع نفسه، ص: 90.

تحدث واضح الندوي عن ترجمة صاحب الكتاب وسبب تأليفه بالإشارة إلى ما قاله الأدباء الآخرون عن نبوغه في النحو واللغة والأدب وعن علمه الغزير، ثم أتى ببيان بعض الأبواب أو بعض جزء من الأبواب لهذا الكتاب مع الأمثلة وشرح الكلمات والبلاغة.

الأمالي لأبي علي القالي:

قام بتأليف هذا الكتاب أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالي اللغوي. وهذا الكتاب عند أهل الفن عمدة في بابه ومرجع في اللغة والأدب، ويحتوي على أقوال العرب وأمثالهم بكثرة، مما يُعتبر مرجعًا في هذا الباب.

لقد ألقى واضح الندوي الضوء على حياة أبي علي القالي بإيجاز، وذكر آراء الآخرين عن "الأمالي". ومر مرورًا سريعًا بالأدباء الذين أخذ عنهم أبو علي القالي، ثم تطرق إلى منهج أبي علي في عرض النصوص وشرحها، ومصادر الأمالي. كما جاء بذكر بعض العناوين البارزة في الكتاب. وكل ما درسه الندوي في كتابه هذا يدل على عنايته الخاصة بالأدب العربي وتاريخه ومطالعته الواسعة.

الأغاني للأصفهاني:

استعرض واضح الندوي استعراضًا شاملاً لحياة مؤلف كتاب الأغاني وأخلاقه ومنهجه في تأليف هذا الكتاب، وباعثه على التأليف، قال ابن خلدون عن الكتاب: "قد ألف القاضي الأصفهاني، -وهو ما هو- كتابه في "الأغاني"، جمع فيه أخبار العرب، وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم، وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه، ولعمري أنه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر، والتاريخ، والغناء، وسائر الأحوال، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها، وأنى له بها"[20].

[20] مقدمة ابن خلدون 255/2، تح: أبو عبد الله السعيد، الشارقة: مكتبة العلا، ومؤسسة الكتب الثقافية، 2003م، (نقلا عن مصادر الأدب العربي، ص: 132).

ولم يلتزم أبو الفرج الأصفهاني بأن يكون "الأغاني" جاريا على نسق مخصوص، بل الكتاب قائم على غير ترتيب الشعراء والمغنين.

العقد الفريد لابن عبد ربه:

قام بتأليف هذا الكتاب أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي، الذي نشأ وترعرع في قرطبة ونال حظا وافرا من التفسير والحديث والفقه والنحو والعروض والتاريخ والأدب.

والعقد الفريد من أمهات كتب الأدب، ويعد من أهم كتب الأدب وأوسعها، بل هو خزانة المجوهرات العديدة التي تشتمل على خلاصة علوم ذلك العصر. وهو مصدر مهم للتراث الإسلامي وموسوعة ثقافية عربية تحتوي على الفنون الأدبية والفكرية. وقد استوعب خلاصة ما دون من كتب الأصمعي وأبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم، وقد تأنق ابن عبد ربه في تقسيم الكتاب وتبويبه. قسم الكتاب إلى خمسة وعشرين بابًا، وسمى كل باب باسم جوهرة من جواهر العقد، مثل اللؤلؤ في السلطان، والفريدة في الحروب ومدار أمرها، والمرجانة في مخاطبة الملوك.....

واستعرض الندوي حياة ابن عبد ربه، ومصدر هذا الكتاب وخصائصه الأدبية والفنية التي يمتاز بها عن الكتب الأخرى.

"ومن خصائص كتابه، كما ذكر ابن عبد ربه، حسن الاختيار، والترتيب، وسائر مواد كتابه تتعلق بالشرق وليس فيه الغرب، إلا ما أورد من شعره، وحذف ابن عبد ربه الأسانيد للاختصار"[21].

اختلف الباحثون في مصدر هذا الكتاب، فيعتقد بعضهم أنه اعتمد على عيون الأخبار، في حين يرى الآخرون أنه اعتمد على الكامل للمبرد، ولكن أحمد أمين يقول إنه تأثر بكتاب ابن قتيبة "عيون الأخبار" كثيرًا[22].

[21] المرجع نفسه، ص: 156.

[22] المرجع نفسه، ص: 157.

وفيات الأعيان لابن خلكان:

إن هذا الكتاب الذي ألفه المؤرخ الكبير والأديب البارع أحمد بن محمد خلكان، يعد من أهم كتب السير والتراجم، ويشتمل الكتاب على أكثر من 850 ترجمة لمختلف الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وغيرهم من القرن الأول للهجرة إلى عهد ابن خلكان. وقد التزم الكاتب ترتيب هذا الكتاب على حروف الهجاء، وقام بمراعاة سنة وفاة الأعلام، لا سنة الولادة، وقد حاول الكاتب أن يتطرق إلى أهم الحوادث الكبيرة التي تتعلق بحياة الشخصية المترجمة، فيأتي بمكارم تلك الشخصية إن كانت حاكمة، ويذكر نماذج شعرها إن كانت شاعرة. وألقى واضح الندوي الضوء على أهمية الكتاب وسماته البارزة ومؤلفه:

"من سمات الكتاب أنه رغم تأليفه في عهد التصنع والتزخرف -لأنه ألف في القرن السابع- وهو عهد الكاتب الأخير القاضي الفاضل المعروف بإفراطه في الزخرفة اللفظية، والكلف بالسجع، يمثل الأسلوب المتميز بسهولة التعبير وحسن البيان، فليس أسلوبه بأسلوب خال من جمال التعبير، وليس بأسلوب مزخرف يغلبه التكلف والتزخرف اللفظي، ويتجلى في التراجم الذوق الأدبي للمؤلف، سواء كان يرسم الشخصية، أو يقدم وصفاً لحادث أو منظر، أو يحكي قصة، أو يتناول موضوعًا علميًا، أو فكرة فلسفية، أما تراجم الشعراء والأدباء في الكتاب فهي حافلة بنوادر ونكت تثير الذوق الأدبي، وتثري الثروة الأدبية، وتحي الملكة الفنية"[23].

فيعد كتاب "مصادر الأدب العربي" ذريعةً مهمةً للتعريف بمصادر الأدب العربي، ويؤدي إلى التربية الأدبية والإسلامية بالمعنى الحقيقي، والتأدب بالآداب الكريمة والتخلق بالأخلاق الفاضلة، ونفعه عظيم لطلاب اللغة العربية وآدابها، ومقبول في الأوساط العلمية والأدبية.

(أدب الصحوة الإسلامية)

أصدرت هذا الكتابَ دار الرشيد بلكناؤ عام 2009م، وهذه هي الطبعة الرابعة لهذا الكتاب، مما يدل على أهمية هذا الكتاب وموضوعاته التي تناولها واضح

[23] المرجع نفسه، ص: 165.

رشيد الندوي فيه، وقد سبق أن أصدرت دار نشر عالمية في القاهرة ودمشق وعمان ثلاث طبعات للكتاب في فترات شتى.

في الحقيقة إن هذا الكتاب مقالة قدَّمها واضح الندوي في المؤتمر الدولي للأدب الإسلامي الذي عُقد في رحاب دار العلوم ندوة العلماء في جمادى الأولى 1401 من الهجرة.

يتناول هذا الكتاب موضوع "أدب الصحوة الإسلامية" من خلال تقديم نماذج رائعة للأدباء والكتاب الإسلاميين من العرب وغيرهم من الهنود الذين جعلوا الأدب السلاح الأقوى للدعوة إلى الإصلاح والدفاع عن الأمة الإسلامية، وإزالة الشكوك والشبهات إزاء الإسلام وأتباعه، وأوضحوا عيوب الحضارة الغربية وما يترتب عليها من آثار هدامة، وألهبوا الضمائر بدروسهم ومقالاتهم وتركوا آثارهم أينما زاروا، فإنهم قاموا بإحياء القلوب ورفع الهمم وإيقاظ الوعي الإسلامي وأشعلوا الحمية الدينية وأثاروا الغيرة، ولم يألوا جهدًا في إنهاض الناس من سباتهم العميق، ودعوهم إلى بناء العالم على مبادئ إسلامية محكمة مفتخرين بشريعتهم المطهرة وواثقين بدينهم السمح. فتحدث مؤلف الكتاب عن الأدباء والكتاب الذين لهم دور قيادي في أدب الصحوة الإسلامية، وهم السيد جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومصطفى لطفي المنفلوطى، ومصطفى صادق الرافعي، وشكيب أرسلان، والإمام حسن البنا، والدكتور مصطفى السباعي، والشهيد السيد قطب، ومحب الدين الخطيب، وعلي الطنطاوي، والدكتور محمد إقبال، والأستاذ أبو الأعلى المودودي، والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي.

فكان لهؤلاء منة عظيمة على الأمة الإسلامية، وكان لهم مساهمات فعالة في هز نفوس الشباب الإسلامي في العالم الإسلامي، ونشر الثقافة الإسلامية، وكشف القناع عن زيف الحضارة الغربية، ورد الهجوم على من ينظرون إلى الإسلام بنظرة التصغير والتضييق، ولا يرون الإسلام بأن يليق للأدب الحي المقبول، ويبذرون الشكوك حول الإسلام وتعاليمه، ويحاولون تشويه صورة الإسلام من آرائهم وأفكارهم الفاسدة، فلكتابات جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده

عن طريق مجلتهما "العروة الوثقى" على الأخص، وكتابات عدد كبير لمعاصريهما في مصر والشام وفي الهند، وكتابات زعماء تحرير البلاد، أمثال أبي الكلام آزاد، وظفر علي خان، ومحمد علي جوهر باللغة الأردية تأثير كبير في إيقاظ العالم الإسلامي من سباته ورسم خطوط للصحوة الإسلامية، وإزالة الستار عن مكائد الأعداء الخبيثة وتضليلاتهم في الثقافة والفكر والأدب.

تحدث المؤلف تحت عنوان "من أدب التقليد إلى أدب الحياة" عن دور السيد جمال الدين الأفغاني الريادي في أدب الصحوة الإسلامية بقدر من التفصيل، الذي وصل إلى مصر في مارس سنة 1871م، وأدرك خطر السيطرة الأوروبية الذي كان يهدد العالم الإسلامي كله، فكافح الأفغاني أسلوب الكتابة الرائج وقتذاك، واختار الأدب كسلاح أقوى للدعوة إلى إصلاح النفوس وتهذيب العقول، والدفاع عن الهجمات على الأمة الإسلامية وقام بدعوة صريحة إلى نبذ ذلك الأسلوب العقيم الخالي من الحياة الذي كان سائدًا في عصره، وحض تلاميذه على نفخ روح الانبعاث والاندفاع والانطلاق وحثهم على إقامة الفصول الأدبية والاجتماعية والسياسية وعلى اختيار أسلوب يلائم العصر:

"كان الأدب عبدا للأرستقراطية لا هم له إلا مدح الملوك والأمراء والتغني بأفعالهم وصفاتهم مهما بلغ من ظلهم، فحوّل السيد جمال الدين الأفغاني مجرى الأدب ونقله من حال إلى حال، وحرر الأدب من القيود، وسخره لخدمة الشعب، يطالب بحقوقه، ويدفع الظلم عنه، ويهاجم من اعتدى عليه كائنا من كان، يبين للناس سوء حالهم ومواضع بؤسهم، ويبصرهم سبب فقرهم، ويحرضهم على أن يخرجوا من الظلمات إلى النور، وأن لا يخشوا بأس الحاكم"[24].

فترك الأفغاني جيلاً من الكتاب والصحفيين الذين قاموا بدور ملموس في تربية الأجيال القادمة وإصلاحهم من الكتاب والساسة. وذلك عن طريق "العروة الوثقى" التي هي نواة الصحافة الإسلامية والأدب الإسلامي وغيرها من صحف ومجلات.

[24] الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، **أدب الصحوة الإسلامية**، (لكناؤ: دار الرشيد، ط1، 2009م)، ص: 30.

ثم تحدث عن نشأة الكتاب المغتربين الذين ينتسبون إلى البلاد العربية وأدبها وثقافتها وحضارتها جسديًا، ولكنهم يفتنون بالبلدان الغربية وأدبها وثقافتها وحضارتها فكريًا، ودعوا إلى التغريب. فإن أمثال هؤلاء الأدباء كانوا من خريجي المدرسة الأوروبية، فإنهم تأثروا بالأفكار الغربية تأثرًا كبيرًا، ورفضوا أصالة الآداب والعلوم العربية وأصحابها، وأثاروا الشكوك والشبهات حول بطولة قادة العرب، وتاريخهم المشرق ونظام حكمهم وحياتهم، وشنوا حملة على العقائد الدينية والمقررات التاريخية والتراث العربي والتاريخ والأدب وحضارة العرب وثقافتهم، وحاولوا إفساد الثقة الإسلامية في ثقافتها واحترامها للشخصيات الإسلامية والمبادئ الاجتماعية، حتى إنهم أرادوا تغيير الخط العربي واستبدال العربية الفصحى مع العامية عن طريق اختيار منهج يتلون بالألفاظ والمعاني والأفكار الغربية، في الحقيقة قد انقطعت صلتهم عن الإسلام والعربي:

"أما الذين نظروا إلى هذا العهد باحتقار، وشكوا في أدب العرب وشعرهم وتاريخهم وثقافتهم، وبهتوا بثقافة الروم واليونانيين وحاولوا أن يربطوا العرب بذيلهم ويرجعوا كل فضل في تاريخ آداب العرب وحضارتهم إلى اليونانيين والروم، وشوهوا التاريخ المجيد فإنهم كتاب وأدباء مؤجَّرون وإن كانوا ينتمون قوميا إلى العرب ولا يستحقون أن يعدوا من الكتاب العرب والأدباء العرب الأقحاح، وإنما هم متغربون ويجب أن يعاملوا معاملة الخلعاء"[25].

ثم استعرض الأدباءَ الذين قاوموا أقلام الغزاة من الغرب، ومن تأثروا من الغرب بأفكارهم المضللة والتشكيكية، فألقى الضوء على هؤلاء الأدباء، وفي طليعتهم الأمير شكيب أرسلان، ومصطفى لطفي المنفلوطي ومصطفى صادق الرافعي، والإمام حسن البنا، وأتباعهم من أصحاب القلم السيال الذين أحسوا هذا الخطر الجديد للغة والأدب والثقافة والحضارة، فلم يدخروا وسعًا في إعادة مجد المسلمين وتكوين ثقافتهم من جديد والدفاع عن الهوية الإسلامية، ولم ينسلخوا من احترام اللغة العربية واحترموا الثقافة العربية، وضحوا بكل ما لديهم من نفيس وغال في

[25] المرجع نفسه، ص : 44.

الدفاع عن التراث العربي والأدبي والثقافي والفكري والتاريخ العربي، وتصدوا للأدباء والكتاب الذين حاولوا تشويه صورة العربية وآدابها من أجل تدمير الأفكار العربية والتقليل من شأن الثقافة العربية. يقول المؤلف عن إدراك الأمير شكيب أرسلان لهذا الخطر العظيم وكتابته للرد على هجوم الغرب:

"كان الأمير شكيب أرسلان من الذين سبقوا إلى إدراك خطورة الموقف، فتصدى لرد هذه المزاعم، وإن حواشيه القوية وتعليقاته في "حاضر العالم الإسلامي وغابره" إن دلت على شيء فإنما تدل على حرصه على حماية الدين الإسلامي وتاريخه، ودوره في إنقاذ البشرية، وصلاحيته، ليس للبقاء فحسب بل لقيادة العالم، وقد قام فيه بدور عظيم ليس في الدفاع عن الإسلام بل في الهجوم على الغرب، وصموده لمكافحة الغزو الفكري"[26].

ويقول عن مصطفى صادق الرافعي: "وقد كان عنيفا في نقده للحضارة الغربية ونقد آراء الأدباء العرب المتفرنجين والمقلدين، فكان يرى أن الإيمان محور الحياة ولا تتطور الحضارة الإنسانية ولا الحياة الوطنية إلا بالتمسك بالعقيدة الصالحة التي تربط الأمة، والأخلاق الفاضلة بالإضافة إلى رده على الحملة على العربية والعرب والإسلام"[27].

واستعراضًا لمساهمة الهند في نشر الفكر الإسلامي، تحدث المؤلف عن الدور الهائل الذي قام به أبو الأعلى المودودي في شرح الإسلام شرحًا عصريًا، وحل مشاكل العصر ونقد الحضارة الغربية والنظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية الغربية. وذلك بأسلوب علمي تحليلي وعصري حتى تأثر عدد كبير من الدعاة والكتاب الإسلاميين بأسلوبه الرائع وكتبه المفيدة، فاختاروا أفكاره وأسلوبه، يقول المؤلف: "في العهد الأخير كان لكتابات الأستاذ المودودي تأثير كبير على الفكر الإسلامي في الرد على مطاعن أعداء الإسلام العلمية والأدبية وشرح الإسلام شرحًا عصريًا

[26] المرجع نفسه، ص: 51.

[27] المرجع نفسه، ص: 56.

وتحليل المفاهيم الغربية في ضوء الفكر الإسلامي، والتوفيق بين تعاليم الإسلام ومتطلبات العصر"[28].

ثم تطرق المؤلف إلى دور الشاعر الإسلامي إقبال الريادي في الدعوة إلى إصلاح الأمة وتشكيل المجتمع الإنساني والتحرر من الاستعمار الغربي وإلمامه بمشاكل الحضارة المعاصرة وعرض حلها، وهو الشاعر الذي قد ركّز شعره على قضية نهضة الأمة الإسلامية وتقويتها، لتسترد حقوقها ولتضطلع بمهامها في هداية البشرية التي صرفتها الأطماع المادية عن قيم الحق والعدل والحرية، فإنه قد حمل لواء الإصلاح والتجديد بشعره على أساس تعاليم الإسلام ومبادئه، يقول المؤلف عن أسلوبه:

"لم يكن مدافعًا، أو ناقدًا سلبيًا للحضارة الغربية، أو موفقًا بين الإسلام والحضارة الغربية، وإنما كان داعيًا إلى حضارة الإسلام العريقة، وكان ينوح على المجد التليد للأمة الإسلامية ويشكو بؤسها وشقاءها وبطش أوروبا، وكان يحلل أسباب الانحطاط، ويدعو إلى إنعاش روح الإيمان في المسلمين في شعر قوي مؤثر"[29].

وفي الأخير سلّط الضوءَ بالإطناب على حياة السيد أبي الحسن علي الندوي الدعوية والإصلاحية والفكرية في ضوء كتبه المختلفة وخاصة "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" الكتاب الذي نال شهرةً فائقةً في أنحاء العالم وبخاصة في العالم العربي، والذي قام بتعريف صاحب الكتاب في العالم العربي، وأطلع العالم العربي على حياته المليئة بالدعوة والإرشاد والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرد على أفكار الغرب المضللة وتشويه صورة الإسلام وأتباعه.

"بحث الكاتب الإسلامي الكبير بعد تشديده على أهمية غرس الإيمان في القلوب، والتحريض على الجهاد في سبيل الله، وتحمل المكروه، يحث على العناية بجوانب أخرى للنهضة الإسلامية، وأخصها العناية بتربية الشباب وتعويدهم على تحمل المشاق، وعلى خشونة العيش والجلادة، ومحاربة كل ما يضعف روح الرجولة، كما يدعو إلى محاربة الأسباب التي تحدث الاتجاه إلى التنعم في الحياة، فيحث على

[28] المرجع نفسه، ص: 89.

[29] المرجع نفسه، ص: 91.

مكافحة التبذير، وإزالة الفوارق الاقتصادية بين مختلف طبقات الأمة، والتخلص من أنواع الأثرة"[30].

أنشأ أبو الحسن الندوي مدرسةً فكريةً وأدبيةً ويظهر طابعه في كتابات المتخرجين منها، وفي طليعتهم الكاتب الشباب والصحافي البارع المرحوم محمد الحسني والسيد محمد الرابع الحسني الندوي، وسعيد الأعظمي الندوي، يقول المؤلف عن أفراد هذه المدرسة الذين أرسوا قواعد الصحافة الإسلامية العربية في الهند، وقاموا بتوجيه الصحوة الإسلامية: "فجاهد هؤلاء الكتاب بأقلامهم في سبيل كلمة الحق، وشاركوا النضال في البلاد العربية، وهم بعيدون عنها جغرافيًا، لكن قلوبهم وعواطفهم ومشاعرهم كانت دائما مع الإخوة المستضعفين في البلاد العربية، شعارهم الوحيد إلى الإسلام من جديد، وارتفعوا عن الحواجز الجغرافية والقومية والسياسية رغم إمكانياتهم الضئيلة، وخاطبوا الأمة الإسلامية في عصر القوميّات، وفي عصر الانقسام على أسس النظم الاقتصادية والفكرية، بخطاب واحد، "أخي في الدين، لا في التراب والطين"[31].

خاتمة البحث:

بذل واضح رشيد الحسني الندوي أقصى جهده في إعداد كتبه الأدبية بأسلوب جميل جذاب وخال من التصنع والملل، لا تعقيد فيها ولا غموض، وهذا يدل على اطلاعه الواسع على الأدب العربي قديمًا وحديثًا وقدرته التامة على اللغة العربية. وألف بعض كتبه حسب مستويات الطلاب وأذواقهم ليتمكنوا من الاستفادة منها بشكل كامل. في البداية كانت معظم مؤلفاته التي تم تحليلها هنا بمثابة المذكرات التي أعدها لتدريس طلاب الدراسات العليا في ندوة العلماء عندما أُسندت إليه مسؤولية تدريس تلك المادة، أو المقالات والبحوث التي قدمها في الندوات والمؤتمرات.

لم يقم المؤلف في معظم كتبه بمراعاة بعض الأمور المهمة وهي: لا يلحق قائمة المصادر والمراجع التي استفاد منها في إعداد الكتب. وعندما يقتبس من كتاب لا

[30] المرجع نفسه، ص: 100.

[31] المرجع نفسه، ص: 114.

يذكر اسم الكتاب وصاحبه ورقم الصفحة ومكان نشره في أماكن كثيرة بل يكتفي بوضع علامة الاقتباس، الأمر الذي يتسبب في مواجهة الباحث الصعوبة إذا كان راغبا في مراجعة الأصل. ولا يتعلق هذا الأمر بجميع كتبه، بل إنه يلتزم بجميع الأصول والقواعد لوضع الكتاب والبحث في بعض كتبه. وبصرف النظر عن هذه الأمور البسيطة فإن جميع مؤلفاته لها أهمية كبيرة للمهتمين باللغة العربية وآدابها.

المصادر والمراجع:

- مقدمة ابن خلدون 255/2، تح: أبو عبد الله السعيد، الشارقة: مكتبة العلا، ومؤسسة الكتب الثقافية، 2003م.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، قصص النبيين للأطفال، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.
- الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، أدب الصحوة الإسلامية، (لكناؤ: دار الرشيد، ط1، 2009م.
- الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، (لكناؤ: دار الرشيد، ط1، 2009م.
- الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، المسحة الأدبية في كتابات الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، (لكناؤ: مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة، ط1، 2004م.
- الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، (لكناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر، 2010م.
- الندوي، محمد واضح رشيد الحسني، مصادر الأدب العربي، (لكناؤ: دار الرشيد، ط2، 2012م.

كتاب "الاتجاه شرقا":

رسالة التسامح والتعايش السلمي للعالم: دراسة استعراضية

د. سعيد الرحمن*

Email: saidjnu@gmail.com

ملخص البحث:

هذا البحث عبارة عن دراسة استعراضية لكتاب "الاتجاه شرقا" لعبد الله ناصر سلطان العامري، السفير السابق لدولة الإمارات العربية المتحدة لدى نيودلهي، وهو صاحب كتاب "على ضفاف نهر الغانج". يأتي كتاب "الاتجاه شرقا" ضمن أدب الرحلة بدون أي تردد إلا أن فيه بعض عناصر الرواية أيضًا. قدم المؤلف المشاهدات والخيال والحقائق مع الأساطير والتاريخ مع ذكر القصص الشعبية والديانات مع الملحمات القديمة من "الرامايانا" و"المهابهارتا".

قدّم صاحب الكتاب في هذا الكتاب رحلته الشيقة لـ"هيماتشال براديش" و"منالي" والممرات الجبلية والكهوف والمرتفعات والهضاب المتوجة بالثلوج، وكذلك صوّر منطقة لداخ وليه وبعض البحيرات فيها ومعابد البوذية. وشملت الرحلة "التبت" و"لاهسا" وبعض دول آسيا الوسطى ومكان السّد والردم لقوم يأجوج ومأجوج للبحث عن حقيقة أقوام تعيش تحت الأرض منذ آلاف السنين وهم يتناسلون وعددعم ربما يفوق عدد الإنسان على الكرة الأرضية. والمهم في هذا الكتاب هو الدعوة إلى التعايش السلمي والتسامح بين أتباع الديانات والثقافات واللغات والتسابق في عمل الخير وصنع السلام.

كلمات مفتاحية: أدب الرحلة، البوذية، التبت، التعايش السلمي، الهند.

Abstract:

This article is a review study of the book "Al Ittijahu Sharqan", authored by Abdullah Nasir Sultan Al Amiri, former UAE ambassador to New Delhi. The author of the book ''Al Ittijahu Sharqan" presented his interesting journey to Himachal Pradesh, Manali, mountain passes,

* أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية، الجامعة العالية، كولكاتا، الهند.

caves, and snow capped plateaus. He portrayed the valleys of Ladakh and leh surrounded by some small lakes and Buddhist temples. The journey includes places like Tibet, Lahsa, and some Central Asian countries etc. The book signifies the call for peaceful coexistence and tolerance among followers of different religions, practicing cultures, languages, and competition for charity and peacemaking.

مقدمة:

تعد الهند دولة مترامية الأطراف، يكثر فيها المعتقدات والفلسفات واللغات والأساطير. يقال إن وحدة الهند تكمن في تنوعها. وهنا في الهند كانت حركات تدعو إلى وحدة الدين (لا أديان) وهو عبادة الله وحده والتسابق في عمل الخير والإنسانية مثل حركة –بهكتي–. وقد قام كثير من علماء اللاهوت من الهندوس والمسلمين والبوذيين بالجمع بين تعاليم الأديان المختلفة في زمن الملك المغولي جلال الدين أكبر إلى عصر الملك أورنك زيب عالمغير. وفي زمن الملك جلال الدين أكبر نُقلت أكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة سنسكريتية في الديانة الهندوسية إلى اللغة الفارسية ونتيجة لحركة الترجمة حصل هناك احتكاك بين الهندوس والمسلمين حتى قام الأمير داره شكوه بن الملك شاه جهان (صاحب التاج محل) بترجمة "الأوبانيشد" إلى اللغة الفارسية. ومن خلال ترجمته الفارسية اطلع علماء الغرب على أقدم تراث هندوسي ديني. عندنا في كل ولاية بعض العلماء الذين ألَّفوا كتبًا في احترام الديانات الأخرى.

أصحاب الطريقة الصوفية المشهورة باسم النقشبندية معروفون باحتكاكهم لبعض طرق التأمل والتنفس عند البوذيين. وفي القرن الخامس عشر، قام القاضي ركن الدين السمرقندي بنقل أشهر كتاب في اليوغا ألا وهو كتاب "أمرتكندا" إلى اللغة العربية باسم "حوض ماء الحياة" وقد وصل هذا الكتاب إلى أوساط صوفية في دول آسيا الوسطى ومصر وبعض دول إفريقيا.

والترجمة الفارسية لهذا الكتاب متاحة في بعض المكتبات باسم "بحر الحياة" نقله إلى اللغة الفارسية الصوفي الشهير محمد غوث الكواليارى المدفون بقلعة كواليار

بولاية مادهيا براديش. وهناك كتب ومخطوطات وأغاني وأناشيد شعبية وتعبدية تدعو إلى احترام الأديان والثقافات، وفي كثير من الأحيان إلى محاكاة بعضهم البعض، ولكن الأوضاع قد تغيرت واحترام الديانات والثقافات يتقلص والتعددية الاجتماعية في خطر. فلا بد من تصوير هذا الجانب أيضًا حتى تكتمل الصورة. فللعملة وجهان وفي الإنسان خير وشر وصالح وطالح.

ولاكتشاف هذا التنوع في الدين والمعتقد والفلسفة واللغات والثقافات لا بد من القيام بأسفار عديدة لولايات الهند الشهيرة حتى تستكمل الصورة الصحيحة للهند.

حينما أراد الأستاذ عبد الله ناصر سلطان العامري (حفظه الله ورعاه) أن يدوِّن رحلته في الهند والتبت وبعض دول آسيا الوسطى فلا بد أن تكون لديه فكرة أساسية أو رسالة سامية أو قيم أخلاقية وإنسانية يريد إيصالها إلى القراء. وحاولت أن أتعرف على شخصية المؤلف من خلال صفحات هذا الكتاب، لأن كل ما يكتبه الإنسان من قصة أو مقالة أو شعر يكون جزءً من عقله وقلبه. فبدون البحث في نوعية النص في كتاب "الاتجاه شرقا" سواء كان نصًا مفتوحًا أو غير مفتوح أحاول في الكشف عن الرسالة والمعاني والمبادئ التي يدعو إليها المؤلف ويحتوي عليها الكتاب. إن كتاب "الاتجاه شرقا" كتاب رحلة ممتعة وشيقة جدا. قد شملت الرحلة بعض الولايات الشمالية للهند مثل "هيماتشال براديش" والمدن الواقعة بجوار الهيمالايا و"لداخ" و"ليه" و"كاتماندو" –عاصمة نيبال- ثم "التبت" و"لاهسا" وبعض المناطق الواقعة بين طاجكستان وقيرغيزستان مع جبالها وهضابها وقصورها ومروجها وسهولها ومعابدها ودكاكينها.

خصائص هذه الرحلة:

إن هذه الرحلة تجمع كل خصائص وعناصر الرحلة المعروفة المطردة في التراث العربي المتصل. فيها ذكر المدن والقصور والمساجد والمعابد والكنائس والغابات والأجمات والكهوف والمغارات والحيوانات. ذكر المؤلف في هذا الكتاب الأديان والمذاهب والمعتقدات والأساطير والملحمات والقصص الشعبية والخرافات. وفيه

الحديث عن الهندوسية والبوذية والإسلام وطرق عبادة الهندوس والبوذيين، وكذلك ذكر فيه قصصا من "الرامايانا" و"المهابهارتا" من الملحمات القديمة في الهند والأساطير مثل "الياك" و"الياتي". تصوِّر هذه الرحلة أخلاق الناس وعاداتهم وملابسهم حتى ملامح وجوههم من الابتسامة والعبوس والتجهم والانبساط والفرح.

الفكرة الرئيسة في هذا الكتاب:

يهدف الكتاب أساسا إلى تعزيز فكرة التعايش السلمي والتسامح بين أتباع الديانات والثقافات واللغات واحترامها والدعوة إلى إحياء الصفات المشتركة بين بني البشر والتخلق بها لخلق بيئة خالية من العداوة والبغضاء والحروب اللامتناهية. يقول المؤلف: "على الرغم من أن الجنس البشري يختلف فكرًا ومعتقدًا عن بعضه البعض، ورغم اختلاف الديانات والمذاهب، إلا أن الفطرة داخل الإنسان تدفعه لعمل الخير والمشاركة في صنع المحبة والسلام. نحن نأخذ الأمور بالظن الحسن، واحترام ما يعتقد غيرنا، هي فضائل يؤمنون بها من هدوء وإيمان واطمئنان مؤد إلى سلام روحي، ونقاوة في الصفات التي تقرب البشر بعضهم من بعض وتخلق توازنا وعدالة بين الناس... هي صفات مشتركة تجمع البشرية كلها"[1]. فإن فكرة التسامح والتعايش السلمي والدعوة إلى عمل الخير والإحسان والعدل سائدة في هذا الكتاب.

قوة الإرادة والثقة بالنفس والانفتاح على العالم:

يحمل هذا الكتاب في طيه رسالة قوية إزاء التغلب على الصعوبات وتذليل العقبات واتخاذ سبل النجاح والفوز والتقدم، وليس من مفردات هذا الكتاب الاستسلام والخمول بل التقدم إلى الأمام والسعي في الحياة وإحراز الإنجازات.

كتب المؤلف في الإهداء "إلى أصحاب الإرادة والعزيمة الذين لا يعرفون الهزيمة ولم يستسلموا أمام الصعاب يلقن المؤلف درسًا مهمًا جدا في بيان أسباب الانتصار والنجاح في الحياة بلسان السيد "راج" مدرب التسلق على الجبل: "أيها السادة لي الشرف أن أصحبكم في هذه الرحلة التي أثبتم فيها كل معاني العطاء والتحمل

[1] العامري، عبد الله ناصر سلطان، **الاتجاه شرقا**، (الشارقة: أوستن ماكولي للنشر، 2019م)، ص: 76.

والجلد والإيثار وهذه أمور أنتم أدرى مني بعظمتها عندما يمتلكها الإنسان. أنا لا أعرف أية صفة للنجاح أكثر مما حققتموه بالمثابرة والجهد، أنتم أشخاص لا يمكن هزيمتهم لأن اليأس لم يتسرب إلى نفوسكم ولو تركتم له ذلك لكنت رجوتكم ألا نستمر في هذه الرحلة"[2].

ويمكن أن نطلع على وجهة نظر المؤلف في الحياة والكون والدين والحقيقة والإرادة الربانية والتعامل مع أتباع الديانات والمعتقدات حتى الخرافات والأساطير في ثنايا هذا الكتاب الممتع. فيكتب المؤلف عن نظرته في الحياة والكون: "إن هذا النهر والشجر والجبال والحيوان وأسراب الطيور المختلفة حولنا وحياة البشر على الطرقات أو في الحقول أو القرى التي نمر عليها، منظومة متكاملة للحياة وإنها منظومة واحدة يحكمها الإنسان بقدرات ربانية لا يمكن تصورها، وإن تتخللها بعض الغموض أحيانا"[3].

البحث عن حقيقة الأقوام التي تعيش تحت الأرض:

وأما الافتراض أو الحقيقة الممزوجة بالأساطير والتي بنى عليها القصة والتي من أجلها قام المؤلف بالأسفار الطويلة وتحمل المشاق فهي أن أقواما تعيش تحت الأرض أمثال "الحن" و"المن" و"الماديون" و"العمالقة" و"الدروب" وأنهم على علاقة مع "يأجوج ومأجوج" وأنهم يتناسلون وأن عددهم ربما يفوق عدد الإنسان على كرة الأرض بخمس مرات أو سبع مرات.

وطبقا لمعتقدات بعض الديانات أن قوما نزلوا من السماء إلى الأرض فتحطم مركبهم فلم يستطيعوا الرجوع إلى السماء أبدا فاستوطنوا الأرض قبل 12000 سنة ومعظمهم اليوم يعيشون تحت الأرض. وهم سكان العالم السفلي ويعيشون على امتداد هضبة "التبت" وكهوف "الهيمالايا" وفي بعض مناطق "لداخ" مثل بحيرة "بانجونغ" إلى دول آسيا الوسطى وفي سيبيريا.

---

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه، ص: 174.

استخدم المؤلف لإثبات وجود هذه الأقوام التي تعيش تحت الأرض شخصيات حية وأضفى عليها مسحة خيالية، أمثال البابا "فيرما" و"رجل الجنوب" وشخصية "المبجل" و"حارس المقبرة" وحادثة "اختفاء الفتيات" والصبي "سمندر" الدليل الصغير بمنطقة "ليه" والشيخ قديروف.

وأما الأماكن التي اختارها لإثبات وجود هؤلاء الأقوام فهي الكهوف في الهيمالايا ومقبرة عند بحيرة "بانجونغ" الواقعة بـ"ليه" في لداخ[4] بولاية جامو وكشمير وهضبة التبت وقصر "بوتالا" وفي بعض الدول في وسط آسيا على حدود طاجكستان وقيرغيزستان وعند حفرة كولا في "سيبريا".

كانت رحلة الكاتب في الحقيقة للبحث عن مكان السد أو الردم الذي هو حاجز لقوم "يأجوج" و"مأجوج" وكذلك للبحث عن آثار الأقوام التي تعيش تحت الأرض في كهوف الهيمالايا وتحت هضبة "التبت" وربط بعضها ببعض.

وقد صوّر لنا المؤلف مفاجآت وأمورًا غيبيةً وظواهر عجيبةً جعلت الرحلة مشوقةً جدًا، ومن خلال تصوير تلك الظواهر غير العادية قدّم المؤلف نصائح غاليةً جدًا على لسان "المبجل". لو استطعنا تطبيق تلك النصائح لطالت مدة الحياة البشرية وامتد كذلك بقاء الكرة الأرضية وساد الأمن والأمان والرخاء والرفاهية في العالم كله. ولكن المؤلف في ثنايا هذه الرحلة اعترف مرارا بأن ليس في مقدور الإنسان أن يطلع على الحقيقة المطلقة في الكون ولا يستطيع أن يعرف جواهر الأشياء وحقائقها، فيقول "على كل حال فإن إدراك ما حولنا لا يعني الوصول إلى فهم الحقيقة، فالحقائق الكبيرة في هذا الكون صعبة وبعيدة المنال ولا يمكن الوصول إليها كما يبحث عنها هؤلاء"[5].

رسالة التفاؤل والإيجابية:

إن المؤلف له نظرة إيجابية في الحياة وليس في قاموسه اليأس والإحباط والقنوط والعبوس والتجهم، ولذلك اختار أفكارًا ومعتقدات وأساطير وقصصًا وأصدقاء

[4] تحولت منطقة لداخ إلى إقليم تابع للحكومة المركزية في الـ31 أكتوبر عام 2019م.

[5] المصدر نفسه، ص:271.

وأماكن للسياحة كلها تنبض بالحيوية والإيجابية والتفاؤل والابتسام والسعادة الروحية. ولا تقع عيناه إلا على ما هو إيجابي وما هو مشرق وينبض بالحياة والعطاء والتفاؤل.

يقول المؤلف: "يجب ألا ندع ضجيج الآخرين يحجب ثقتنا وعزمنا ويعرقل تفكيرنا عن الانطلاق نحو حدس العقل والفكر للحصول على المعرفة. فمحبطوا الهمم كثر وما علينا سوى اتباع اتجاهنا دون الالتفات للخلف فصغار العقول دائمًا هم سيحاولون تسطيح الطموح وقتله"[6].

نرى المؤلف كيف يشيد بالذين يحتفلون بالحياة ويتمتعون ويمرحون وينشطون وكيف أن أناسا يمتلكون مفاتيح التفاؤل والإيمان. يصف لنا السيدة سوزي ونجاحها في التسلق أو التزحلق وقد تجاوزت أكثر من ستين ربيعا من عمرها: "يا لهؤلاء القوم الذين يحبون الحياة ويعيشون اليوم ويتمنون الغد، ويتحركون ويمرحون كالشباب، أدركت أن هذه النوعية من البشر لا تتذمر كثيرا لتقدمها في العمر، هم لا يهتمون كثيرًا بظروف الحياة القاسية، أو حتى إحالتهم للتقاعد، أو مرضهم والتحسر على ما فات، هؤلاء يمتلكون مفاتيح التفاؤل والإيمان... هؤلاء يصرون على أن تكون شبابيكهم مفتوحة على الحياة، كما يصرون على فتح قلوبهم للتعايش مع كل ما هو جميل وينتظرون حتما الأجمل، هؤلاء لا تنتهي صلاحيتهم هكذا، وإن انتهت، فهم يموتون مبتسمين"[7].

الإشادة بتعاليم "بوذا":

يكتب المؤ لف عن ملخص البوذية في السطور التالية: "ملخص "البوذية" التي دعا إليها "بوذا" هي الدعوة إلى المحبة والتسامح والتعامل الطيب، والتصدق على الفقراء والمساكين وترك الملذات وعدم الإسراف وضرورة التقشف والابتعاد عن الملذات،

[6] المصدر نفسه، ص: 29.

[7] المصدر نفسه، ص: 141.

وتحريم الخيانة والقتل والكف عن المسكرات"[8]، مضيفًا "كان هدفه توعية الناس بالمحبة وفعل الخير والعدالة ونقل الناس من وعيهم العادي إلى وعي جديد مليء بالأحاسيس البشرية والروحية إلا أنه وكما ترى فإن صورته المبتسمة حتى الآن هي الغالبة على كل التماثيل المعروضة في أسواقنا"[9]. ولا ينتهي إعجابه بتعاليم "بوذا" المستنير حيث يكتب:

"بوذا" المبتسم يحمل أفكارًا حكيمةً يحفظها البوذيون من أتباعه داخل قلوبهم. وبقدر ما أود معرفة سر ابتسامة "بوذا" رغبت في معرفة رسالته السامية التي آمن بها أكثر من خمسين مئة مليون إنسان ... يبدو أن هناك سرا للابتسامة حتى تؤمن به هذه الملايين"[10].

ذكر المؤلف في مواضع عدة محاسن الفلسفة البوذية وتأثير هذه الفلسفة على أتباعها. فإن تصوير سكان مدينة "منالي" وعاداتهم وفلسفتهم في المأكل والمشرب من أدق التصاوير في كتاب "الاتجاه شرقا".

أفضل نموذج للتعايش السلمي في "لاهسا":

كما قلت إن الفكرة الرئيسة في كتاب "الاتجاه شرقا" هي التسامح والتعايش السلمي وقد ظهرت الفكرة في طول الكتاب وعرضه مباشرة وغير مباشرة. ههنا يوجد نموذج حي للتعايش السلمي بين البوذيين والمسلمين في التبت. يكتب المؤلف عمّا شاهد من التآلف والتعاطف والتآزر بين البوذيين والمسلمين في "التبت"، "يبدو أن التعايش بين الطائفتين الرئيسيتين، مع الطوائف الأخرى في (التبت)، يجسد معنى حقيقيا للتعايش السلمي، والانسجام والتسامح، والتضامن في أبهى معانيه، وتكاد لا تفرق بينهم، إلا من خلال ما يرتديه المسلمون من زي إسلامي، متمثلا بطاقيات

[8] المصدر نفسه، ص: 181.

[9] المصدر نفسه، ص: 195.

[10] المصدر نفسه،ص: 194.

الرجال والشباب وخمر النساء والفتيات.. يا لهذه الحالة الاستثنائية الإنسانية والفريدة في أعلى مناطق العالم"[11].

كيفية التعامل مع الأصدقاء:

إن للمؤلف فكرة رائعة في التعامل مع الأصدقاء وهي التركيز على الاتفاق على العناوين الرئيسية لا الخوض في التفاصيل. وللمؤلف أصدقاء يمدحهم في ثنايا كتابه الرائع مثل السيد "باندي" الإنسان المتدين الرائع المتأمل في الطبيعة وجمالها وسحرها المتفرس في وجوه الناس والمطلع على ما لديهم من خبرة وتجربة أو معرفة، وكذلك يمدح صديقه "أنيل" الإنسان الهش والبشوش المؤمن بالله على طريقته الخاصة إيمانًا صادقًا وشاملاً وقويًا. مع اختلاف الديانات واللغات والثقافات والعادات قضى المؤلف معهما أوقات السعادة والفرح والانبساط.

يجيد المؤلف تصنيف الناس إلى فئات عديدة منها فئة تجيد اختيار الكلام الجميل والأسلوب الممتع والجلوس معهم لا يخلو من الفائدة. يكون الأجنبي على اتصال فكري مع أجنبي آخر باختيار الكلام الجميل والأسلوب الرائع والموضوعات المناسبة التي تربط بين غريبين.

فيكتب المؤلف عن فلسفة التعامل مع الأصدقاء: "أنا مع صديقين مختلفي الأفكار في التفاصيل، لكنهما متفقان تماما على العناوين، هكذا تسير الحياة، وتمضي ولا تتوقف عند التفاصيل.. التفاصيل لا تهم كثيرا، فقد تتبخردون أن يتذكرها سوى القليل من عشاق التفاصيل الصغيرة، مع أن الحياة تحمل عناوين كبيرة لا بد من العيش في سطورها وأحداثها، حيث يكمن الحاضر ويختبئ المستقبل... كل شيء له حكمة، في العناوين أو في التفاصيل، لكل منهما جماله أو نقيضه، وستبقى الحياة سريعة الخطى، لا تلتفت للخلف... فلماذا نقف طويلا عند التفاصيل والعناوين الكبيرة واضحة"[12].

[11] المصدر نفسه، ص: 299.

[12] المصدر نفسه، ص:187.

اعتزاز المؤلف بالقرآن الكريم:

الإشادة بتعاليم "بوذة" السمحة وذكر الأديان والمذاهب والمعتقدات بالإيجابية لا يعني التحلل من ربقة الإسلام أو المرونة بين عقيدة الإسلام وعقيدة أخرى. يعتز المؤلف بالقرآن الكريم كثيرًا وبالعقيدة التي يحتوي عليها كتاب اللّه، "أنا محصّن بكتاب مقدس، أينما توجهت لخوض هذه التجربة أو أي تجارب قادمة ...إنه كتاب ليس من صنع البشر، سأهديه لكما في نهاية رحلتنا"[13].

تأثر المؤلف بالأماكن التي زارها:

لقد أعجب صاحب الكتاب بالمناطق والمدن المجاورة لـ"لهيمالايا و"لداخ" و"ليه" و"تبت" و"لاهسا" الخلابة ومناظرها الطبيعية بحيث قام بتصوير الجبال والهضاب والأودية والأنهار والمروج الخضراء وقطيع الغنم والبقر ورعاتها المغنين أعذب الأغاني وطلوع الشمس وإرسال خيوط النور من خلال السحاب الأبيض والليلة المقمرة والنجوم الزاهرة كأنها لوحات فنية بريشة مبدع كبير.

لا يفوت الكاتب ذكر ملامح وجوه الناس وهي البشرة والتلألؤ والانبساط والفرح فوصف حياة الناس في تانغلانغ هكذا: "الحياة في هذه الأنحاء من المعمورة، بسيطة ولا تحتاج إلى فلاسفة لتعقيدها. فجمالها طبيعي مستمد من محيطها الرباني، حتى وإن رآها غيري من منظور مختلف، إلا أنني على يقين بأنها تمثل الجمال كله، ولا جدال في ذلك. الناس هنا راضون بالقليل، مع ابتسامات دائمة، فهي لا تكلفهم مالا ولا جهدا كبيرا. الناس هنا مستمتعون بحياتهم رغم قسوتها وشقائها، لكنها قسوة خارجية ترفضها نفوسهم وقلوبهم اللطيفة. هؤلاء يعيشون البساطة في كل شيء مما يترك أثرا جميلا في القلوب ...أسلوبهم هو فلسفة بحد ذاتها، تجبر من يعايشهم على احترام أرواحهم الطيبة، وتضاعف من تقديرهم. الحزن هنا لا يدوم طويلا، فهم يبتسمون للحياة ويرقصون لها"[14].

---

[13] المصدر نفسه، ص: 179.

[14] المصدر نفسه، ص: 177-178.

وأما تصويره لمدينة "منالي" من نافذة الفندق في ليلة مقمرة فكل من يقرأ ذاك الوصف فلا بد له أن يتمنى لزيارة تلك المدينة الرائعة. فلنمتع عقولنا بتصوير ذاك المنظر البانورامي الذي رسمه قلم المؤلف. "لم أستطع النوم هذه الليلة وأنا أنظر من على سريري لذلك الجمال الأخاذ في الخارج. بعد منتصف الليل راقبت تغييرا يجري بتلون الطبيعة.. بلورية حينا وحينا لازوردية جميلة، يرافقها انعكاس كريستالي ببريق يبهر البصر على ثلوج الجبال، ولا أروع من هذا المنظر الذي لم أر في حياتي ما يوازيه روعة. أنا في ذهول تام واستمتاع بهذا المنظر البانورامي الذي أنساني كل تعب مررت به خلال الأيام الماضية. كل شيء يتراقص في الخارج.. وأتساءل كيف تنعكس تلك الألوان اللامعة واللازوردية على ثلوج القمم فترتد في كل الاتجاهات؟ ...أنا اليوم في أحسن حالاتي النفسية، رغم السهر الجميل.. والعشاق يعرفون الابتسام، وكذلك الأطفال.. لقد ولد الطفل معي ليلة البارحة"[15].

خلاصة البحث:

يمكن تقديم خلاصة البحث في النقاط التالية:

- إن كتاب "الاتجاه شرقا" كتاب في الرحلة الاستكشافية وهي رحلة فريدة من بين كتب الرحلات. فيه أخبار تفيد بأماكن تاريخية حقيقية ومعلومات جغرافية ومعلومات عن الفلسفات والديانات والأساطير والخرافات والملحمات وصور الناس وعاداتهم وطرق تفكيرهم ومأكلهم وملبسهم وتجارتهم وتعاملهم مع الأجانب.
- الفكرة الرئيسة في هذا الكتاب هي الدعوة إلى التعايش السلمي والتسامح بين أتباع الديانات المختلفة والثقافات واللغات.
- الكتاب يبعث في النفس قوة الإرادة والتغلب على الصعوبات.
- في هذه الرحلة الشيقة تحدث المؤلف عن انطباعاته وعبر عن آرائه حول المتعبدين البوذيين و"السادوس" الهندوس وعلاقتهم بالأمور الغيبية.

[15] المصدر نفسه، ص:80-81.

- في الكتاب رسالة التفاؤل والإيجابية في الحياة والاحتفال بالإنجازات والنجاحات ونبذ السلبية في التفكير والمعاملة.
- في هذا الكتاب إشادة بتعاليم "بوذا" المستنير وتأثير الفلسفة البوذية على أتباعها من القناعة والرضا والسعادة الروحية والابتسامة التي لا تفارق وجوههم.
- الكتاب يحمل رسالة "الوحدة في التنوع" والتى تحتاج إليها الهند ودولة الإمارات العربية المتحدة على حد سواء لتنوع أتباع الديانات والثقافات واللغات والتعددية الاجتماعية فيهما.
- هذا الكتاب يمثل فكرة الوحدة في التنوع لأسباب عديدة.

المصادر والمراجع:

- العامري، عبد الله ناصر سلطان، الاتجاه شرقا، الشارقة: أوستن ماكولي للنشر، 2019م.

المسحة الإنسانية في شعر كليم عاجز

محمد معراج عالم*
Email: mohdmeraznadvi@gmail.com

ملخص البحث:

كان الدكتور كليم عاجز شاعرًا بارزًا في مجال الغزل الأردي، تغنى بمآسي الإنسانية في أبياته، والسبب في كونه شاعرًا هو وقوع اضطرابات طائفية ذهب ضحيتها بعض أعضاء أسرته، ونجا الشاعر منها لكونه بعيدًا عن القرية وقتذاك. فأدّت هذه الحادثة إلى تفتق قريحته الشعرية، وجعلت إياه يتغنى بالقيم الإنسانية. يدعو من خلال أبياته إلى التمسك بالأخلاق السامية وتجنب الأخلاق الرذيلة والدفاع عن الإنسانية وقمع الظلم والاعتداءات التي يقع الإنسان فريسة لها. وتتدفق في أبياته المعاني البشرية والأفكار السامية. فهذا المقال يسلط الضوء على حياته وشعره وأسلوبه وخصائص شعره.

كلمات مفتاحية: كليم عاجز، المسحة الإنسانية، اللغة الأردية، القيم الإنسانية.

Abstract:

Dr. Kalim Ajiz was a great poet. He composed poetry about the tragedies of humanity, and the reason behind it is a communal riot that occurred in his village after the independence of India, in which his family members including his mother and sister had been killed. The poet survived this fatal incident because he was not in the village when it happened. So, he gives the message of humanity through his poetry and calls for ethics, humanity and moral values anywhere.

This article deals with his life and his contribution to Urdu poetry, and highlights his thoughts about humanity and moral values.

مقدمة:

إن العصر الذي وُلد فيه الشاعر هو من أحط أدوار التاريخ الهندي من الناحية السياسية، حيث إن الحكومة احتلها الإنجليز واستعمرها المستعمرون واستعبدوا سكان الهند وعاملوا إياهم معاملة الحمير والدواب، وأخذوا هم بأنواع من الظلم

* كاتب هندي.

والعدوان يتندى لها جبين البشرية وتقشعر منها الجلود، فكانوا يعتقلون كل من يحاول استرداد الحكومة من أيديهم، فكم شنق! وكم أحرق! وكم أطلق بالبندوقية! وكم نفي! حتى أثمرت جهود الهنود وأينعت وأتت بإنقاذ الهند من براثن الإنكليز، ولكن تشتت شمل المسلمين بعد تحرير الهند، وحدث كنتيجة له ما حدث من إنشاء دولة مستقلة باسم باكستان، "لقد واجه الشاعر الاضطرابات الطائفية التي نشبت عشية استقلال البلاد، وأثناء إنشاء دولة مستقلة باسم باكستان"[1].

وُلد الشاعر الدكتور كليم عاجز في قرية "تلهارا" بمديرية نالندا بولاية بيهار، بالهند، في الـ11 من أكتوبر عام 1926م في بيت رخي البال وذي ثروة[2]. وكانت أسرته من جهة أمه تتميز بالعلم والزهد والتقوى ويغلب عليها الطابع الصوفي، وأما أسرته من جهة أبيه فهي معروفة بالشجاعة والبسالة والجرأة النادرة[3]. كانت أمه أول معلمة تعلم في مهدها، ولكنه بدأ يتلقى التعليم بانتظام في كتاب جده من الأم وهو كان ابن سبع سنين، والجدير بالذكر أنه كان ذكيًا وفطينًا، فإنه تمكن خلال ثلاث سنوات من تلاوة القرآن الكريم، ومطالعة الكتب الأردية حتى استوعب كتب المقررات الدراسية وطالع معظم الكتب التي حوتها مكتبة جده الصغيرة، وقرأ قصص الأنبياء كرات ومرات، كما طالع مرآة العروس، وبنات النعش وابن الوقت وتوبة النصوح مع شقيقته الكبيرة في هذه السن الذاكرة. ولما بلغ العاشرة من عمره حمله والده إلى مدينة كولكاتا لنيل العلم، وتطور فيه خلال إقامته بمدينة كولكاتا كرد فعل من البعد عن البيت ومفارقة أمه وأفراد أسرته ذوق المطالعة ومشاهدة المسرحية والاستمتاع بها، فكان يعكف على المطالعة ويقضي جل أوقاته فيها، ولا تفوته مطالعة أي عدد من المجلات الأردية الأدبية الشهيرة الصادرة وقتذاك

[1] الندوي، الدكتور محسن العثماني،"كليم أحمد عاجز شاعر الغزل الأردي، زهرة مفتحة من شجر الأحزان" **مجلة أقلام واعدة**، السنة المجلد 3، العدد4، 2011م، ص:14.

[2] عاجز، كليم، **وہ جو شاعری کا سبب ہوا**، (حيدرآباد: طوبى پبليكيشنز، 1996م)، ص:86.

[3] المصدر نفسه، ص: 86.

من أمثال: نيرنگ خيال ومهايوں وساقی وادبی دنیا[4]. ومن خلال مطالعة الكتب الروائية والقصصية اطلع على شعراء لكناؤ وتوجهت عنايته إليهم[5]. فمن خلال مطالعة الدواوين الشعرية نشأ فيه ذوق الشعر فبدأ يقرض البيت، واجتاز الثانوية بامتياز ولكن انقطع عن تعليمه بسبب الاضطرابات الطائفية التي أسفرت عن قتل أمه وأخته وأسرته، وأثارت هذه الاضطرابات العناصر الطائفية عام 1946م في قريته "تلهارا" وتركت عليه أثرًا سيئًا حتى نسي كل شيء وجعل يتغنى بالأبيات لإنساء الهموم. ثم بدأ يتعلم بعد عدة سنوات، ونال شهادة الماجستير والدكتوراه باللغة الأردية من جامعة بتنا، ثم انخرط في سلك التدريس في كلية بتنا ونال جائزة "فدم شري الثقافية[6] وذلك تقديرًا لخدماته في مجال الشعر والعلم والثقافة[7]. و"لفظ أنفاسه الأخيرة في الساعة الثامنة من صباح الأحد بعد ما ألمت به وعكة صحية في الساعة السابعة في منزل ابنته الصغيرة شميمه كليم وصهره البروفيسور فاروق أعظم بمدينة هزاري باغ..... في الصباح الباكر من يوم الإثنين 26 ربيع الأول 1436هـ/ 16 فبراير 2015م"[8].

نظرة عابرة على مدرسة عظيم آباد الأدبية:

كان ينتمي الدكتور كليم عاجز إلى مدرسة عظيم آباد الأدبية. ومن الحقائق التاريخية أن مدرسة عظيم آباد الأدبية لها إسهامات بارزة في تطوير اللغة الأردية، ولها

---

[4] هذه جرائد ومجلات أردية.

[5] عاجز، كليم، **كليات كليم عاجز**، (دہلی: فرید بکڈپو، ط1، 2016م)، ص: 86-91.

[6] بادما شري (Padma Shri أيضا Padmashree) هو رابع أعلى وسام وجائزة مدنية تكريمية في جمهورية الهند، بعد بهارات راتنا (أعلى جائزة)، وبادما بوشان وبادما فيبهوشان تمنحها الحكومة الهندية كل عام يوم 26 يناير الموافق لعيد الجمهورية الهندية، لكل شخصية تميزت في مختلف المجالات كالفنون والتعليم والصناعة والأدب والعلوم أو الرياضة.

[7] الأميني، نور عالم خليل، "كليم أحمد عاجز العظيم آبادي البتنوي" **مجلة الداعي**، الصادرة عن الجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند، السنة 39، أبريل- مايو، ع7، 2015م، ص:5.

[8] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

خدمات جليلة في مجال الشعر والنثر، وقد أنجبت أرض عظيم آباد عباقرة من الشعراء والكتاب الذين يعتز بهم تاريخ اللغة الأردية، وأشار إلى هذه الحقيقة البروفيسور نور الحسن النقوي "إن عظيم آباد ما زالت منذ قديم الزمان منتدى للعلماء والشعراء ولكنها تحولت إلى مدرسة أدبية مستقلة في أواسط القرن الثامن عشر، وهي على رغم دنو موقعها من مدرسة لكناؤ تساوي مدرسة دلهي في الخصائص الأدبية"[9]. وأما خدماتها النثرية فيكتب نور الحسن النقوي عن فضلها في تطوير النثر "من المناطق التي ساهمت في ترويج اللغة الأردية نظمًا ونثرًا منطقة بيهار، ويعد كتاب "سيدها راسته" والكتاب الذي ألفه شرف الدين يحيى المنيري من آثارها الأدبية النثرية القديمة[10]. وقد أسهم أدباء عظيم آباد في كل صنف من أصناف النثر من الرواية والمسرحية والقصة القصيرة والنقد والمقالة والفكاهة والصحافة، فمن أبرز كتابها ونقادها سهيل عظيم آبادي وأختر الأورينوي ومحمد حسن العسكري ووهاب الأشرفي.

أعماله الشعرية:

وأما الدكتور كليم عاجز فهو من الشعراء العباقرة الذين يشار إليهم بالبنان. لقد اعترف بعلو كعبه في الشعر كثير من النقاد المرموقين أمثال الناقد البارع البروفيسور كليم الدين أحمد والعلامة جميل المظهري وكنهيا لال كفور وفراق الغورخفوري وآل أحمد سرور وماجد الدرياآبادي، وأنا أكتفي بما أملى فراق الغورخفوري عندما كان طريح الفراش "إني سعيد بالاستماع إلى شعره ، وكان من شأني أنني كلما سمعت شاعرًا ينشدني أو قرأت شعر شاعر استحسنته ولكن لما طرق سمعي شعر كليم عاجز انكببت على حبه واندفعت إلى الإعجاب ببريق شعره ومهارته، وثارت في نفسي فرحة لا أستطيع وصفها، لأنها فوق ما تصورت، وأولعت بكلامه حتى أزعجتني براعته الشعرية، وآل الأمر إلى أنني سخطت عليه لكونه

[9] نقوی، نور الحسن، **تاریخ ادب اردو**، (علی گڑھ: ایجوکیشنل بک ہاؤس، 2015م)، ص:63.

[10] المرجع نفسه، ص: 64.

محسنًا ومجيدًا في قريض الشعر، وأردف قائلا: لم أجد مثله شاعرًا في القرن المعاصر في عذوبة الألفاظ وبراعة الأسلوب وسحر البيان والقدرة الكاملة على اللسان، وكل ذلك لا ينشأ إلا بغاية من الإخلاص، ولما سمعت شعره نسيت شعري"[11].

ومن العوامل التي تفتقت من أجلها قريحته الشعرية الاضطرابات الطائفية التي أسفرت عن قتل أسرته من بينهم أمه وأخته وذلك أثناء إنشاء دولة مستقلة باسم باكستان، "كانت هناك قرية تسمى بـ"تلهارا" قرية الشاعر كليم أحمد عاجز، وكانت تقع في مديرية بتنا في ولاية بيهار، لقد تهجم المشاغبون وحاصروا هذه القرية، ولم يكن ذلك الشاعر موجودًا في هذه القرية آنذاك، فنجا بفضل الله وكرمه من شر القتلة والمهاجمين، ولكن عائلته وأسرته قُتلت- وبأي ذنب قُتلت؟ هذه هي الخلفية التي تجري مجرى الدم في جميع قصائد هذا الشاعر، فكان مكلوم الفؤاد، كسير القلب، ودائما يتذكر تلك الهمجية والمجزرة التي اكتوى بنارها والتي صيرت قريحته الشعرية إلى قريحة وقادة وهاجة، فكل شعر في غزله يمثل فؤاده الجريح. وإن الحزن لم يكن محصورًا على اغتيال أسرته وأقاربه، ولكن حزن الشاعر يحتوي على سائر المظلمة التي عانى منها المسلمون في البلاد"[12]. وأشار الشاعر كليم عاجز إلى هذه الحقيقة في أبياته التالية:

وہ جو شاعری کا سبب ہوا معاملہ بھی عجب ہوا

میں غزل سناؤں ہوں اس لئے کہ زمانہ مجھ کو بھلا نہ دے

(الأمرالذي دفعني إلى قول الشعر عجيب وبديع، فأنا أتغنى بالشعر الغزلي لكي لا ينساني الزمان)

مت برا اس کو کہو گرچہ وہ اچھا بھی نہیں

---

[11] عاجز، كليم، **كليات كليم عاجز**، (دہلی: فرید بک ڈپو، ط1،2016م)، ص:57.

[12] الندوي، الدكتور محسن العثماني، "كليم أحمد عاجز شاعر الغزل الأردي ..." **مجلة أقلام واعدة**، ع4، 2015م، ص: 14-15.

وہ نہ ہوتا تو غزل میں کبھی کہتا بھی نہیں
مرے اشعار سن سن کے وہ مزے لیتا رہا
میں اسی سے ہوں مخاطب وہ یہ سمجھا بھی نہیں

(لا تسبوهم ولا تعذلوهم رغم أنهم ليسوا جيدين لأنه لولاهم لما استطعت أن أقول الشعر، وهم لا يزالون يتمتعون بأبياتي ويهتزون لها، ولكنهم لا يعلمون أنني أخاطبهم في أبياتي)

أما إنتاجاته الشعرية فهي كثيرة، وكلها دونت في خمس مجموعات شعرية ضخمة، والجدير بالذكر أن اسم كل مجموعة من مجموعاته الشعرية مأخوذ من أبياته، وهي كما يلي:

1 -**"وہ جو شاعری کا سبب ہوا"** (الأمر الذي أفضاني إلى قرض الأبيات)، هذه أشهر مجموعاته الشعرية، واسمها مأخوذ من البيت التالي:

وہ جو شاعری کا سبب ہوا معاملہ بھی عجب ہوا
میں غزل سناؤں ہوں اس لئے کہ زمانہ مجھ کو بھلا نہ دے

فإن النسخة التي بين يدي من هذه المجموعة طبعتها "طوبى پبليكيشنز بحيدر آباد"، تشتمل على 400 صفحة، وفيها مقدمة تشتمل على 120 صفحة. كشف كليم عاجز من خلالها الستار عن العوامل التي دفعته إلى قرض الشعر، وذلك بالإضافة إلى المقالات التي كتبها النقاد اعترافًا بمكانته الشعرية وخصائصه، وهذه المجموعة تشتمل على مجرد الأبيات الغزلية، اللهم إلا ما كان في البداية من أبيات المناجاة والمديح النبوي التي حلى بها جيدها وافتتحها بها تيمنا.

2- **"جب فصل بہاراں آئی تھی"** (لما جاء فصل الربيع)

تشتمل هذه المجموعة الشعرية على 187 صفحة ومقدمة طويلة تستغرق 85 صفحة، وهذه المقدمة تمثل نثرًا قويًا مرسلاً سلسًا وأشار فيها إلى أن صلة الفن بصاحبه قوية ومتينة، وأنواع العلاقة بينهما مختلفة باختلاف الشعراء وأصحاب الفن وتعدد العوامل

التي أثرت في إنشاء العلاقة، وكذلك ذكر ما هي نوعية علاقة الشاعر كليم عاجز بشعره؟ وكيف تطور ذوقه الشعري والأدبي؟ وكيف بدأ قرض الشعر حتى نضج فكره واحتل شعره مكانة مرموقة، وكذلك قارن الشاعر بينه وبين العلامة إقبال فهو يكتب "وصلت من خلال الأبيات إلى الغاية التي وصل إليها إقبال في ديوانه "بال جبريل"، فإن إقبال يخاطب إلهه فيكون ترجمانًا بين الله وعباده وأنا أخاطب عباد الله فأكون وكيلا أمام عباد الله لنفسي، ويعتقد إقبال بأن كل ما في متناول قبضة الله تراثه وهو يحاول تحويل قضية الحياة إلى قضيته الذاتية، وأنا أعتقد أن كل ما في يدي فهو تراث الله وأحول قضيتي الذاتية إلى قضية الحياة العامة، وإقبال لا يعاني من النهب بل صار ركبه فريسة النهب والناهب أصحاب ركبه فهو يحارب عدوه ليس مباشرة بل بواسطة يعتمد عليها، وأما أنا فنهبت نفسي مع الركب والناهب عدو فألبب بذيله وأحاربه وجها لوجه"[13].

3- **"کوچہ جاناں جاناں"** (زقاق الحبيب)

تحتوي هذه المجموعة الشعرية على 256 صفحة، وهي متعددة الموضوعات الشعرية ومختلفة الأصناف منها المديح النبوي والمناجاة والمراثي، ولكنه بدأ هذه المجموعة بالمدائح النبوية.

4- **"پھر ایسا نظارہ نہیں ہوگا"** (لا يعود مثل هذا المنظر)

هذه المجموعة الشعرية تشتمل على 150 صفحة، وفيها مقدمة تحتوي على 15 صفحة، من خلالها يبيّن الخلفيات التي تدور حولها بعض الأبيات، فهي تمهد السبيل إلى فهم أبياته الغزلية كما تبرز مكانته الشعرية، وهذه المجموعة أيضا متعددة الموضوعات، فمنها أبيات غزلية وموضوعات إسلامية، وفي بعض الأبيات يهنأ بعض الشخصيات بمناسبات خاصة، وكذلك توجد فيها بعض الأبيات التي قالها الشاعر

[13] عاجز، كليم، **جب فصل بہاراں آئی تھی**،(پٹنہ: رائز پلاسٹک ورک، 1990م)، ص: 28.

بمناسبة برنامج الزواج لشخصيات مختلفة لغرض تقديم باقة أزهار التبريكات إليهم، ويسمى هذا الصنف من الشعر باللغة الأردية بـ"سهرا" وهذا رائج باللغة الأردية، وكذلك توجد في هذه المجموعة رباعياته.

5- **"ہاں چھیڑو غزل عاجز"** (تعال يا عاجز وأنشدني البيت الغزلي)

تحتوي هذه المجموعة الشعرية على 248 صفحة، وفي البداية كتب مقدمة تبرز الخلفيات التي تدور حولها الأبيات الأردية، وهذه المقدمة تشتمل على 106 صفحات، وخلال ذكر الخلفيات عرض القيمَ الإنسانية التي لا توجد في مجتمع إلا زانته، فقال: إنها كانت موجودة قبيل العصر الراهن، وأما الآن فهي مفقودة، وأشار إلى فقدانها في بعض الأبيات:

آشنائے وفا ہیں نہ یار وفا، بند ہے شہر میں کاروبار وفا

اس قدر بھاؤ بازار کا گر گیا لوگ اپنی دکانیں اٹھا لے گئے

(لم يبق ناس يعرفون الوفاء ويرافقون أصحابه، بل توقفت عملية الوفاء في البلدة وكسدت سوقها كسادا حتى ارتحل أصحاب الوفاء وأقفلوا دكاكينهم)

كتب الشاعر في المقدمة أن جميع النقاد يقولون إن الاضطرابات الطائفية التي وقعت في بيهار جعلت كليم عاجز شاعرا، ولكن الأمر كان عكس ذلك، وفي الواقع صاغ كليم عاجز حادثة بيهار في قالب شعري، وذلك لأن الاضطرابات الطائفية لم تقع في بيهار فحسب بل عمت وشملت الهند كلها، ولكن لم يقم شاعر من آسام إلى بشاور ليصوغ هذه الاضطرابات الطائفية التي أسفرت عن قتل المسلمين وإهانة العزة البشرية في قالب شعري، لم يظهر شاعر من أي ناحية من نواحي الهند ليرثي لمن استشهد فيها، ولكن قام من قرية صغيرة كليم عاجز وكساها حلة الغزل[14]. وإبرازا للخصائص الشعرية، كتب الشاعر أن شعره يجمع بين التقليد والتجديد،

[14] عاجز، كليم، **ہاں چھیڑو غزل عاجز**، (دہلی : فرید بکڈپو، 1995م)، ص:87.

وكل ما دبجه يراعي من المنثور والمنظوم لم ينشأ بجهدي، بل أعتقد بأن الفضل يرجع إلى الذين شربوا من كأس الشهادة.

اس دور کے جتنے بھی شہیدان ستم ہیں،
وہ سب میری غزلوں کے نقابوں میں ملیں گے[15]

(كل من استشهد من أجل الاعتداء في هذا العصر فكلهم يختفون في أبياتي الغزلية)

كما وازن الشاعر في هذه المقدمة بين الذوق الشعري المعاصر والذوق الشعري الماضي، وتوصل إلى نتيجة أن الذوق الشعري المعاصر ضئيل جدا، وقال: لها ثلاثة أسباب وهي قلة الشغف بالشعر والمطالعة السطحية وضعف الصلة بالشعر. وكذلك تناول بعض الأبيات بالشرح والتحليل. والجدير بالذكر أن هذه المجموعة الشعرية تحتوي على الأبيات الغزلية فقط.

موضوعات شعره وأسلوبه:

يتبين من خلال استعراض أبياته أن الشاعر تفنن في أنواع الشعر كلها من الغزل والمديح النبوي والمناجاة والرثاء وما إلى ذلك. فموضوعات شعره متنوعة ومختلفة، ومليئة بالقيم الإنسانية والأفكار السامية. كما يتجلى فيها طابع إسلامي وتظهر فيها مسحة إسلامية، فهو أحيانا يعبر بشعره عما يجري في الهند من قتل المسلمين ونهب أموالهم وانتهاك حقوقهم، وأحيانا أخرى، يتحدث عما يجري في العالم الإسلامي من خيبة المسلمين في الاحتفاظ بالمسجد الأقصى وقصورهم في التمسك بالثقافة الإسلامية. كما يكشف القناع عن مجد تاريخ الإسلام والمسلمين، ويتغنى بنجاح المسلمين في القرون الأولى، ويناجي اللّٰه ويشكو إليه ما يعانيه من قلة الوفاء من قبل البشرية، ويترنم بشعر المديح النبوي، وكل ذلك بأسلوب قوي أخاذ يأخذ بمجامع القلوب والنفوس ويستهوي الأفئدة إليه، ويتحدث الدكتور محسن عثماني

[15] المصدر نفسه، ص: 89.

الندوي عن ميزات أسلوبه "الشاعر كليم أحمد عاجز هو من فطاحل الشعراء وخاصة في مجال الغزل الأردي، ومن أهم ميزات شعره الكمد الرزين والحزن الدفين، ولهجته لهجة العندليب الذي ينشد أناشيد الحزن، فيقطر شعره دما ودمعا ويحكي حكايات تنم عن المظلمة التي ابتلي بها الشاعر وإخوانه في الدين"[16].

وكتب العلامة جميل مظهري إبرازا لخصائص أسلوبه "من خصائص مير[17] أنه يصوغ الأفكار الفلسفية والصوفية في قالب غزلي بغاية من الدقة والمهارة حيث إنه لا يبقى فيه ثقل الفلسفة وجفاف الصوفية، وقد اكتسب مير هذا الفن من العراقي والفغاني دون الحافظ، فحاول غالب[18] أن يحاكيه فيه ولكن كان من المقدر أن لا يحظى به، وكذلك خاب الشاعر إقبال الذي كان من أبرز ممثلي مدرسة غالب الأدبية، ولكن من حسن حظ كليم عاجز أن سيره على أسلوب مير قد أكسبه هذه الطريقة الفنية، فإنه يصوغ الأحداث الخطيرة في قالب غزلي بشكل أروع وأحلى، فأنا أعلن بغاية من الاعتماد أنه لا يضاهيه أحد فيه في القرن العشرين"[19].

يكتب الناقد كنهيا لال كفور متحدثا عن أسلوبه "من المعلوم أن كليم عاجز يسير على أسلوب مير في قريض الشعر، ولكن لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن دائرة فكره وفنه ليست مقتصرة على محاكاة مير فحسب، بل تجد في فكره ابتكارًا طريفًا وفي فنه بدعة طريفة وفي خياله ندرة عجيبة، وتشعر في شعره بطابع من الغزل الجديد، فمن خصائصه الجمع بين الابتكار في الفكر والقدامة والتقليد في الأسلوب، فهو يمتاز بهذه الميزة من بين الشعراء. وتتناول أبياته الغزلية الأوضاع السياسية والاجتماعية التي مر بها في عصره... ولا بد للشعر الجيد أن تتوافر فيه

---

[16] الندوي، محسن العثماني، **مجلة أقلام واعدة**، ص: 14 .

[17] كان مير تقي مير شاعرا فحلا باللغة الأردية من رواد القرن الثامن عشر، وأحد الشعراء الأساسيين لمدرسة دلهي للغزل الأردي.

[18] كان ميرزا غالب أحد أهم شعراء شبه القارة الهندية خلال القرن التاسع عشر، ومن أبرز شعراء الدولة المغولية، والذي كتب شعره باللغتين الأردية والفارسية.

[19] عاجز، كليم، **وه جو شاعري كا سبب هوا**، (حيدرآباد: طوبى پبليكيشنز، 1996م)، ص: 45.

ثلاثة أشياء وهي الموسيقى والرمزية والمعنوية، ومن حسن حظ شاعرنا أن معظم أبياته تتصف بها"[20].

فمن الموضوعات التي تناولها في أبياته قصة همومه التي واجهها ومر بها في مراحل حياته، كما يعبر عن الهموم التي اعترت العصر ولكنه يمزج إحداهما بالأخرى بغاية من الدقة حيث لا يمكن التمييز بينهما، فهو يشير إلى الأحداث التي وقعت وذلك بأسلوب تتجلى فيه السخرية والهزء ويكون له وقع شديد على النفوس، وعلى سبيل المثال أذكر الأبيات التالية:

میری شاعری میں نہ رقص جام نہ مئے کی گل فشانیاں
وہی دکھ بھروں کی حکایتیں وہی دل جلوں کی کہانیاں
یہ جو آہ وناله درد ہیں کسی بے وفا کی نشانیاں
یہی میرے دل کے رفیق ہیں یہی میری رات کی رانیاں
کبھی آنسؤں کو سکھا گئیں میرے سوز دل کی حرارتیں
کبھی دل کی ناؤ ڈبو گئیں میرے آنسؤں کی روانیاں

(لا تتحدث أبياتي عن مجرى الجام واختلاط الخمر بأنواع من اللون، بل تحكي حكايات المهمومين ومكلومي الفؤاد، والآلام التي أواجهها هي علامة قليلة الوفاء، وهي رفيقة لي في النهار وفي جوف الليل. وقد نفدت دموعي من حرارة القلب كما غرقت حينا سفينة قلبي في سيول الدموع.

کس کس جگہ بیاض وطن سے مٹاؤگے
ہر ہر ورق پہ مہر وفا کر چکے ہیں ہم[21]

في هذا البيت تلميح إلى التضحيات المالية والبدنية التي ضحى بها المسلمون لتحرير بلاد الهند ولتطويرها، فيقول الشاعر: إن أعمالنا وخدماتنا التي قمنا بها في سبيل

[20] عاجز، كليم، **كليات كليم عاجز**، ص:67.
[21] المصدر نفسه، ص: 67.

ترقية الهند حضارة وثقافة، فكم تمحو أعمالنا التي قمنا بها لوطننا من الصفحات! فإن كل صفحة من صفحات تاريخ الهند مزدانة بمآثرنا.

ومن الموضوعات التي تناولها الشاعر استعراض دقيق للأوضاع الراهنة، وذلك يتجلى في الأبيات التالية:

زخم دل کے نہیں آثار بظاہر معلوم
چارہ گر سے گلہ درد نہاں آج بھی ہے
آج بھی گرم ہے بازار جفا کاروں کا،
کل بھی آراستہ تھی انکی دکاں آج بھی ہے
گوشہ امن نہیں آج بھی بلبل کونصیب
چشم صیاد بہر سو نگراں آج بھی ہے
آج بھی زخم رگ گل سے ٹپکتا ہے لہو
خون میں ڈوبی ہوئی کانٹوں کی زباں آج بھی ہے[22]

يشكو الشاعر في هذه الأبيات قلة الوفاء والقسوة والقلق وإهراق الدماء وما إلى ذلك، فيقول الشاعر إن لم يبدو أثر من كلم الفؤاد، ولكنه يشكو ألمه إلى المعالجين حتى الآن، وسوق أرباب القساوة والظلم نافقة حتى الآن وكما كان دكانهم مزخرفا بالأمس فهو موجود حتى اليوم، ولم يجد البلبل مأمنا يلجأ إليه إذ أن الصياد يترصد له من كل جانب، ويقطر اليوم جرح الزهرة دما، وكذلك يوجد اليوم لسان متلطخ بالدم.

كما تناول الشاعر تقديم صورة صادقة لأوضاع الهند السياسية والاجتماعية، فعندما يقرأ القارئ أبياته يشعر بأنها ترجمان لما في قلبه، أذكر هنا عدة أبيات:

آتی نہیں آج تو کل آئے گی ضرور
غنچہ خزاں کا غم نہ کرو مسکرائے جاؤ

[22] المصدر نفسه، ص: 167.

بعد تحرير الهند حلم كليم عاجز مثل الآخرين أن تضحيات أهل الهند ستأتي بنتيجة مرجوة، وتتحسن حال الهند الاقتصادية، ولكن الزعماء السياسيين فرقوا عصا الهند لأغراضهم الذاتية، فتفرق شملها، ولكن الشاعر ما قنط، فبسط رداء الرجاء والأمل فيقول: فإن لم يأت الربيع اليوم فسيعود غدا، فيا أيتها الزهرة لا تحزني للخريف، بل ابقي مبتسمة.

ہم اسی گلی کے ہیں خاک سے یہیں اپنی مٹی ملائیں گے
نہ بلائے آپ کے آئے ہیں نہ بھگائے آپ کے جائیں گے

حاول المحاولون بعد تحرير الهند نفي تضحيات المسلمين وبذلوا جهودهم في إثبات أن المسلمين ليس لهم موضع في الهند، فعليهم أن يغادروا الهند طائعين أو مكرهين، فقال كرد فعل من هذه المحاولات: نشأنا في تراب هذا الزقاق ونموت فيه، ندفن أنفسنا فيه، وما أتينا بدعوتك فلا نخرج منها بطردك.

کوئی گلشن بھی نہ تھا میرے گلستاں کا جواب
اب سنا ہے اس سے بڑھ کر کوئی ویرانہ نہیں

(كانت الهند تحولت إلى أرض الحقد وأرض الاضطرابات الطائفية بعد أن كانت مظهرا من مظاهر الأخوة ونموذجا للمودة البشرية، فتأسف عليه الشاعر وقال: ما كان لحديقة أن تكون مثيلة لحديقتي، ولكن بلغني الآن أنه لا يوجد خراب مثل خرابها)

میرے ہی لہو پر گذر اوقات کرو ہو
مجھ سے ہی امیروں کی طرح بات کرو ہو
یوں تو ہمیں منھ پھیر کے دیکھو بھی نہیں ہو
جب وقت پڑے ہے تو مدارات کرو ہو
دامن پہ کوئی چھینٹ نہ خنجر پہ کوئی داغ
تم قتل کرو ہو کہ کرامات کرو ہو

يصف الشاعر طبيعة الزعماء السياسيين الذين يمدون أيديهم للأغراض الذاتية والسياسية، لأنه طالما شاهد أنه عندما يحين الأوان للانتخابات يلتمسون من كل شخص التصويت لنجاحهم ويعدونهم وعودا معسولة، ولكنهم لو فازوا بالأغلبية تعود وعودهم هباء منثورا. فيقول الشاعر: أنتم تعيشون على ضحيتنا، وتخاطبوننا خطاب الغني! ومن الشائع يا معشر الزعماء السياسيين أنكم لا تلفتون وجوهكم إلينا إلا إذا مست إلينا حاجتكم، ما رشت على ذيلكم قطرة من الدم وما تلوث خنجركم بها، فكيف تم هذا القتل! أهذا نوع من المعجزة والكرامة؟.

كما تتجلى في أبياته المسحة الإسلامية والدعوية، وأشار إلى ذلك الشاعر والناقد جميل المظهري "قد تم صياغة ذهن كليم عاجز في قالب ديني لا في قالب فلسفي، فلا يوجد في شعره الغزو الفكري ضد الإسلام"[23]. وكتب السيد علي عباس عن موضوعاته الإسلامية "إن ما يقول كليم عاجز من الغزل تختفي فيه العبرة والمعاني بجانب تدفق الخصائص الفنية فيه، وشعره لا يقل عن "بانگ درا" للعلامة محمد إقبال مهما اختلف قالبهما، لأن كليم عاجز لا يصوغ الشعر في قالب الوعظ والخطابة خلاف العلامة محمد إقبال، فإنه يصوغ الشعر في أسلوب خطابي"[24]. فيما يلي عدة نماذج من الأبيات التي قالها في الموضوعات الإسلامية:

مناسب ہے سنیئو دامن دست دعا عاجز

زباں ہی بے اثر ہے ہاتھ پھیلانے سے کیا ہوگا[25]

يمثل الشاعر من خلال هذا البيت الحديث النبوي الذي جاء فيه "واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه". يبين من خلال ذلك أن قبول الدعاء يتوقف على تضرع العبد أمام الله بندامة على ما ارتكبه، ولكن إذا دعا الله بقلب لاه فهذا

[23] عاجز، كليم، **وہ جو شاعري کا سبب ہوا**، ص: 46.

[24] عاجز، كليم، **كليات كليم عاجز**، ص: 152.

[25] المصدر نفسه، ص: 555.

الدعاء لا يجدي ولا ينفع، فقال الشاعر: من المناسب أن تكفوا أيديكم من الدعاء لأن مد اليد أمام اللّٰه لا يغنيك عن شيء لأن قولك لا يحمل في طيه تأثيرًا.

اس سے بڑھ کر کوئی رہنما ہی نہیں
چل ادھر جس طرف دل اشارہ کرے[26]

(ليس هناك مرشد وهاد أكبر من القلب، فاذهب إلى ما يشير إليه القلب). من خلال هذا البيت يمثل الشاعر حقيقة إسلامية جاء ذكرها في الحديث النبوي "الإثم ما حاك في نفسك" وكذلك "استفت قلبك".

مرنا جينا ہو محبت کیلئے اس کے سوا
اور کیا ہے جسے حسن عمل کہتے ہیں[27]

(ليس من الأعمال الصالحة إلا المحيا والممات للحب في سبيل اللّٰه). يتبلور في هذا البيت الطابع الإسلامي الذي أشار إليه القرآن بقوله "قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (الأنعام: الآية 162).

گرادی اپنی قیمت ہم نے اپنی ہی نگاہوں میں
برا ہم خود ہی سمجھیں گے تو اچھا کون سمجھے گا[28]

(نحن حططنا من قيمتنا في نظرنا، فإن نرى أنفسنا أشرارا فمن يعتبرنا أخيارا). من خلال هذا البيت يصوِّر الشاعر ثقة المسلمين بالتعاليم الإسلامية ويسلط الضوء على السبب الرئيس الذي تخلف من أجله المسلمون وهو أنهم أُصيبوا بمركب النقص.

كما أبلى الشاعر بلاءً حسنا في المديح النبوي، وتوجد الأبيات من هذا النوع في كتابه "*کوچہ جاناں جاناں*" وعلى سبيل المثال آتي بنماذج من هذا النوع.

یہ کہا کلیم سے ایک شب یہ کسی نے لہجہ راز میں

[26] المصدر نفسه، ص: 186.
[27] المصدر نفسه، ص: 186.
[28] المصدر نفسه، ص: 214.

تجھے پھر ہے دعوت حاضری قدم امیر حجاز میں
تو ہے کائنات کا غزنوی میری رات دن ہے دعا یہی
میرے دل کو بھی وہ نظر ملے جو نظر تھی چشم ایاز میں
یہ میری عبادتیں تیرے عشق کی ہیں کرامتیں
نہ لگاتا دل میں تو آگ اگر مرا دل نہ لگتا نماز میں[29]

(ذات ليلة أسر أحد إلى كليم عاجز مبشرًا بأنه مدعو إلى مدينة أمير الحجاز، أنت رب العالمين، وأنا أدعو صباح ومساء أن أعطي بصيرة مثل أياز، وصلاتي وعبادتي منوطة بعشقك، فإن لم تشعل مجامر قلبي لم تحلو لي الصلاة)

مدینہ پہونچ کر سر عام کہیو
صبا کملی والے سے پیغام کہیو
طبیعت اندھیروں سے اکتا گئی ہے
بہت دن سے ہے شام ہی شام کہیو[30]

(يا نسيم الصبا إذا وصلت إلى المدينة المنورة أرسل إلى النبي المزمل رسالة مني، وقل له إن نفوسنا ضاقت بالظلام، لأن المساء مد أطنابه منذ أيام)

وكذلك له مناجاة معروفة جدا تجري على ألسنة أرباب الأدب، وقد حلى جيد كتابه "**وہ جو شاعری کا سبب ہوا**" بهذه المناجاة، وتحدث الدكتور محسن العثماني الندوي عن هذا الدعاء المنظوم ومفاده "طلب الشاعر في هذا الدعاء بداعية المحبة والمؤاساة والإخاء نكهة الوفاء لمن اعتداه، فهذا يدل على أن الشاعر لو لم تكن لديه أسوة حسنة قدّمها النبي صلى الله عليه وسلم في رحلته إلى الطائف لما دعا

[29] المصدر نفسه، ص: 214.

[30] عاجز، كليم، **كوچہ جاناں جاناں**، (حيدر آباد: طوبى پبليكيشنز، ط 1، 1990م)، ص: 68.

لقاتله القاسي الذي خرب عالمه وكدر صفو عيشه، وهذه هي سمة الشخصيات العباقرة، ولكنها عسيرة المنال"[31]. وفيما يلي عدة أبيات من هذا القبيل:

رات جی کھول کے پھر میں نے دعا مانگی ہے
اور ایک چیز بڑی بیش بہا مانگی ہے
اور وہ چیز نہ دولت ہے نہ مکاں ہے نہ محل
تاج مانگا ہے نہ دستار و قبا مانگی ہے
نہ سکندر کی طرح فتح کا پرچم مانگا ہے
نہ مانند خضر عمر بقا مانگی ہے
نہ کوئی عہدہ نہ کرسی نہ لقب مانگا ہے
نہ کسی خدمت قومی کی جزاء مانگی ہے
بانسری مانگی نہ طاؤس نہ بربط نہ رباب
نہ کوئی مطربہ شیریں نوا مانگی ہے
سن کہ حیراں ہوئے جاتے ہیں اہل چمن
آخرش کون سی پاگل نے دعا مانگی ہے
آتیرے کان میں کہ دوں اے نسیم سحری
سب سے پیاری مجھے کیا چیز ہے کیا مانگی ہے
وہ سراپائے ستم جس کا میں دیوانہ ہوں
اسکی زلفوں کیلئے بوئے وفا مانگی ہے[32]

(لقد ناجيت ربي في جوف الليل بكل تضرع وخشوع وطلبت شيئًا غاليًا، والشيء الذي طلبت هو ليس قصرًا ولا ثروةً ولا تاجًا للملك، وما هو ملابس السلاطين

[31] الندوي، محسن العثماني، **وہ ایک شاخ نہال غم**، ہدی پبلیکیشنز، ص: 43-44.

[32] عاجز، کلیم، **وہ جو شاعری کا سبب ہوا**، (حیدرآباد: طوبی پبلیکیشنز، ط2، 1996م)، ص: 118.

والأثرياء الفاخرة، ولا طلبت رايةً ترفرف في الفضاء رمزًا للفتح كراية إسكندر، ولا طلبت عمرًا مديدًا مثل عمر الخضر، ولا طلبت منصبًا عاليًا ولا كرسيًا ممتازًا ولا طلبت جزاءًا لأية خدمة من الخدمات القومية، ولا طلبت آلات العزف والمزامير، ولا طلبت مطربة ذات الصوت الرخيم، لقد استغربت الأزهار والبراعم في الحديقة، ما هو ذلك الدعاء الذي دعاه هذا السفيه المجنون، تعالي يا نسمة السحر، أهمس في أذنيك، ما هو الشيء الأحلى والأغلى الذي طلبته في دعائي متضرعا نكهة الوفاء لتلك الضفائر الفضفاضة التي أسرت لبي وعقلي)[33].

خاتمة البحث:

بعد معالجة هذا الموضوع وصلت إلى نتيجة أن كليم عاجز تفنن في أصناف الشعر كلها، وتناول في أبياته موضوعات مختلفة وكلها ملئية بالأفكار البناءة والمعاني السامية والقيم البشرية، ويظهر فيها طابع إسلامي. والجدير بالذكر أن الشاعر احتفظ بالحضارة الإسلامية وتمسك عليها بالنواجذ، ورأى الإعراض عنها نوعًا من الطغيان، وكره احتلال الحضارة الغربية واستيلاءها. وتوجد في أبياته تلميحات إلى القصص الإسلامية والقرآنية.

وفنه طريف وبديع لا يضاهيه أحد فيه حيث إنه يجمع بين القديم والجديد وبين الابتكار والتقليد، وكذلك تمتاز أبياته الغزلية بالبساطة في البيان وبالطهارة في العاطفة فلا تذهب إلى حد الإباحية والمجون. وقد اعتمد في شعره أسلوبًا بديعًا فلم يتقيد بأسلوب رائج فقط بل تفنن في الأسلوب.

المصادر والمراجع:

- اورینوی، اختر، بہار میں اردو زبان وادب کا ارتقاء، علی گڑھ: انجوکیشنل بک ہاؤس، 2002م.
- عاجز، کلیم ، ہاں چھیڑو غزل عاجز،دہلی: فرید بکڈپو ، 2002م.
- عاجز، کلیم، پہلو نہ دکھے گا، دہلی: سیٹی پریس، 1992م.

[33] الندوي، محسن العثماني، كليم أحمد عاجز شاعر الغزل الأردي.... مجلة أقلام واعدة، 17- 20.

- عاجز، كليم، جب فصل بہاراں آئی تھی، پٹنہ: رائز پلاسٹک ورک، 1990م.
- عاجز، كليم، جب فصل بہاراں آئی تھی، حیدرآباد: طوبی پبلیکیشنز، 1996م.
- عاجز، كليم، جہاں خوشبو ہی خوشبو تھی، حیدرآباد: طوبی پبلیکیشنز، 2005م.
- عاجز، كليم، كليات كليم عاجز، دہلی: فرید بک ڈپو، 2016م.
- عاجز، كليم، وہ جو شاعری کا سبب ہوا، حیدرآباد: طوبی پبلیکیشنز، 1996م.
- عاجز، كليم، كوچہ جاناں جاناں، حیدرآباد: طوبی پبلیکیشنز، 1990م.
- الندوي، السيد محمد رابع الحسني، الغزل الأردي محاوره ومكانته في الشعر، لكناؤ: مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية، 2006م.
- ندوی، محسن عثمانی، وہ ایک شاخ نہال غم، ہدی پبلیکیشنز، د.ت.
- نقوی، نور الحسن، تاریخ ادب اردو، علی گڑھ: ایجوکیشنل بک ہاؤس، 2015م.

المجلات:

- مجلة أقلام واعدة في الشعر والنثر، مجلة فصلية عربية صادرة عن جمعية خيرية لأساتذة اللغة العربية في الجامعات الهندية-حيدرآباد، ج3، ع7، 2011م.
- مجلة الداعي، مجلة شهرية تصدر عن دار العلوم بديوبند، ع4، أبريل-مايو، 2015م.

وضع المرأة الهندية في رحلة نوال السعداوي

د. زرنكار*
Email: nigar.zar@gmail.com

ملخص البحث:

يتناول هذا المقال وضع المرأة الهندية وصورتها من خلال دراسة النصوص المتعلقة بالمرأة الهندية في كتاب "رحلاتي في العالم" للدكتورة نوال السعداوي التي تعرف بصفتها كاتبة ناقدة ومدافعة عن حقوق المرأة. يهدف المقال إلى إبراز صورة المرأة الهندية ومكانتها في مجالات شتى في أواخر القرن العشرين عندما زارت السعداوي الهند ولقيت بعض النساء من طبقات مختلفة فسجلت ما رأته من وضعهن، في هذا الكتاب. كما يتطرق إلى فكرة السعداوي التي كتبتها بين مشاهداتها وخواطرها عن المرأة في المجتمع الهندي.

كلمات مفتاحية: الأنثوية، الرحلة، الصورة، المرأة الهندية، نوال السعداوي.

Abstract:

This article consists of the status of Indian women and their portrayal as depicted in the travelogue "Rehlati fil A'alam" written by Dr. Nawal el Saadawi who is known as a critic and a feminist writer. This study focuses on her portrayal of Indian women in different domains in the late 20th century, when Saadawi visited India and met many women from different backgrounds; highlighting her thoughts which she penned as her observations about the Indian women.

مقدمة:

يعدّ أدب الرحلة مصدرًا مهمًا للاطلاع على منطقة وما فيها بفضل توافد عدد كبير من الرحالة عليها عبر القرون. فالهند لها حظ كبير في هذا المجال إذ يزورها عدد كبير من الرحالة من أنحاء العالم كل سنة. قد سجل كثير منهم مشاهداتهم وانطباعاتهم في شكل كتب الرحلة التي تشتمل على أوضاع البلاد الجغرافية والسياسية والاقتصادية والعادات والتقاليد للشعب الهندي وصوّروا حضارة الهند

* أستاذة مساعدة، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

وثقافتها بمختلف النواحي وجمعوا في كتبهم معلومات قيمة لم تكن متوفرة من قبل. ويظهر للمرأة دور في الرحلات من حيث هي صاحبة دور في المجتمع من داخل جدران البيت إلى خارجها. "إذا كانت صورة المرأة قد غابت عن كتب الرحلة في الأدب القديم فإنها لم تعد كذلك فيما يكتبه المحدثون، فقد اهتمت كتب الرحلة بوجود المرأة اهتمامًا ملحوظًا"[1].

تعد الدكتورة نوال السعداوي[2] التي جاءت إلى الهند سنة 1975م[3]، إحدى زعيمات الحركة النسوية بمصر، وتعتبر من الشخصيات المثيرة للجدل بسبب أفكارها ونضالها ضد الاستغلال وكفاحها للمساواة. فرحلة السعداوي المسماة بـ"رحلاتي في العالم" تشتمل على عدة أسفارها حول العالم، والجزء منها يخص بذكر الهند وثقافتها وتجاربها فيها. عندما نقرأ رحلة السعداوي نجدها مناضلة من أجل حقوق الإنسان ومدافعة عنها عامةً، وتتحدث خاصة عن قضايا المرأة الهندية المختلفة وتعتني بوصفها اعتناءً كبيرًا.

رحلتها إلى الهند:

جاءت الدكتورة السعداوي إلى الهند في أواخر القرن العشرين ومكثت فيها عدة شهور كضيفة في شقة صغيرة لزوجها الذي كان يعمل في الهند منذ عامين ويسكن

---

[1] النساج، سيد حامد، **مشوار كتب الرحلة**، النسخة الإلكترونية، ص: 133.

[2] نوال السعداوي هي طبيبة وكاتبة وروائية مصرية، ولدت في القاهرة سنة 1930م، وحصلت على البكالوريوس في الطب والجراحة من جامعة القاهرة 1954م، وتخصصت في مجال الأمراض الصدرية. تزوجت مرتين وفي الأخير تزوجت من الدكتور شريف حتاتة قائد التنظيم الشيوعي الماركسي في مصر. شغلت نوال السعداوي العديد من المناصب سوى عملها كطبيبة في المستشفى الجامعي. وأسست جمعية التربية الصحية وجمعية للكاتبات المصريات. وعملت لفترة كرئيس تحرير مجلة الصحة بالقاهرة. أما من أعمالها الأدبية فلها أكثر من أربعين كتابا وكلها تدور حول الفكرة الأساسية للكاتبة وهي المرأة وقضاياها المختلفة وحرية الإنسان وتحرير الوطن. ومن أعمالها الشهيرة: مذكرات طبيبة، المرأة والجنس، أوراقي... حياتي، مذكراتي في سجن النساء، معركة جديدة في قضية المرأة، تعلمت الحب، رحلاتي في العالم، الأنثى هي الأصل. وحصلت نوال السعداوي على العديد من الجوائز الوطنية والدولية.

[3] السعداوي، نوال، **رحلاتي في العالم**،(القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 2006م)،ص: 252.

في حي ديفنس كالوني في دلهي الجديدة[4]. تجولت خلال هذه الفترة بين ولايات الهند المختلفة وزارت المعابد والمزارع والمصانع العديدة وغيرها.

فاستهلت رحلتها بالحب لهذه البلاد وصعوبة اكتشاف الروح الهندية التي تشبه إلى حد كبير صعوبة اكتشاف النفس[5]، قضت السعداوي في الهند بضعة شهور لكنها لم تقصد أثناء هذه الفترة إلى المتاحف الشهيرة والآثار الفاخرة فحسب بل انتهزت هذه الفرصة لمعرفة ما في الهند من الثقافات المتعددة وما بينها من التفاوت والتباين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وقامت بدراسة عميقة للأديان المختلفة وزارت عدة معابد لفهم معتقدات شتى، وطالعت الأدب الهندي المتنوع لتعرف مجسّة المجتمع الهندي، ولقيت الأدباء والأديبات وناقشت معهم موضوعات متعددة. وحاولت أن تعرف حقيقة كل شيء استغربت من تناقضه وتنوعه وقارنت بين الهند وبين وطنها الأصلي حتى قدمت صورةً للهند عامةً وللمرأة خاصةً بقدر من التفصيل.

صورة المرأة الهندية في رحلة السعداوي:

المرأة وحريتها وقضاياها هي فكرة أساسية للسعداوي، تدور حولها أكثر كتاباتها فلم تغفل عنها أثناء الرحلة وكتبت كل ما شاهدت فيها. فذكرت من هيئتها وتقاليدها إلى ذكر سيادة الرجل على المرأة داخل البيت وخارجه عند بعض الناس. قد تردد ذكر المرأة في رحلة الدكتورة، فنجدها تذكر لباس المرأة وهيئتها ومظهرها الخارجي وتقاليدها اليومية، تقول عن النقطة الحمراء (بندي أو تلك) التي تعد جزءًا خاصًا من المعتقدات الهندوسية: "على أن مطار دلهي له شخصية مميزة. لا أدري لماذا. ربما بسبب النساء الهنديات ذوات الساري[6] والنقطة الحمراء في منتصف الجبهة وأيضا أبواب المطار الزجاجية عليها نقطة حمراء في منتصف كل باب. لم

[4] المصدر نفسه، ص: 198.

[5] المصدر نفسه، ص: 189.

[6] الساري هو اللباس التقليدي الشهير في الهند، ويتوفر هذا الملبس بمختلف الأنواع والألوان والأشكال.

أكن أعرف سر تلك النقطة الحمراء لكني عرفت من بعد أنها بقايا عادة هندية دينية ثم أصبحت من الزينة للنساء أو الرجال في بعض مناطق الهند"[7].

وتكتب عن النساء الفلاحات من المنطقة الجنوبية للهند اللاتي يعملن في حقول الشاي من الصباح إلى المساء فقالت عنهن: "لاحظت أن بعض النساء يرتدين "ساري" كاملا وبعضهن يرتدين نصف ساري فقط. وعرفت أن المرأة المتزوجة هي التي ترتدي الساري الكامل. وهن يتزوجن في سن مبكرة جدا ويعملن طول النهار وحين يعدن إلى البيت آخر اليوم يطبخن الطعام وينظفن البيت ويغسلن"[8].

تحاول السعداوي الاطلاع على الأسباب المنطقية وراء ارتداء المرأة الهندية الساري فتدوِّن ملاحظاتها العديدة في هذا الصدد عندما تجولت في شوارع المدن الكبيرة كـ"دلهي وبومباي وكولكاتا التي تشبه بعضها البعض "والمرأة كالرجل تركب الدراجة أو الموتورسيكل رغم الساري الطويل.... تناقض غريب لا زال يحيط بالمرأة الهندية العاملة لقد كسرت الحواجز وأقدمت على كل شيء سوى أن تخلع "الساري" الذي أجمعت نساء الهند على أنه زي غير عملي يعرقل خطواتها"[9].

ثم تبين السعداوي آراء مختلفة لبعض النساء والرجال حول الساري فقالت بعض النساء إن الساري فيه "أنوثة" بينما قالت بعضهن إن الساري يميِّز المرأة الهندية عن غيرها من النساء في العالم، لكن تفضِّل بعض النساء الملابس التي تريحهن وتساعدهن على الحركة بسهولة، كما يفضل بعض الرجال أن ترتدي المرأة الساري[10]، فإن السعداوي وجدت "الساري" أمرا مليئًا بالتناقضات.

وعلى منوال السعداوي، تكتب الأديبة أمينة سعيد في رحلتها "مشاهدات في الهند" "فالصاري على جماله ثوب غير عملي لا يناسب امرأة تقتحم الحياة العامة وتشترك

[7] المصدر نفسه، ص: 207.

[8] المصدر نفسه، ص: 210 -213.

[9] المصدر نفسه، ص: 224.

[10] المصدر نفسه، ص: 224-225.

فيها"[11]. نجد كثيرا من الرحالة العرب المعاصرين يذكرون هذا الزيّ الخاص بالهنديات، ولم يلفت هذا الزيّ الهندي أنظارهم فحسب بل جذب أفكارهم أيضًا. نأتي بمثال من كتاب "رحلة إلى الهند" للمؤرخ العراقي الدكتور أحمد زكي صالح الذي زار الهند للمشاركة في مؤتمر سنة 1950م، "إن نساء هذه الطبقة مهما بلغت بهن الأناقة لا يرتدين الألبسة الغربية بل يرتدين اللباس الوطني المعروف عندهن بكلمة صاري وهي قطعة كبيرة من الحرير الفاخر أو من غير ذلك يتلفعن به بأساليب تتفاوت في الأناقة والإغراء"[12]. فهذا اللباس كان معروفًا ولا يزال مألوفًا عند الهنديات.

المرأة الهندية بصورها المختلفة في المجتمع:

لقيت الدكتورة النساء الهنديات المنتميات إلى مختلف الطبقات ثم صورت شجاعتهن وامتيازهن وتعاستهن ومعاناتهن بقدر من التفصيل. ورأت الدكتورة- عندما تجولت في جنوب الهند- كثيرًا من النساء يعملن في مزارع الشاي فالتقت بهن وحاولت أن تتعرف على أوضاعهن بأنفسهن، ولذلك اختارت واحدة منهن اسمها ساروجا[13] وسألت إياها عن وضع المرأة الهندية. ثم لقيت مدير المزرعة ومدير المصنع لتتعرف على حقيقة الأمر عن النساء مع معرفة عملية زراعة الشاي وصناعتها. ثم صورت كل ما شاهدت بالتفصيل، وكتبت عن النساء اللاتي يعملن في تلك المزارع: "ان زراعة الشاي وجمعه وصناعته في الهند عمل نسائي في معظمه.... قبل أن تبلغ البنت العاشرة تذهب مع أمها إلى الحقل لتعمل في مزارع الشاي أو إلى المصنع لتشارك في صناعة الشاي. في بعض القرى يعمل الأولاد والرجال أيضا، ولكن هناك مناطق لا يعمل فيها إلا النساء والبنات أما الرجال فهم الجنس الأسمى العاطل الذي يتزين ويرقص في الحفلات الدينية ويجلس طول النهار أمام البيوت يدخن ويشرب ويلعب الطاولة أو النرد"[14].

---

[11] السعيد، أمينة، **مشاهدات في الهند**، (مصر: دار المعارف للطباعة والنشر، ص: 52.

[12] صالح، زكي، **رحلة إلى الهند**، (بغداد: مطبعة الرابطة، 1950م)، ص:64.

[13] السعداوي، نوال، **رحلاتي في العالم**، ص: 213.

[14] المصدر نفسه، ص: 210.

ونجد مثل هذه الصورة للمرأة في رحلة الدكتور ناصر العبودي عندما زار جنوب الهند عام 1977م بعد زيارة السعداوي بسنتين، فشاهد أن المرأة تمارس أعمالاً شاقةً "لاحظت أن أكثر الذين يعملون في تجميل الشارع من النساء، وليس معنى ذلك أنهن يغرسن الزهور وإنما العمل يجري في توسعة الشارع وحفر أساس في جانبه للرصيف والنساء يعملن فيه كالرجال. وهذا ليس بغريب في الهند فقد رأيت النساء يعملن في أعمال البناء وشق الطرق"[15].

التقت السعداوي في جنوب الهند وشمالها بأديبات بعد أن تعرفت على كُتُبهن، فإنها أعجبت بهن وبالحرية التي يتمتعن بها حين يمسكن القلم ويكتبن عن قضايا مختلفة بلا خوف. ذكرت الدكتورة أربعا منهن وكتبت أن الوصف المشترك بينهن هو أنهن يتناولن أي موضوع حساس يتعلق بالمرأة أو الحب أو المجتمع أو السياسة أو الدين ويعبّرن عن أفكارهن ويبدين آراءهن بصدق وبدون خوف ولا حرج.

فأولاهن ساهجال[16] (Nayantara Sahgal) لقيتْها السعداوي وكتبت عنها أن الأديبة كانت تنقد الحكومة وسياسة إندرا غاندي رغم أنها كانت لها علاقة ونشأت في أسرتها بكونها ابنة شقيقة نهرو(Daughter of Vijay Lakshmi Pundit)، وهي كانت كاتبة الروايات والقصص التي تكشف فيها عن حياة المرأة الهندية وتنقد كثيرًا من التقاليد المتناقضة التي تحيط بالمرأة الهندية.

والثانية من الكاتبات الهنديات هي كاملاداس[17] (Kamala Das) وهي كانت من ولاية كيرالا، إنها من أصل "النايَر" الذي كان مجتمعا متعدد الأزواج في كيرالا، تناولت السعداوي حياتها ووصفتها بالتفصيل، وأعجبت بشجاعتها كثيرًا "تمسك القلم كأنه مشرط في يد جراح تشق اللحم وتكشف النخاع. تكتب عن حياتها

[15] العبودي، محمد بن ناصر، **في جنوب الهند**، (الرياض: مطبعة الفرزدق التجارية، 1997م)، ص: 111.

[16] السعداوي، نوال، **رحلاتي في العالم**، ص: 218.

[17] المصدر نفسه، ص: 219-221.

بالشجاعة نفسها التي تكتب بها عن حياة الآخرين آخر كتاباتها هي مذكرات حياتها، تقول عن نفسها إنها لا تملك إلا الصدق"[18].

وقد ذكرت أمرًا يدل على شجاعتها وهو أن هيئة طلبت منها أن تقوم بإجراء بحث في القيم الأخلاقية بين الأزواج في مدينة مومباي فقامت بإجرائه ونشرت نتائجه وكشفت النقاب عن حقيقة الحياة التي يخفيها الناس عن الآخرين بل عن أنفسهم أيضًا، حيث إنها وجدت 96٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم سرًا خلال ساعات العمل وفي حجرات الفنادق وفي رحلاتهم إلى بلاد أخرى[19].

أما الأديبة الثالثة التي ذكرتْها السعداوي في رحلتها فهي الروائية والشاعرة الشهيرة "أمريتا بريتام"[20] (Amrita Pritam) التي كتبت باللغتين الهندية والبنجابية ونقدت الحكومة والدين والجنس بشعرها ونثرها، ومن أبرز أعمالها "بنجر" (الهيكل). وهي أهدت إلى الدكتورة السعداوي روايتَها الأربعين بعنوان "ذلك الرجل"، نقدت فيها العقائد الدينية السائدة في المجتمع الهندي، وذكرت فيها خاصة كيد الكهنة الذين يدعون بصلتهم بالآلهة ليعالجوا النساء العواقر. وهذه الرواية ذكّرت السعداوي بالقصة المماثلة التي وقعت في قريتها قبل ثلاثين عامًا، فأشادت برواية أمريتا بالقول: "هذا هو الأدب الجيد إنه الأدب الذي يجعلنا نتذكر حوادث مضت عليها السنون والسنون نتذكرها لأول مرة ونفهمها لأول مرة. وهذا هو الفن الذي يضيء أركانًا مظلمةً في عقولنا"[21].

وقد أتت أخيرًا بذكر الشاعرة أكيلا[22] من ولاية البنجاب التي أوضحت لها مشكلة تعدد اللغات في الهند وهي مشكلة يواجهها جيل من الشعراء والأدباء في الهند، يولد بها طفل منهم بلغة ويتكلم بها، لكنه يتعلم ويكبر بأخرى، يحلم ويبكي بلغته الأم

[18] المصدر نفسه، ص: 219.
[19] المصدر نفسه، ص: 220-221.
[20] المصدر نفسه، ص: 221.
[21] المصدر نفسه، ص: 224.
[22] المصدر نفسه، ص: 235- 239.

لكنه في معظم الأحوال ينتج أدبه بلغته الثانية أو الثالثة فلا يملك زمام لغة واحدة ولا يسيطر عليها سيطرة كاملة. وأهدت الشاعرة أكيلا إلى الدكتورة السعداوي ديوانها الذي تعبر فيه عن مأساة قرية في البنجاب أدى فيضان النهر إلى تدمير بيوتها وحقولها، وتسخر بشعرها من بعض المقدسات في بلدها بالقول: "كان النهر المقدس لا يغسل آثام الناس ولكنه كان يغسل عرق الفلاحين وطمث النساء وبراز الأطفال المرضى بالإسهال صيفًا وشتاءً"، مضيفةً "تبدو هذه الكلمات فجة غير أدبية شاعرية، ولكن الفنان الحقيقي يستطيع أن يحول قطع الصخر إلى أحجار كريمة وجواهر"[23].

وبعد أن ذكرت السعداوي هذه الاجتماعات مع المثقفات الهنديات عن المظاهر الخارجية النسائية والتقاليد الغريبة في الهند، بقي لها شيء مهم عن مكانة المرأة ووضعها من نفس هذه الرحلة، وهي أن السعداوي شعرت بأن تقابل "المرأة التي لقبها الغرب بأقوى امرأة في العالم"[24].

فصوّرت السعداوي رئيسة الوزراء للهند إندرا غاندي تصويرًا بارعًا وكتبت كل ما قرأت عن حياتها وكفاحها قبل وفاة أبيها وبعدها. ثم سجلت ما دار بينها وبين إندرا غاندي من حديث بقدر من التفصيل، وأهم النقاط كما يلي:

- الصداقة القديمة بين العرب والهند والحاجة إلى تقويتها وتجديدها.
- محبة السلام والهدف وراءها صداقة، وإزالة سوء التفاهم والقضاء على الكراهية على جميع المستويات.
- مشاركة المرأة الهندية في جميع المجالات، فالنساء في الهند وزيرات وقاضيات وعضوات البرلمان وممثلات ومنتخبات في المجالس القروية ومتعلمات وعاملات في كل المجال.

[23] المصدر نفسه، ص: 238.

[24] المصدر نفسه، ص: 299.

- في الهند تاريخ فلسفي قديم للمساواة بين الرجال والنساء، وأثبتت النساء أنهن قادرات على العمل والتضحية.
- المرأة الهندية في الحياة الحقيقية أكثر احتراما وأكثر إيجابية وكفاحا وتقدما لكن الأفلام الهندية تقدمها متخلفة والحكومة لا تتدخل في شؤون السينما إذ هي حرة في الهند.
- جميع القوانين متساوية للمرأة والرجل ولكن على التنظيمات النسائية والنساء أنفسهن تطبيقُ هذا الأمر في الحياة والفن.
- للهند ومصر تاريخ عميق وثقافة متقاربة ولكنهما لا يعرفان آدابهما إلا القليل بسبب مشكلة الترجمة، فهناك حاجة ملحة إلى بذل جهود كثيرة في مجال الترجمة.
- ستزيد صلة الهند بالعرب وبمصر على الدوام في المستقبل[25].

تحدثت رئيسة وزراء الهند آنذاك إندرا غاندي إلى السعداوي عن النقاط المذكورة المهمة وأكدت أن المرأة في الهند تحظى باحترام كبير ولديها مجال واسع في نواحي الحياة كلها، ولها عدة أسباب، الأول: إن هذا بناء على نظرتها الشاملة، وهي أن إندرا غاندي قد واجهت في حياتها عدة صراعات استطاعت التغلب عليها، فكانت ترى المشاكل والشدائد متساوية بين الرجال والنساء. والثاني: كل ما عبرت عنه إندرا غاندي عن المرأة هو يتعلق بالنساء اللاتي تعلمن من الجامعات والمعاهد داخل البلاد أو خارجها، وأثّرت فيهن وفي أسرهن ثقافة الطبقات العليا المتوسطة.

ومهما كانت الدوافع والتبريرات لدفاع إندرا غاندي عن حقوق المرأة الهندية ومشاركتها في جميع المجالات وتمتعها بقدر كبير من المساواة والحرية والقوة، خرجت الدكتورة السعداوي من مكتبها متفائلة، وكتبت في رحلتها بعد هذا الاجتماع كبيان رسمي أدلت به رئيسة الوزراء "لكن المتعمق قليلاً في حياة المرأة الهندية يدرك أن النساء الهنديات بصفة عامة يتمتعن بقدر أكبر من الاحترام

[25] المصدر نفسه، ص: 201-206.

والمساواة من النساء في بلاد أخرى كثيرة"[26]. ووافقتها على هذا الرأي أمينة سعيد عندما تثني على المثقفات الهنديات بأنها تعجب بهن حكمة وذكاء ووسعة في الاطلاع[27].

تقاليد أخرى عن المرأة الهندية:

وجدت الدكتورة السعداوي خلال تجولها في الولايات الشاسعة من الهند عدة تقاليد غريبة ومتناقضة فكتبت عنها بقدر من التفصيل، ومنها:

- المرأة تدفع المهر لزوجها: لاحظت الدكتورة أن المرأة في الهند تدفع المهر لعريسها وفق طبقته ومنصبه وتعليمه، وهو بسبب عقلية الرجل الهندي التي تنظر إلى المرأة كمخلوق أقل منه شأنًا، أو هو بقايا النظام الذي كانت السيادة فيه للمرأة فكانت ترأس وتملك وترث ويُنسَب إليها الأطفال فتدفع المهر كرئيسة، ذلك النظام قد تلاشى وفقدت المرأة سيادتها لكن نظام دفع المهر لم يتغير[28].
- المرأة لا تجلس في حضور الرجل: كتبت الدكتورة عن بعض مناطق الهند أن المرأة لا تجلس في حضور زوجها وأبيها وإنما تظل واقفة هي وبناتها. والمرأة في جميع رحلات أنيس منصور شخصية محورية وعنصر مهم، حيث اعترف بأن المرأة في قارة آسيا أحسن في مركزها وأنها وزيرة ونائبة ومستشارة وقاضية ووكيلة البرلمان، لكنه قد أشار إلى هذا التقليد الغريب السائد في الهند "فالنساء لا يأكلن مع الرجال"[29].
- المرأة لا تدخل بعض المعابد: في بعض مناطق الهند يحرم على المرأة دخول بعض المعابد حيث لا يدخلها إلا الذكور[30].

---

[26] المصدر نفسه، ص: 307.

[27] السعيد، أمينة، **مشاهدات في الهند**، ص: 63.

[28] المصدر نفسه، ص: 225.

[29] منصور، أنيس، **حول العالم في 200 يوم**، (القاهرة: طبعة دار الشروق السادسة، 2007م)، ص: 124.

[30] السعداوي، نوال، **رحلاتي في العالم**، ص: 227.

- المرأة الأرملة مكروهة: في القرون الماضية كانت العادة السيئة التي فشت بين الهنود باسم"الساتي"، وهي أن المرأة كانت تحرق نفسها مع زوجها إذا توفي، أو كانت أسرتها تلقيها في النار مع جثة زوجها. وقد تلاشت هذه العادة تقريبًا، لكن تعتبر المرأة الأرملة مكروهة وسببًا للكوارث، وتعامَل أحيانًا كالساحرة الشريرة[31].
- المرأة امرأة: يعتقد كثير من الرجال الهنود بأن المرأة لقد خُلقت للشؤون المنزلية، وقدرتها الذهنية لا تؤهلها للعمل وتولي زمام الحكومة لأن المرأة امرأة يعني أنها أقل من الرجل عقلاً وفهمًا. ويعتنق كثير من الرجال الهنود مثل هذه الأفكار رغم أن امرأة (إندرا غاندي) كانت تحكم الهند آنذاك[32].
- المرأة تتزوج أكثر من رجل: في بعض مناطق جنوب الهند، أحيانًا تتزوج امرأة أكثر من رجل، لأن نسب الأطفال إلى الأب هنا لا يهم كثيرًا[33].
- المرأة لها السيادة: في بعض المناطق بجنوب الهند "لا يزال ينسب الأطفال إلى أمهاتهم وترث البنات الأرض من الأم وترتفع مكانة النساء في هذا المجتمع الأموي ارتفاعًا كبيرًا في مختلف نواحي الحياة والعلوم والفنون"[34].

هذه بعض العادات والتقاليد الغريبة التي أشارت إليها الكاتبة السعداوي. والأمر الواقع هو أن مثل هذه التقاليد لم تعم جميع أنحاء الهند، ربما هي قبلية وشاذة يمارسها عدد قليل جدًا. يبدو أن السعداوي قد أخطأت في نقل هذه الأمور الشاذة، وحاولت انتقاد المجتمع الهندي انتقادًا شديدًا، وهذا يدل على فكرتها النسوية.

خاتمة البحث:

نجد السعداوي بالغة العناية بوصف المرأة وذكر وضعها، ومعجبة بشخصية المرأة الهندية وأدبها وشجاعتها وحسن تدبيرها. كما نجدها حزينة من حالة النساء من

[31] المصدر نفسه، ص: 228.

[32] المصدر نفسه، ص: 226.

[33] المصدر نفسه، ص: 229.

[34] المصدر نفسه، ص: 305.

الطبقة المتوسطة أو السفلى بسبب إصر أعمالهن وأزماتهن في حياتهن اليومية. لذلك تنتقد السعداوي في أغلب الأحيان التقاليد الغريبة المتناقضة.

أوضحت دراسة هذه الرحلة أن السعداوي قد حاولت تسليط الضوء على التباين الذي يوجد في بعض الطبقات من المجتمع الهندي، لكنها في بعض الأحيان لم تستطع أن تحكم على الأمور بطريقة صحيحة بل إنها أخطأت في تصوير وضع المرأة الهندية فانتقدت المجتمع الهندي بشأن المرأة انتقادًا حادًا.

ويمكن القول إن أوضاع المرأة في المجتمع الهندي بأبعادها المختلفة متفاوتة ما بين الطبقات التي شاهدتها الدكتورة السعداوي، وذلك وفق طبيعة التكوين الاجتماعي الثقافي لمجتمع ما. نجد في بعض الطبقات الهندية القليلة المرأة تمارِس تقاليد غريبة وهي تبدو مظلومة، وفي غيرها من الطبقات تتمتع المرأة الهندية بأرفع منزلة وأعظم شأن ولها مشاركة بارزة في الشؤون السياسية والاجتماعية والدينية. كما نشاهد في الأيام الراهنة أن المرأة قد سبقت الرجل في عديد من مجالات الحياة. فلا نستطيع القول إنها متمتعة بحقوقها مطلقاً في جميع أنحاء البلاد مثلما لا نستطيع أن ندعي بأنها مهضومة الحقوق على الإطلاق. فلها وضع متفاوت فيما بين الطبقات.

المصادر والمراجع:

- السعداوي، نوال، رحلاتي في العالم، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط2، 2006م.
- السعيد، أمينة، مشاهدات في الهند، مصر: دار المعارف للطباعة والنشر، 1946م.
- صالح، زكي، رحلة إلى الهند، بغداد: مطبعة الرابطة، 1950م.
- العبودي، محمد بن ناصر، في جنوب الهند، من سلسلة الرحلات الهندية، الرياض: مطبعة الفرزدق التجارية، 1997م.
- منصور، أنيس، حول العالم في 200 يوم، القاهرة: دار الشروق، ط6، 2007م.
- النساج، سيد حامد، مشوار كتب الرحلة، مكتبة غريب الفجالة، (النسخة الإلكترونية من المكتبة الإسكندرية).

المسرح المدرسي بين الغاية الإدماجية واكتساب المهارات اللغوية

د. دنيا باقل*
Email: bakel.d.univ@gmail.com

ملخص البحث:

لا يخفى على أي واع مدرك لحقيقة المسرح وأهميته أن المسرح يُعد دعامة من دعائم المجتمع وتقويمه، كيف لا وهو يمثّل موقفًا سلوكيًا، وتعليميًا، وتربويًا من خلال لغة منطوقة ولغة إشارات وإيماءات مختلفة وعبر تكامل للتعبير الشفهي ومختلف المهارات اللغوية.

فلا غرو أن يؤثر المسرح في وعي الطفل وسلوكه في المجتمع، إذ يضع أمامه وقائع وأشخاصًا وأفكارًا بشكل مرئي ومسموع، وبالتالي يصبح بذلك خطابًا تربويًا، إذ يرتبط المتعلم ببيئته ويساهم في بنائها، وهنا تصدق مقولة (أعطني مسرحا أعطك أمة). وضمن هذا المسعى تهدف هذه المقالة إلى كشف الستار عن حقيقة التمسك الدائم بمعادلة المسرح والمتعلم مقابل الإدماج بمختلف أشكاله وأبعاده المعرفية التعليمية مركزة على جملة من المثيرات التساؤلية أهمها: ما مدى قدرة المسرح المدرسي على إدماج المتعلم في مجتمعه؟ كيف يسهم المسرح المدرسي باعتباره بناء متكامل التكوين في تنمية المهارات باستعمال لغة راقية من جهة، وبإدماج الأطفال في المجتمع بشكل سليم يسهم في بناء الأمة من جهة أخرى؟.

كلمات مفتاحية: المسرح المدرسي، أدب الطفل، الإدماج، مسرح الطفل، النمو اللغوي، المهارة اللغوية.

Abstract:

It is clear for those who know about the reality of theater and its importance that theater is a pillar of the society, because it represents a behavioral, educational and pedagogical attitude through a spoken language and a language containing different signs as well as an integration of oral expression with the various language skills.

* أستاذة محاضرة صنف (أ) قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون، تيارت.

There is no doubt that theater has an impact on the child awareness and behavior in society because it puts in front of him chronicles, persons and ideas in both visible and audible forms.
Thus, it becomes an educative speech because the learner is connected with his environment and he contributes to its development.
This article aims to unveil the reality of permanent adherence to the equation of theater and learner versus inclusion in its various forms and dimensions of educational knowledge focusing on a number of questions such as: to what extent is the theater able to integrate the learner in his society? How does School Theater contribute to the development of skills by using an upscale language and by integrating children in society in a way that contributes to nation-building?

مقدمة:

لا يختلف اثنان على أهمية أدب الأطفال والحاجة إليه إذ يعد من الركائز الأساسية التي يقاس بها تطور الأمم ورقيها، بغية توسيع الآفاق الحضارية والمعرفية والعلمية؛ كيف لا وأدب الأطفال أساس المعرفة وسمة التقدم العلمي والحضاري إذ اهتمت بها الحضارات في مختلف الأزمنة والأمكنة.

إننا لا نحتاج إلى تأكيد هذه الحقيقة إذ يعد الطفل "الثروة الأساسية والحقيقية للأمة، ومن ثم فإن تنمية القدرة الخلاقة والمبدعة تصبح هي الهدف الأسمى لأي تثقيف"[1]، واستنادًا إلى هذه الأهداف نستطيع أن نقول إن "أدب الأطفال هو ذلك العرف الفني الذي يلتزم بضوابط نفسية واجتماعية وتربوية، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال ويخاطب مشاعرهم ووجدانهم وينمّي فيهم الجانب الإنساني بما يشتمل عليه من حب وجودة ورحمة وتواصل"[2].

وهو في النهاية يحمل مضمونا واضح المعالم بوسائط مختلفة من قصة، وأنشودة، ومسرح،... وغيرها، الهدف منه تنمية القدرات الذهنية للطفل، فأدب الأطفال "وسيلة

[1] سيسيليا، ميرايل، **مشكلات الأدب الطفلي**، تر: مها عرنوق، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1997م)، ص: 26.

[2] عطا، إبراهيم محمد، **عوامل التشويق في القصة لطفل المدرسة الابتدائية**، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1994م)، ص: 65.

من وسائل التعليم والمشاركة والتسلية، وسبيل إلى التعايش الإنساني، وطريقة لمعرفة السلوك المحمود، وأداة لتكوين العواطف السليمة للأطفال، وأسلوب يكتشف به الطفل مواطن الصواب والخطأ في المجتمع، ويوقفه على حقيقة الحياة وما فيها من خير وشر"[3].

ولأن للأدب فنونه المختلفة، وهي جميعها لها الأهمية البارزة في تكوين شخصية الطفل ومساعدته على الاندماج في المجتمع، فإن المسرح المدرسي واحد من هذه الفنون، إذ يعتبر من أهم الاستراتيجيات الحديثة في التربية والتعليم، وفي تنمية شخصية الطفل في مختلف مراحله العمرية.

ومن هذا المنطلق سأحاول في هذه المقالة أن ألج إلى الدور المنوط بهاته الفضاءات المسرحية المدرسية، مسلطة الضوء على المرتكزات التي تؤخذ بالحسبان عند التعامل مع فئات المتعلمين لتنمية الجانب الإدماجي واللغوي في المجتمع.

1. مسرح الطفل: مركز إشعاع للطفل

يعد المسرح إحدى الوسائل الهامة للتواصل ولنقل الأدب والعلوم ومختلف الثقافات للطفل، فهو "أقوى معلم للأخلاق"، وخير دافع اهتدت إليه عبقرية الإنسان لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحماس وتصل مباشرة إلى قلوب الأطفال التي تعتبر أنسب وعاء لهذه الدروس[4]، حيث تتعانق مختلف الفنون من حركة وصورة وصوت وإيماءات لتبني صرحا فنيا يسعى نحو الإبداع فالمسرح في عصرنا الحالي "يعد واسطة من أهم وسائط وصل الأطفال بأدبهم"[5]، ولكي تتضح قيمة هذا الفن، فقد بات من الضروري إدراك ماهيته.

وفي هذا الصدد يقول مارك توين(Mark Touin) "إن مسرح الأطفال من أعظم الاختراعات في القرن العشرين، وإن قيمته التعليمية الكبيرة التي لا تبدو واضحة أو

---

[3] الحديدي، علي، **في أدب الأطفال**، (القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية، ط2، 1999م)، ص: 64.

[4] ينظر: عبد الله حسن منصور آل عبد المحسن، **أساسيات أدب الطفل**، (دار الشرق، 2007م)، ص: 156.

[5] اللبدي، نزار وصفي، **أدب الطفولة واقع وتطلعات**، (الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، ط1، 2000م)، ص:101.

مفهومة في الوقت الحاضر سوف تنجلي قريبا"[6]، كيف لا وهو يحرّك مشاعر الطفل وذهنه وعقله ويغذي الطفل فنيا وأدبيا ووجدانيا ويسير به نحو الأفضل[7].

2. بين مسرح الطفل والمسرح المدرسي

قمين بالذكر أن نتناول موضوعا هاما وهو تداخل وتنوع المصطلحات من مسرح للأطفال ومسرح مدرسي. وللفصل بين هذين المصطلحَين لا بد أن نراعي قضية هامة وهي الدور الذي يمثّله كل نوع في تكوين شخصية المتعلم، ونجد أن القاسم المشترك بينهما كونهما من "الوسائل التعليمية والتي تتم عن طريق أو بواسطة السمع والبصر وترفض الورق كوسيلة للتعلم والتذوق"[8].

إن مصطلح "مسرح الطفل يطلق على العروض التي تتوجه لجمهور الأطفال واليافعين، ويقدمه ممثلون من الأطفال، أو الكبار، وتتراوح غايتها بين الإمتاع والتعليم"[9].

وقد اتفق أحمد زلط مع التعريف السابق في كون المسرح عملا فنيا موجها للطفل يتناسب والفئة العمرية له، يعرض على خشبة المسرح بمساعدة مكملات مسرحية فنية من ديكور وإضاءة وأزياء وأصوات، وتناغم فريق الأداء مع العناصر الفنية[10].

وفي المقابل نجد المسرح المدرسي "لا يعني فن التمثيل فقط، وإنما يتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك بكثير، حيث إنه يشمل –إضافة إلى التمثيل– تعاون عدة مهارات في مجالات أخرى من فنون كالموسيقى، والرسم، والرقص، والدبكة، والإلقاء

---

[6] عبد الله حسن منصور آل عبد المحسن، **أساسيات أدب الطفل**، ص: 156.

[7] دياب، مفتاح محمد، **مقدمة في الثقافة وأدب الطفل**، (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 1995م)، ص: 102.

[8] خليفة، محمود، **المسرح المدرسي**، (القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2007م)، ص: 3.

[9] إلياس، ماري، وحنان قصاب، **المعجم المسرحي مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض**، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997م)، ص:41.

[10] زلط، أحمد، **أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل**، (القاهرة: دار هبة النيل للنشر والتوزيع، ط1، 1991م)، ص:174- 176.

المقرون بمسرحة المناهج التعليمية، وبالأخص الأدبية منها حيث يجب النظر إلى كل ما لدى التلامذة من مواهب وقدرات إبداعية يتكامل معها التمثيل فيصبح كلا فنيا لا يتجزأ"[11].

وتمتد الغاية منهما –المسرح المدرسي والمسرح المدرسي- إلى كونهما يتجاوزان الوسيلة إلى الغاية المرسومة ويشتركان فيها أهمها ثراء الفكرة ومتعة الوجدان مع السعي إلى الغايات في حد ذاتها، وهنا يتحول الطفل من المتعة إلى الاحتمال، ومن الاحتمال إلى المشاركة الوجدانية إلى الإحساس العقلي بشعور الآخرين[12].

أما من حيث الموضوع فنجد مسرح الطفل أعم وأشمل من المسرح المدرسي، إذ يتجاوز الأول فضاء المدرسة إلى فضاءات أخرى متعددة ويسهر على ذلك موجهون وممثلون من خارج القطاع المدرسي، أما الثاني فهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالمحيط التعليمي من مؤطرين وممثلين وفق معايير سيكولوجية نفسية ومبادئ لها علاقة بالمنظومة التعليمية التربوية حيث "تحتل مسرحة المناهج المرتبة الأولى في المسرح المدرسي، إذ يقوم الأطفال بتمثيل مواد منهجية ممسرحة، وذلك لتبسيط المواد العلمية، وتعميق أثرها في النفوس عن طريق البهجة التي يمنحها العمل المسرحي"[13].

يبدو أن المصطلحين لا يخرجان عن أنهما وجهان لعملة واحدة من حيث كونهما فنا راقيا يتعامل مع ممثل ومشاهد راقٍ هو الآخر، وكونهما وسيلة وغاية في الآن ذاته، وهذا هو الأصل أما عن الفروقات الفرعية فهي من حيث المناسبة والمشاهد والمضمون.

هذا التنوع في المفهوم يفرض تنمية ثقافة المتعلم وتطوير قدراته التعبيرية وتحفيزه على مشاركة الغير في إطار الشراكة والتعاون الإيجابي مع تكامل مختلف الأنشطة

---

[11] مرعي، حسن، **المسرح المدرسي**، (بيروت: دار ومكتبة هلال، ط1، 1993م)، ص: 13- 14.

[12] أبو الرضا، سعيد، **النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره ومهامه) رؤية إسلامية**، (الإسكندرية: مركز الدّلتا للطباعة، 1990م)، ص: 20-24. (بتصرف)

[13] البقاعي، إيمان، **المتقن في أدب الأطفال والشباب**، (بيروت: دار الراتب)، ص: 267.

التعليمية وما تحدثه من أثر في عملية التعلم، وهنا يصبح لهاتين التسميتين مسار واحد يصب في قالب واحد وهو الوسيلة والغاية، المتعة والفائدة، الحق والواجب[14].

وفيما يلي أورد الجدول الآتي والذي يبين أوجه التشابه والاختلاف بين مسرح الطفل والمسرح المدرسي:

	مسرح الطفل	المسرح المدرسي
أوجه الاختلاف من حيث	عام المناسبة/المشاهد/المضمون - داخل و خارج المدرسة - الأشخاص من داخل المدرسة و خارجها	عام المناسبة/المشاهد/ المضمون - داخل أسوار المدرسة - الأشخاص من داخل المدرسة
أوجه التشابه من حيث	وسيلة وغاية/ متعة و فائدة/ حق وواجب/شفوي/تعليمي/ إدماجي	

3. أنواع المسرح المدرسي

ينقسم المسرح المدرسي إلى أربعة أنواع[15]، باعتباره "مكونا من مكونات وحدة التربية الفنية والتفتح التكنولوجي"[16]، نستهلها بـ:

3-1. **المسرح التعليمي:** حيث تتحول النصوص المدروسة والمواد التعليمية إلى مسرحيات بطريقة ملفتة للانتباه إذ تعطي أثرًا إيجابيًا في العملية التعليمية التعلمية مع الأخذ بعين الاعتبار المتعة والتي هي الغاية الجوهرية في ذلك ويكفي "في هذا لمحة عابرة أو فكرية علمية صغيرة ترد في ثنايا القصة أو بين السطور"[17].

3-2. **المسرح التلقائي:** ويسمى الدراما الخلاقة، أي أن إخراج النص يكون من قبل الطفل، بعد أن يختار المعلم موضوعا وهنا تنمى مهارة التعبير بشكل ملفت للانتباه.

---

[14] بوشلالق، عبد العزيز، **المسرح في المنظومة التربوية الجزائرية- دراسة تحليلية لمناهج اللغة العربية-**، مذكرة ماجستير(مخطوط)، جامعة المسيلة، 2009م، ص: 11-12. (بتصرف)

[15] ينظر في تفصيل ذلك: كنعان، أحمد علي، **أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل**، مجلة جامعة دمشق، سوريا، المجلد 27، العدد الأول والثاني، 2011م، ص:111- 112.

[16] أكويندي، سالم، **ديداكتيك المسرح المدرسي**، (المغرب: دار الثقافة، 1994م)، ص:81 (بتصرف).

[17] نجيب، أحمد، **فن الكتابة للأطفال**، (بيروت: دار اقرأ، ط1، 1986م)، ص: 176.

3-3. **مسرح العرائس:** وهو نوع شائع في الطور الأول من التعليم حيث يعد وسيلة تربوية مهمة للغاية، يعتمد هذا النوع من المسرح على العرائس ومنها استمد تسميته، فالشخصيات تكون عبارة عن "عرائس من الخشب أو الورق أو البلاستيك أو القماش على هيئة شكل بشري أو حيواني بشكل يتناسب والمسرح الذي ستظهر فيه ويقوم بتحريكها لاعبون من البشر"[18]، من أهم أنواعها: العرائس القفازية، عرائس الماريونيت، عرائس خيال الظل، عرائس العصا[19].

3-4. **المسرح التربوي:** هو فن تربوي يلتحم فيه الأسلوب بالغايات ويرتبط بأصوله المعرفية والإبداعية، والمادة الخام له إما الأدب التعليمي أو الشعبي أو الحكاية الرمزية، وحكايات وأغاني ترقيص الأطفال، كل هذه الأنواع تخدم بعضها البعض والحدود الفاصلة بينها هي حدود شكلية فكل منها يخدم الآخر، والخطاطة الآتية توضح ما سبق ذكره لأنواع المسرح المدرسي:

4. مراحل النمو اللغوي وعلاقتها بالمهارات اللغوية في ظل الفضاء المسرحي

بما أن المهارات اللغوية من سماع وكلام، من أهم المهارات المستعملة في علاقتها بالمسرح بصفة عامة والمدرسي منه بصفة خاصة فإنه بات من الضروري أن نهتم بتحسين هذه المهارات إضافة إلى مهارة الكتابة والقراءة لأنهما ضروريتان بالنسبة للمسرح التلقائي. فهذه المهارات تختلف حسب الفئة العمرية للطفل وعلاقة هذا وطيدة

[18] أبو مغلي، لينا نبيل، **الدراما والمسرح في تعليم النظرية والتطبيق**، (الأردن: دار الراية للنشر والتوزيع، 2008م)، ص: 109.

[19] ينظر في تفصيل ذلك: المتيني، أحمد، **أصول مقومات مسرح العرائس**، (القاهرة: الجهاز المركزي للكتاب الجامعي، 1982م)، ص: 23 وما بعدها.

بالنمو اللغوي إذ "تنحصر المشكلة التربوية في إيجاد المعارف الملائمة لكل مرحلة وفي تقديمها بصورة قابلة للتمثيل"[20].

وبناء على ما سبق ذكره قسّم معظم الباحثين مراحل النمو اللغوي للطفل إلى عدة مراحل أجمع معظمهم أن تتكون من أربع مراحل لا يمكن أن نضع حدودًا فاصلةً بينها، نجملها في الآتي:

1. **مرحلة ما قبل القراءة والكتابة: ما بين 3 و6 سنوات**

ويميل فيها الطفل إلى قصص الحيوانات والطيور، وإلى الحكايات الخرافية، وقصص الإيهام الخيالي، ولكنه لا يستطيع أن يفهم اللغة التحريرية المكتوبة، وهنا تغلب على لغة الطفل تناول المحسوسات لا المجردات.

2. **مرحلة القراءة والكتابة المبكرة: من سن 6 إلى 8 سنوات**

وهي المرحلة التي يبدأ فيها الطفل في تعلم القراءة والكتابة، وهي تعادل المستويين الأول والثاني من المرحلة الابتدائية، وفيها تكون مقدرة الطفل على فهم اللغة المكتوبة مقدرة محدودة النطاق، وفي هذه المرحلة تتسع ثروة الطفل اللغوية.

3. **مرحلة القراءة والكتابة الوسيطة من سن 8 إلى 10 سنوات**

تتميز هذه المرحلة بتمكن الطفل من المهارات الأساسية للقراءة، وفهم معاني الرموز اللغوية المقروءة والاستجابة لما فيها واستخدام الأفكار المستخلصة من القراءة، وإذا تجاوز الطفل السابعة من عمره زادت ثروته اللغوية، وأصبح يعبر عن معارفه الجديدة، باستعمال الجمل الطويلة لأن الجمل القصيرة لا تعبر عن مستجداته، وإذا بلغ سن العاشرة من عمره أصبح قادرًا على التعبير بنفسه عما يحس به، وهنا تربط له اللغة ببعض القواعد النحوية.

4. **مرحلة القراءة والكتابة المتقدمة من سن 11 سنة فما فوق**

وفيها يكون الطفل قد قطع مرحلة كبيرة من التعلم مع اتساع معجمه اللغوي إلى درجة كبيرة، حيث يحاول أن يمتلك ناصية القدرة على فهم اللغة بشكل لافت للانتباه[21].

[20] صالح، أحمد زكي، **علم النفس التربوي**، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1965م)، ص: 67.

من خلال استقراء هذه المراحل لابد لنا من أن نركّز على مسايرة هذه المراحل للمهارات اللغوية للطفل والفئة العمرية، فالمحيط الخاص بالطفل من أسرة ومدرسة ومجتمع لابد أن يوجهوا ميول الطفل حسب السن وقدراتهم، فكل مرحلة تتناسب وطبيعة المادة فلا نستطيع أن نجبر طفلا في سن الثامنة على قراءة قصة موجهة لطفل في سن الـ11، ولا حتى مشاهدة عرض مسرحي لا يتلاءم وسنه وهكذا، "إن المسرح يفوق في تأثيره في الطفولة وسائط الأدب الأخرى فالمعروف أن لونين من التفكير يغلبان على الأطفال هما التفكير الحسي الذي يعتمد على الأشياء الملموسة، والتفكير الصوري الذي يعتمد على تكوين صور حسية، أما التفكير المعنوي المجرد فلا يبلغه الأطفال إلا في سنوات طفولتهم الأخيرة"[22].

إن المركبات والمفردات اللغوية للخطاب المسرحي تستلزم استغلال مختلف المهارات اللغوية وهو ما يربط النمو اللغوي بالمسرح من حيث هو وسيلة لإيصال الأفكار والتأثير في المتلقي مهما كان مستواه حيث يركز الممثل على فاعلية التأثير في المتلقي بمركبات لغوية وغير لغوية، باستخدام مختلف الوسائط من إيماءات، وحركات، ووصل وفصل، وتعبيرات جسدية، ولغوية وغيرها، لكي يحدث التواصل اللغوي إذ تستلزم علاقة تواصلية على خشبة المسرح بين الباث والمتلقي وقبلها بين النص المسرحي والباث في حد ذاته.

5. المهارات اللغوية وإدماج المتعلم

للمسرح المدرسي مقاصد تربوية وغايات اجتماعية، إذ يسعى إلى تقديمها من خلال المسرحيات والتي إما أن تكتب من طرف المعلمين، وإما من طرف المتعلمين أنفسهم،

---

[21] ينظر في تفصيل هذه المراحل: الحوامدة، محمد فؤاد، **أدب الأطفال فن وطفولة**، (عمّان: دار الفكر، ط1، 2014م)، ص:45 -52.

[22] الهيتي، هادي نعمان، **أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م)، ص: 304.

كما يهدف المسرح إلى "بث قيم خلقية معينة في نفوس الأطفال مثل وجوب اتباع وقول الصدق، والفصل بين العاطفة والواجب"[23].

وتكاد تجمع معظم آراء الباحثين والمتخصصين على أهمية المسرح ومساهمته في الارتقاء بالمتعلم "وتثقيفه، وإغناء معلوماته وتنمية شخصيته، وتوسيع مداركه، كما يدرب المساهمين في تقديم المسرحيات على الفصاحة والإلقاء السليم وسرعة البديهة وحسن التصرف، ومواجهة الجماهير"[24].

وإذا أخذنا بما سبق ذكره على محمل التصديق، فإننا نجد أنفسنا قد حصرنا المسرح في جانب واحد فقط، فإما أن يأخذ كأسلوب وإما أن يتخذ كوسيلة، وإذا أقررنا بهذا فإننا سنحصر تفكير الطفل في جانب واحد لا غير، وهنا كان لزاما علينا أن نربط الأسلوب بالوسيلة باعتبار الأول نمطا في الحياة والثاني غايات متنوعة من تربوية وتعليمية واجتماعية ونفسية، وعليه فإن مدارك المتعلم تتراوح بين الأسلوب والوسيلة "بين القدرة على الحركة والقدرة على السمع والمشافهة فترتبط الصور الذهنية بصور حقيقية يقوم المعلم بإعادة صياغتها وتشكيلها وفق فهمه الخاص ومعارفه الإدراكية الموجهة، إذ يستطيع من خلالها إدراك المفاهيم التربوية وتقبلها نفسيا واجتماعيا لينطلق إلى تمثلها في الواقع الحياتي الذي نعيشه، وعلى أساسه يرتبط الهدف العام من التربية بالوظيفة التي يرجى منه أداؤها"[25]. إن الميل إلى المسرح مشاهدة أو إجراء يدفع الأطفال إلى التفاعل مع مواد على درجة أعلى صعوبة، فتتحسن مهاراتهم اللغوية، فيمثل خبرة سارة تجعلهم يميلون إلى تكرارها بالإقبال على مزيد من التفاعل والاندماج في عالم المسرح.

وبما أن الميول المسرحية مجموعة من التنظيمات الوجدانية لدى الفرد والتي تركز على الممارسة الإدراكية والأدائية، فهي نتاج تفاعل بين الحاجات والميولات والرغبات

---

[23] عيسى، فوزي، **أدب الأطفال، الشعر- مسرح الأطفال- القصة- الأناشيد**، (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1998م)، ص: 243.

[24] عبد الرزاق، جعفر، **موقف الطفل إزاء الثقافة**، (منشورات منظمة طلائع البعث، 1985م)، ص:67.

[25] بوشلالق، عبد العزيز، **المسرح في المنظومة التربوية الجزائرية**، ص: 22.

النفسية من جهة وبين الوسائل المرتبطة بالقراءة من جهة أخرى، بات من الضروري التركيز على الجانب الوجداني والمتمثل في التذوق، "فإغفال هذا الجانب ينشئ أجيالاً من المتعلمين الأميين الذين لا يعرفون كيف يقرؤون ولكنهم لا يقبلون على القراءة"[26].

يتميز الأطفال بحب الاستطلاع لمحيطهم مهما كانت متغيراته لذا وجب علينا أن نقوم بمراقبة ذلك الفضول اللامتناهي لطبيعة المادة القرائية المسلمة للطفل والتي تتناسب والسن والمستوى العقلي كما سبق الذكر، لأنه إذا اصطدم بمادة لا تتأقلم ومستواه فإنه سيصاب بنوع من الإحباط الذي يؤثر في نموه اللغوي وكذا تمسكه بفعل التمثيل، وفيما يلي أورد خطاطة توضيحية لطبيعة المسرح.

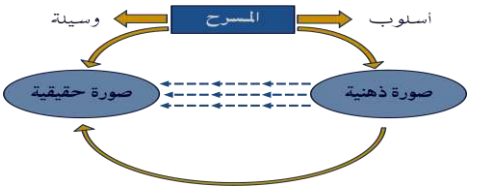

ولما كان المسرح أحد أوجه النشاط المدرسي الهامة وجزءً هامًا من النشاط الثقافي واستراتيجية فعالة في التدريس، ومن خلال ثنائية "أسلوب، وسيلة"، كان لزاما علينا أن نحدد مستويات المسرح المدرسي ووظائفه، نستهلها بـ:

1. **الوظيفة النفسية:** يعد المسرح من أهم الوسائل التي تحقق التوازن النفسي، فتقمص الشخصيات وتمثيل الأدوار ومشاهدة العروض المسرحية يريح المتعلم ويؤدي إلى نقص التوتر النفسي ومظاهر الكبت، ومن الظواهر النفسية التي يمكن معالجتها عن طريق التمثيل الخجل، والانطواء، وعيوب النطق،... وقد يرتبط معنى التمثيل في أذهان بعضهم على أنه وسيلة للترويح عن النفس والتسلية والإمتاع، وهذا الفهم قاصر لأن التمثيليات هي وسائل اتصال فعالة للتعبير عن فكرة أو مفهوم أو

[26] مصطفى، فهيم، **أنشطة ومهارات القراءة في المدرسة الابتدائية**، (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ط1، 2013م)، ص:71.

شعور معين، إضافة إلى أنها وسيلة ذات قوة اجتماعية هائلة للتثقيف والتأثير والتوجيه[27].

فالمتعلم في المسرح سواء أكان ممثلا أم مشاهدا سيتحرر من الجو الأسري وكذا من الجو المدرسي، رغم أن النشاط ممارس داخل أسوار المدرسة، ولكنه لن يكون منتبها للمعلم ولا جالسا على كرسي داخل حجرة الصف، بل سيكون طرفا فاعلا في المشاركة والعمل الجماعي معتمدًا على نفسه وقدراته الفكرية والاجتماعية واللغوية،...هذه المشاركة أداء ومشاهدة في الآن ذاته "ستفرض على التلامذة نوعا من المشاركة في عدة نشاطات، وفي مختلف أنواع الفنون والأعمال التي يتطلبها العرض، فالتلامذة مثلا يمكن أن يساهموا في مشاهد العرض، وبالتالي سيكسب الواحد منهم مهارات مختلفة إضافة إلى معرفته بأهمية التعاون والنظام في حياته الاجتماعية"[28].

ويغلب على الأطفال الجانب الاندماجي، والمسرح بخصائصه الدرامية يساعدهم على هذا، لأنه يريهم الحوادث في أماكنها وبأشخاصها بالإضافة إلى عوامل الإيهام المسرحي كالإضاءة والديكور فهي تتحد جميعا لنقل الطفل إلى العالم الذي يسعد أن يراه كما يتعاون خيال الطفل وموقفه الاندماجي وحالات التعاطف الدراسي إلى أن تصل به إلى قمة المتعة والانفعال والتأثر إذا أحسن الربط بينها بشرط مراعاة الخصائص التربوية والسيكولوجية والفنية المختلفة[29].

إن ميدان المسرح يعد حقا فضاءً لنقل التصورات الذهنية من القسم إلى تصورات حقيقية، فتنقل المعلومات والأفكار من صورة مجردة إلى صورة حسية، بأسلوب شائق تجعل المتعلم منطلقا نحو قابلية التعلم والاندماج في المجتمع مهما كانت مكبوتاته وعلله النفسية، فالمسرح قادر على معالجة الأمر بطريقة غير مباشرة دون

---

[27] كنعان، أحمد علي، **أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل**، ص:115.

[28] مرعي، حسن، **المسرح المدرسي**، ص: 10.

[29] الهيتي، هادي نعمان، **أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه**، ص:303.

أن يخضع لجلسات نفسية علاجية قد يطول أمدها، "فعن طريق التمثيليات الأخلاقية يمكن معالجة بعض الانحرافات الأخلاقية والآراء الاجتماعية السلوكية بإظهارها مضخمة تهيئة للتلاميذ للاضطلاع بأعباء الحياة المقبلة في كبرهم"[30]، فيتلقى المتعلم القيم والآداب بعيدا عن قيود التلقين والتي تتصف بالصرامة، مع مراعاة "تفاوت السن بين المتفرجين –مثلا- يسبب أعظم المشاكل فيما يتعلق باختيار المسرحيات، فما يقبله الأطفال في سن الخامسة يبدو تافها بالنسبة للأطفال في سن الحادية عشرة، وما يهز مشاعر هؤلاء الأطفال يثير فزع الأطفال في الخامسة، واختيار مسرحية تناسب الفئتين يتطلب تعديلا في نص المسرحية وفي إخراجها"[31].

فيكون بذلك المسرح أداة تربوية اجتماعية تهدف إلى دمج الطفل في وسطه وتوعيته قبل أن يكون فنا ملقنا لا غير، حيث يكتسب الطفل "بسلاسة وبطريقة غير مباشرة سلوكيات إيجابية يقوم بعملها في المواقف الحياتية اليومية"[32] لتنشئته اجتماعيا ودمجه في مختلف فاعليات المجتمع، إذ يعد فضاء تعليميا ومناخا خصبا للتواصل التعليمي التعلمي بين المعلم والمتعلم.

2. **الوظيفة اللغوية:** إن هذا المستوى يحتم علينا أن نخوض غمار المهارات اللغوية خاصة، والذي تترتب عن تحقيق الأهداف المسطرة لمسرح الطفل من جودة للعمل المسرحي وإتقان تمثيله على خشبة المسرح، ولا سبيل إلى الغايات المتوخاة إلا بعد العمل على جوهر العمل المسرحي المدرسي، فالمسرح لا يعد مظهرًا حضاريًا فحسب ولا يعد كذلك وسيلة للترفيه بل يعتبر إحدى الوسائل التعليمية المهمة جدًا.

ويضطلع المسرح المدرسي بمهمة التنشئة اللغوية كذلك، حيث ينشأ الطابع الاندماجي والتواصل اللغوي بين المتعلمين فـ "الكتابة المسرحية للطفل تختلف بعض الاختلاف عن الكتابة للكبار، فالأطفال لهم عالمهم الخاص الذي يختلط فيه الواقع

---

[30] مقبل، فهمي توفيق، **النشاط المدرسي**، (دمشق: دار المسيرة، 1978م)، ص: 150.

[31] الهيتي، هادي نعمان، **أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه**، ص: 15.

[32] يونس، أمل عبد الكريم قاسم، **تنمية السلوكيات الاجتماعية الإيجابية لطفل الروضة باستخدام مسرح العرائس**، (القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ط1، 2014م)، ص:14.

بالخيال، ولهم اهتماماتهم الخاصة، كما أنهم في طور النمو والإدراك والتعلم مما يجعلهم أكثر قوة على التلقي والتأثر"[33].

ومن هذا المنطلق لا بد أن تنشأ مع المتعلم ملكة خاصة تبدأ من السماع باعتباره أبي الملكات، حيث تكون نقطة الانطلاق نشاط التعبير الشفوي بوصفه نشاطًا تعليميًا للكفاءات العرضية ذات الطابع الفكري والتواصلي والشخصي الاجتماعي التي ينص عليها المنهاج الدراسي، فيسعى إلى تكييف كلامه من متغيرات الوضعية التواصلية باستعمال الأساليب المناسبة، ليحقق مشروعه الشخصي منميا الحس الفني والذوق الأدبي الجمالي ليكون ملمحه في المجال الشفوي فهم المنطوق، والتعبير المنطوق وهنا لا بد أن نشير إلى الكفاءة الشاملة إذ يتواصل المتعلم بلغة سليمة، ويقرأ قراءة مسترسلة مع التركيز على النمطين الحواري والتوجيهي، منتجا إياها مشافهة وكتابة في وضعيات تواصلية دالة[34]، فتتكون مهارة الكلام عن طريق المناقشة والحوار، حيث يتدرب المعلم على السماع أولا وعلى تقويم لسانه بقراءة النصوص بالمسرحية، وهنا تتشكل لديه دربة ومران على الكلام والتواصل اللغوي بمختلف مستوياته من صوتية، وإفرادية، وتركيبية، وأسلوبية، فيصبح الأداء التمثيلي فنا مكتسبا ومقوما من مقومات الإلقاء مع التحكم في نبرات الصوت ودلالة الوصل والفصل ودلالة الحركات الجسمية وحركة بعض الأعضاء كتقاسيم الوجه وحركة اليدين...والتي تصب في الجانب التعبيري اللغوي وغير اللغوي. "فيتواصل المتعلم مشافهة بلغة منسجمة، ويفهم معاني الخطاب المنطوق ويتفاعل معه، وينتج خطابات شفهية مختلفة الأنماط مع التركيز على النمطين الحواري والتوجيهي في وضعيات تواصلية دالة"[35].

---

[33] كنعان، أحمد علي، **أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل**، ص: 97.

[34] يراجع في ذلك: مجموعة من المؤلفين، **دليل استخدام كتاب "اللغة العربية" السنة الثانية من التعليم المتوسط**، (وزارة التربية الوطنية، الجزائر: أوراس للنشر، ص: 11.

[35] المرجع نفسه، ص:11.

إن الجو الجماعي يثير في المتعلم دافعية التعلم من خلال الحوار، والأداء السليم حيث يحاكي الغير من مجموعته المسرحية بدء بالمعلم انتقالا إلى بقية أعضاء المجموعة المسرحية، "وعليه فإن المهارات اللغوية أداءات ترتبط عضويا بمستويات الحوار عند المتعلم كما أن حسن استغلال الكتابة بأسلوب لغة الكلام المسموعة وإحكام الاستفادة من الأذن الخفية التي تستطيع أن تسمع لغة الكلام الباطن الصامتة يساعدان على تكوين صور سمعية تصاحب الصور البصرية عند الطفل أثناء قراءته للقصة"[36].

وهنا تنمو المهارات اللغوية وتتطور منذ بداية الاحتكاك بين المتعلمين دون وضع حواجز نفسية أو اجتماعية فالكل يشارك ويعبر دون عقدة أو ارتباك باعتماد وظيفة لغوية تعليمية في كون هذه الوظيفة "أداة تأثير من حيث مخاطبة الفكر والمشاعر بشكل يجعل المتلقي يستخلص الغايات الترفيهية والبيداغوجية للعرض المسرحي، وذلك لما له من قدرة إقناع وضغط سيكولوجي على ذهنية المتلقي"[37].

إن المشاركة اللغوية والنفسية والاجتماعية تعمل مشتركة في سبيل خلق جو تعليمي تعلمي والإقبال لدى المتعلم على العمل المسرحي وبالتالي تطوير المهارات اللغوية وفق استراتيجية فعالة للعملية التعليمية التعلمية.

6. **أهداف المسرح المدرسي:** يهدف المسرح المدرسي في عمومه إلى جملة من الأهداف النفسية والتربوية والاجتماعية ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- تدريب الطفل على النطق ومعالجة عيوب الكلام مع تعليمهم النطق الصحيح والإلقاء الحسن وتنمية الثروة اللغوية.
- استثارة خيال الطفل وتنمية مواهبه وقدراته الإبداعية والفكرية.
- زرع مختلف القيم الدينية والوطنية والاجتماعية...

---

[36] نجيب، أحمد، **فن الكتابة للأطفال**، ص: 210.

[37] بدري، عبد الكريم، **التقنية المسرحية**، (الجزائر: وزارة الاتصال والثقافة، الصندوق الوطني لترقية الفنون، 2001م)، ص:65.

- تعزيز الانتماء الوطني لدى الطفل.
- زرع البهجة والمتعة في نفوس الأطفال.
- زرع الثقة بالنفس بمواجهة الذات والجمهور.
- الإسهام في تهذيب سلوك الأطفال وتوجيهها نحو الأفضل.
- توعية الطفل اجتماعيًا ووجدانيًا وفكريًا...
- تربية التصرفات الاندفاعية عن طريق تعليمه كيفية الجلوس والمشي والتعامل مع الآخرين...

7. **التوصيات المقترحة:** فيما يلي وبناء على ما سبق حاولنا أن نخرج ببعض التوصيات لتعزيز الحس الإدماجي لدى الأطفال، نذكر منها:

- ضرورة إحياء مسرح الطفل عامة والمدرسي خاصة، مع ضرورة تعزيز مكانة المسرح وإدراجه كمقياس يدرس في المؤسسات التربوية (مسرحة المناهج).
- إنشاء مسرح متنقل بين المؤسسات التربوية، مع إقامة منافسات مسرحية (كتابة النصوص المسرحية، الأداء).
- تكييف المسرح والفئات العمرية الموجهة للمتمدرسين.
- توظيف المسرح للفنون الأخرى كالموسيقى والرسم والإلقاء لتنمية ملكة الذوق وإدماجه في المجتمع بدون عقد.
- الاهتمام بمعايير العمل المسرحي بالمؤسسات التربوية.

خاتمة البحث:

في خاتمة هذه المقالة يمكننا القول إن للمسرح المدرسي دورًا أساسيًا في تكوين شخصية الطفل وتنشئته اجتماعيًا، إذ يعد نقطة التقاء بين مختلف فئات المجتمع وهمزة وصل بين الأسرة والمدرسة والمجتمع في الآن ذاته، كما يعتبر بشكل عام مركز إشعاع فكري وثقافي وحضاري واجتماعي، وبذلك يعد مؤشرًا بارزًا لقياس تقدم وتطور الأمم، ومرآة عاكسة للوعي الثقافي وتربية الأجيال. وبذلك يسعى المسرح إلى إثبات التفاعلية بين المتلقي والباث من خلال عمليات عقلية ونفسية لأن

العمل المسرحي وحدة تكاملية فيما بينها وبين مختلف عناصر العرض المسرحي وفي علاقته بين الجمهور والمتعلم، حيث يعتبر هذا الأخير حجر الأساس بصفته مشاهدا وفاعلا. ضف إلى ذلك المسرح المدرسي استراتيجية من استراتيجيات التدريس الحديثة، وذلك لأن له الأثر الجلي في تنشئة الطفل ودمجه في المجتمع من جهة، وتنمية المهارات اللغوية من جهة أخرى، كيف لا و هو-المسرح- المعلم الأول وخير دافع إلى تقويم السلوك بصفة عامة.

وانطلاقا مما سبق وبعد أن أصبحنا على دراية بأهمية المسرح الإدماجي، فهل سنبادر إلى غرس الشغف بالمسرح في نفوس أطفالنا؟؟؟ باحثين عن اعتلاء مصاف التطور، متباهين بذلك لننتقل من ركود إلى رقي فكري وحضاري، مطبقين بذلك مقولة أعطني مسرحا أعطك أمة، فتصبح المفارقة مرافقة على حدود التفعيل لا التنظير. عسى أن يكون ذلك قريبا.....

المصادر والمراجع:

- أبو الرضا، سعيد، النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره ومهامه) رؤية إسلامية، الإسكندرية: مركز الدلتا للطباعة، 1990م.
- أبو مغلي، لينا نبيل، الدراما والمسرح في تعليم النظرية والتطبيق، الأردن: دار الراية للنشر والتوزيع، 2008م.
- أكويندي، سالم، ديداكتيك المسرح المدرسي، المغرب: دار الثقافة، 1994م.
- بدري، عبد الكريم، التقنية المسرحية، الجزائر: وزارة الاتصال والثقافة، الصندوق الوطني لترقية الفنون، 2001م.
- البقاعي، إيمان، المتقن في أدب الأطفال والشباب، بيروت: دار الرّاتب.
- بوشلالق، عبد العزيز، المسرح في المنظومة التربوية الجزائرية- دراسة تحليلية لمناهج اللغة العربية-، مذكرة ماجستير (مخطوط)، جامعة المسيلة، 2009م.
- الحديدي، علي، في أدب الأطفال، القاهرة: مكتبة أنجلو المصرية، ط2، 1999م.
- الحوامدة، محمد فؤاد، أدب الأطفال فن وطفولة، عمّان: دار الفكر، ط1، 2014م.

- خليفة، محمود، المسرح المدرسي، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2007م.
- دياب، مفتاح محمد، مقدمة في الثقافة وأدب الطفل، القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 1995م.
- زلط، أحمد، أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، القاهرة: دار هبة النيل للنشر والتوزيع، ط1، 1991م.
- سيسيليا، ميرايل، مشكلات الأدب الطفلي، تر: مها عرنوق، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1997م.
- صالح، أحمد زكي، علم النفس التربوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1965م.
- عبد الرزاق، جعفر، موقف الطفل إزاء الثقافة، سوريا: منشورات منظمة طلائع البعث، 1985م.
- عبد الله حسن منصور آل عبد المحسن، أساسيات أدب الطفل، دار الشرق، 2007م.
- عطا، إبراهيم محمد، عوامل التشويق في القصة لطفل المدرسة الابتدائية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1994م.
- عيسى، فوزي، أدب الأطفال، الشعر -مسرح الأطفال- القصة- الأناشيد، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1998م.
- كنعان، أحمد علي، أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، مجلة جامعة دمشق، سوريا، المجلد 27، العدد الأول والثاني، 2011م.
- اللبدي، نزار وصفي، أدب الطفولة واقع وتطلعات، الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، ط1، 2000م.
- إلياس، ماري، وحنان قصاب، المعجم المسرحي مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض،بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997م.
- المتيني، أحمد، أصول مقومات مسرح العرائس، القاهرة: الجهاز المركزي للكتاب الجامعي، 1982م.
- مجموعة من المؤلفين، دليل استخدام كتاب "اللغة العربية" السنة الثانية من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، الجزائر: أوراس للنشر.
- مرعي، حسن، المسرح المدرسي، بيروت: دار ومكتبة هلال، ط1، 1993م.

- مصطفى، فهيم، أنشطة ومهارات القراءة في المدرسة الابتدائية، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ط1، 2013م.
- مقبل، فهمي توفيق، النشاط المدرسي، دمشق: دار المسيرة، 1978م.
- نجيب، أحمد، فن الكتابة للأطفال، بيروت: دار اقرأ، ط1، 1986م.
- الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.
- يونس، أمل عبد الكريم قاسم، تنمية السلوكيات الاجتماعية الإيجابية لطفل الروضة باستخدام مسرح العرائس، القاهرة: المكتب العربي للمعارف، ط1، 2014م.

حقوق الطفل في أدبه

قراءة في رواية "منير.. الأبيض لا يليق بكم"

د. طارق البكري*
Email: docbakri@yahoo.com

ملخص البحث:

نظرًا لاهتمامي بأدب الطفل وحقوقه؛ أصدرت عدة روايات للناشئة والشباب، وأحسب هذه الرواية أول رواية من نوعها للناشئة تتعلق بحق الطفولة بالرعاية الصحية والمساواة بعيدًا عن الإهمال والخطأ. صدرت بأكثر من عشر طبعات رسمية خلال فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات، فضلاً عن توزيع آلاف النسخ الإلكترونية منها، وانتشارها في بعض المواقع ويتم تنزيلها مجانًا.

إن مرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة، ففيها تبدأ شخصية الإنسان في التكوّن والتأسس، لهذا كان الاهتمام بالطفل من أهم الأهداف التي يجب على الدول والمؤسسات والأفراد السعي لتحقيقها، فهو أمانة ويجب رعايته وتربيته وتنشئته التنشئة الصالحة. وحقوق الطفل لا يمكن إهمالها أو التغاضي عنها، ومنها حقه في العناية الصحية والرعاية النفسية الكاملة، في أي وقت وفي أي مكان يكون في حاجة إلى تلك العناية والرعاية.

كلمات مفتاحية: منير، حقوق الطفل، الرعاية الصحية، الخطأ الطبي.

Abstract:

I have recently written several novels for children and teenagers, because of my interest in children's literature and children's rights, but I consider this novel "Muneer.. Al Abyaz la yaliqu bekum" the first novel of its kind for children and teenagers related to their rights in health care and equality. More than ten editions of this novel have published in different Arab countries over three years, and it has been distributed in public libraries, schools and universities, besides thousands of electronic copies. In addition to that, this novel is available on many websites where it can be downloaded free of cost.

* أستاذ أدب الطفل في كلية التربية الأساسية، الكويت.

There is no doubt that childhood stage is one of the most important and critical stages of life, in which the human personality begins to develop. Therefore, child's care and upbringing must be the most important goal which any country, institution or individual must strive to achieve. And their rights can not be ignored or condoned, including health care and mental care, anytime and anywhere he needs that care.

الطفل من حيث اللغة، فهو في اللسان "الصغير من كل شيء"[1] وشبيه ذلك في القاموس[2]. وحدد المعجم الوسيط الطفل بأنه: "المولود ما دام نعمًا رخْصًا[3]، والولدُ حتى البلوغ"[4]، وفي معجم اللغة العربية؛ "جئتُه والليل طفلٌ، أي في أولِه.. وعشبٌ طفل، أي لم يطل"[5].. وفي الاصطلاح؛ هو "الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد بعد"[6]. وتشير المادة الأولى من اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل إلى أن الطفل هو من "لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه"[7].

ويعتبر كثير من المتخصصين أن "مرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة عند الإنسان وأكثرها خطورة، فهي تتميز عن غيرها بصفات وخصائص واستعدادات، وهي أساس لمراحل الحياة التالية "[8].

وقد اتبعت في هذا البحث جانبًا متصلاً بالمنهج الوصفي التحليلي[9]، باعتباره مناسبًا لهذا النوع من الأبحاث القصيرة، وهو يهتم بتحديد الواقع، وجمع الحقائق عنه، وتحليل بعض جوانبه، بما يساهم في العمل على تحسينه وتطويره.. والرواية[10] تركز على حق

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**،ج11، (بيروت: دار صادر، 2008م)، ص: 401.

[2] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ج4، (بيروت: دار الجيل، ط1، 1995م، ص: 7.

[3] الرخص هو الشيء الناعم (ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص: 40.

[4] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ج2، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2،)، ص: 506.

[5] مجموعة مؤلفين، **معجم اللغة العربية**، ج6، (بيروت: دار المحيط، ط1، 1995م)، ص: 860.

[6] مجموعة مؤلفين، **دائرة المعارف العالمية** world book Encyclopedia، ج15، نشر وترجمة مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1996م)، ص: 592.

[7] https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CRC.aspx

[8] بريغش، محمد حسن، **أدب الأطفال أهدافه وسماته**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1997م)، ص: 14.

[9] أبو النصر، مدحت، **قواعد ومراحل البحث العلمي**، (القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2004م)، ص:131.

[10] البكري، د.طارق، **منير.. الأبيض لا يليق بكم**، (الكويت: المؤلف، ط11، 2019).

الطفل في الرعاية الصحية، وما قد يتعرض له من أخطاء طبية، وما يستتبع ذلك من تقارير مغلوطة تؤدي إلى ضياع حق الطفل المريض، والذي ربما قد يتوفى نتيجة أخطاء طبية، أو جراء إهمال أو تقصير. كما أن الرواية تتعرض في جانب منها إلى الناحية القانونية، وما استتبعها من نقاش قانوني وحقوقي.

ويعود سبب اختيار موضوع البحث إلى ما نراه من حين لآخر من أخطاء طبية يتعرض لها المرضى عمومًا، والمرضى الأطفال خاصة، ولا شك أن الطب كما قالت المحامية ليلى الراشد في تقديم الرواية: "مهنة إنسانية، وجدت لِمساعَدة البَشر والأخذِ بيدهم ليعيشوا بلا آلام ولا أنَّات.. لكن أن تتحوَّل إلى مصدر للأحزان والدموع.. وأنْ تفقدنا أغلى الناس عندنا، وتحرمنا منهم إلى الأبد، نتيجة إهمال أو خطأ طبي؛ فهنا تنحرف المهنة عن أهدافها السّامية"[11].

وتبرز أهمية البحث من حق الطفل في الحماية والرعاية التامة، وضمان حقوقه وتمتعه بها وعدم تعريضه للخطر.. ولعل هذا ما استدعى أن تستحوذ الرواية على اهتمام كثير من المتخصصين، ومنهم من دعا لتكون جزءً من المقررات الدراسية في الكليات الطبية المختلفة، لكي يتعلم طلاب الطب وطلبة العلوم الطبية والتمريض، حيث شكلت الرواية بنظر البعض منهم "فرصة نادرة للتأمل والتفكر الأخلاقي المهني فيما كان وما يجب أن يكون.. كما تقدم لهم الأمل في أن يتعلموا منها ويجتهدوا ويعملوا ويبدعوا حتى يليق بهم الأبيض"[12]، فيما نصحت طبيبة متخصصة زملاءها وزميلاتها "من أصحاب الرداء الأبيض؛ بأن يقرأوا هذا الكتاب ويستفيدوا منه لتلافي الأخطاء الطبية"، متسائلة: "هل تحولت المستشفيات إلى مقابر من نوع جديد؟ وهل تحول ترولي نقل المريض داخل المستشفى إلى نعش متحرك يحيط به أصحاب الرداء الأبيض؟"[13].

---

[11] المصدر نفسه، ص: 6.

[12] بوحيمد، د. منال منصور، رسالة لأبنائنا من مقدمي الرعاية الصحية مستقبلاً من طلبة وكليات العلوم الطبية والتمريض، بتصرف، من مقدمة رواية: (منير.. الأبيض لا يليق بكم)، المصدر نفسه، ص: 4.

[13] الشومر، د. هند، **منير والأخطاء الطبية**، جريدة الأنباء، الكويت، تاريخ العدد: 30 أكتوبر 2017م، www.alanba.com.kw.

حقوق الطفل وأدبه:

تبنّت الأمم المتحدة الميثاق العالمي للحقوق المدنية والسياسية (ICCPR) عام 1966م، ومن الحقوق العامة التي تنطبق على الأطفال[14]: الحق في الحياة والحماية والتحرر من التعذيب، ومن المعاملة أو العقاب القاسيَين والحق بالتحكيم السريع، والحصول على معاملة ملائمة لأعمارهم. وأقرّت الأمم المتحدة مجموعة من الحقوق اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة 44/25 المؤرخ في 20 نوفمبر 1989م.

وتعتبر منظمة اليونيسف[15] أن اتفاقية حقوق الطفل هي الصك القانوني الدولي الأول الذي يلزم الدول الأطراف من ناحية قانونية بدمج السلسلة الكاملة لحقوق الإنسان، أي الحقوق المدنية والسياسية، إضافة إلى الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وتقول إن الاتفاقية حققت القبول العالمي تقريبًا، وتم التصديق عليها حتى الآن من قبل 193 طرفًا.. وتتضمن 54 مادة، وبروتوكولين اختياريين.

وتشير الاتفاقية (المادة 24 الخاصة بالجانب الصحي)[16] إلى: أن الدول الأطراف تعترف بحق الطفل في التمتع بأعلى مستوى صحي يمكن بلوغه وبحقه في مرافق العلاج وإعادة التأهيل الصحي، وتبذل الدول قصارى جهدها لتضمن ألا يحرم أي طفل من حقه في الحصول على خدمات الرعاية الصحية هذه.

ماهية أدب الطفل:

يأتي دور أدب الطفل ليبرز في جانب مهم منه ضرورة رعاية حقوق الطفل والتركيز عليها، ولا سيما في روايات اليافعين، لما لها من تأثير كبير على الناشئة، ويكون التأثير أكبر إذا كانت التجارب الحقوقية واقعية، وشخوصها في سن متقارب مع

[14] انظر: ميثاق حقوق الطفل.https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CRC.aspx

[15] انظر: https://www.unicef.org/arabic/crc/34726_50765.html

[16] https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CRC.aspx

القراء اليافعين.. وهو ليس مجرد شكل فني عام[17]، فخيوطه متداخلة متشابكة لا يمكن فصلها ببساطة.. بل يستحيل.

وكلمة أدب ترتبط بالأخلاق والتربية وكذلك الحقوق، والأدب كما عرفه القدماء "هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف"[18]، أي كان الأدب عندهم بمعنى الثقافة.. وبمفهومه الفني الحديث "يختلف عن مفاهيم عديدة التصقت به عبر تاريخ الأدب العربي، لغةً واصطلاحًا، مثل معاني التأديب وتهذيب الخصال وإصلاح السلوك واكتساب العادات الحميدة، وهو في النهاية مجال تعبيري مكتوب، له فنونه النثرية والشعرية، مجال رحب محبب إلى النفوس ويستأثر بالقلوب، ويستهدف تنمية الوعي والشعور والأحاسيس"[19].

وأدب الأطفال يشبه أدب الكبار مع مراعاة حالة المستقبلين الأطفال ومستوياتهم الفكرية والنفسية، ولكنَّ "أدب الأطفال وإن اعتبرناه رافدًا للأدب بعامة، إلا أن له شخصيته وهويته، ورغم اتفاقه مع أدب الكبار في المبادئ العامة، إلا أنه يملك مقاييس جمالية خاصة"[20]، وهذا ما قد يجعله متفردًا في ذاته، وله مكانته العلمية المتجددة. وهو على العموم: "ذلك العمل الفني الإبداعي المكتوب أصلاً للأطفال حسب سنهم وخبراتهم، وكونه موجهًا للأطفال لا يحول دون تمتع النص بكفاءة فنية، متمثلة في جمال الأسلوب وسمو الفكرة، فثمة أعمال أدبية أنشئت في الأصل للصغار وأقبل عليها الكبار بمزيد من الدهشة والانبهار"[21]. ويرى بعض الباحثين[22] أن

---

[17] انظر: البكري، طارق، **كامل كيلاني رائدًا لأدب الطفل العربي، قراءة في اللغة والمنهج والأسلوب**، (لبنان: دار الرقي، ط1، 2006م)، ص: 2.

[18] ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) المقدمة، (تونس: دار المعارف ط1، 1991م)، ص: 319.

[19] زلط، أحمد، **أدب الطفولة.. أصوله ومفاهيمة رؤى تراثية**، (القاهرة: الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط4، 1997م)، 19- 20.

[20] الحديدي، علي، **في أدب الأطفال**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1992م)، ص: 100.

[21] القديري، ممدوح، **أدب الطفل العربي**، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، ط1، 1999م)، ص: 12.

[22] نجيب، أحمد، **القصة في أدب الأطفال**، (بيروت: دار الحدائق، ط1، 2000م)، ص: 17.

أدب الأطفال بمعناه العام يعني الإنتاج العقلي المدوَّن في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة.

وفي الغرب هناك من يرى أن أدب الأطفال "مجموعة الكتابات التي يعتبرها الأطفال خاصة بهم، ولذلك فهو يضم كتب الأطفال بأنواعها المختلفة ومجلاتهم وصحفهم وما يكتب لهم في صحف الكبار ومجلاتهم، وغير ذلك"[23]، ويؤيد ذلك قولهم: إن أدب الأطفال "تصوير للحياة والفكر باستخدام اللغة على أن يكون ذلك بما يناسب مستوى الأطفال، وبذلك يحتوي على جميع ما يكتب للأطفال في مختلف المجالات"[24]، كما أنه "كل ما يقرأه الأطفال بشرط أن يكون مناسبًا لفهمهم وخبراتهم وانفعالاتهم"[25].

ما بين الخطأ والإهمال:

الخطأ هو :"ما ليس للإنسان فيه قصد"[26]، وبحسب تعريف المعهد الطبي الأمريكي هو "الفشل في إتمام عمل مقصود على الوجه المقصود، أو استعمال عمل خاطئ لتحقيق هدف ما"[27]، ويُعرّفه البعض بأنه انحراف الطبيب عن السلوك الطبي العادي والمألوف، وما يقتضيه من يقظةٍ وتبصّر إلى درجة يُهمل معها الاهتمام بمريضه، أو هو إخلال الطبيب بالواجبات الخاصة التي تفرضها عليه مهنته[28]، وهو ما يسمى بالالتزام التعاقدي.

---

[23] Betzner, Sean, 1956, Exploring Literature With Children, New York. Teachers College, Columbia University,P.4.

[24] Anderson, William and Groff, Patrick, 1972, A New Look at Children's Literature California: Belmont Wadsworth Publishing Company,P.3.

[25] Huch, Charllots, 1976, Children's Literature in the Elementary School. New York: Holt, Rinhart and Winston,P.5.

[26] الجرجاني، عبدالقادر، **التعريفات**، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م)،ص: 85.

[27] تقرير معهد الطب الأمريكي 1999(TOERR IS THAMAN. NOVEMBER) أشار إليه: وسيم فتح الله: **الخطأ الطبي وآثاره**، القاهرة: النهضة العربية، ط1، ص: 8.

[28] بيطام، د. سميرة، **الخطأ الطبي بين التجريم والتبرئة**، مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب www.wefaqdev.net ، تاريخ النشر: 29 ديسمبر 2015م، تاريخ الزيارة: 28 نوفمبر 2019م.

وقيل إنه "عدم قيام الطبيب بالالتزامات الخاصة التي تفرضها عليه مهنته، ذلك لأن كل من يباشر مهنته تستلزم دراية خاصة يعد ملزمًا بالإحاطة بالأصول العلمية التي تمكنه من مباشرتها"[29]، وقيل إن "كل تقصير أو إهمال أو خروج من الطبيب في سلوكه على القواعد والأصول الطبية المتبعة"[30].

وموضوع الأخطاء الطبية ليس بجديد[31]، وتم الاهتمام به بشكل جيد عام 1990م حينما قامت الحكومة الأمريكية بالتحري إزاء خطأ طبي وقامت بنشر نتائج التحقيق، وكان أول تقرير رفع من طرف المنظمة الطبية (Institute of Medicine) عن الأخطاء الطبية عام 2000م، وتضمن إحصائيات لعدد من الأشخاص الذين يتوفون سنويًا في الولايات المتحدة.

ومسؤولية الخطأ الطبي قد تكون جماعية مشتركة وليست فردية، والخطأ قد لا يتعلق بالأفراد وإنما بالنظام الذي سمح بوصول الخطأ للمريض، والقضاء استقر على ضرورة أن يكون الخطأ الطبي واضحًا وثابتًا بصورة قاطعة، وأن الطبيب مسؤول عن جميع أخطائه مهما كان نوعها، سواء كانت يسيرة أم جسيمة، عادية أم فنية، فهو المسؤول عن كل تقصير، والقاضي وحده له الحق في تقدير الخطأ الطبي[32].

ويجدر التنبه إلى ضرورة الفصل بين المسؤولية عن الأخطاء الوارد حدوثها والمسؤولية التقصيرية[33]، وكذلك المضاعفات التي يمكن أن تحدث ولا يكون للطبيب فيها أي مسؤولية، وبين موضوع أخطر من الأخطاء الطبية، وأقصد به موضوع الإهمال الطبي المتعمد أو نتيجة تقصير أو عدم مبالاة أو تركيز، وعدم إعطاء الطفل الوقت الكافي لدراسة المرض والتشخيص السريع، وعدم التسرع بالعلاج، ووضع خطة

---

[29] زيدان، سلام، **مسؤولية الطبيب الجزائية**، (بغداد: دار الكتب والوثائق، ط1، 2016م)، ص: 108.

[30] فايد، محمد، **المسؤولية الجنائية للأطباء**، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1987م)، ص: 224.

[31] المصدر نفسه، باختصار.

[32] بيطام، د. سميرة، **الخطأ الطبي بين التجريم والتبرئة**، بتصرف.

[33] عساف، وائل تيسير محمد، **المسؤولية المدنية للطبيب: دراسة مقارنة**، أطروحة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008م، انظر: 13.

واضحة تؤدي إلى الشفاء بإذن الله مع الوضع في الاعتبار حصول مضاعفات خارجة عن إرادة الطبيب.

وهذه القضايا في حال حدوثها تمثل انتهاكًا صارخًا لحق الطفل في الرعاية الطبية الكاملة، حيث إن أي إهمال أو قصور يؤدي إلى تدهور في صحة الطفل المريض، وربما تؤدي إلى الوفاة كما حدث مع بطل رواية (منير.. الأبيض لا يليق بكم).. دون أن نغفل عما حدث بعد ذلك من محاولة طمس القضية، وتضييع حقوق الطفل ومن شابهه من الأطفال المرضى الآخرين الذين قد يتعرضون للمشكلات نفسها لكن لم يجدوا من يوثق ما جرى لهم.

الأبيض لا يليق بكم:

كتب المؤلف (الأب/الشاهد) سابقًا العديد من الروايات والقصص المتنوعة الأهداف والأحجام والأفكار، ومعظمها كان موجهًا للأطفال والناشئة، ولم يحسب أنه سيأتي يوم ويكتب فيه رواية يتكلم فيها عن مأساة حقيقية حدثت مع طفل له في سن اليفاعة، كتب الرواية والجرح نازف، وحرص على أن تكون واقعية جدًا.. وأدبية جدًا، وهنا كانت المفارقة الشديدة الصعوبة. وطبعت الرواية أول مرة بعد نحو ستة شهور من وفاة ولده، قضاها في تدوين وتسجيل وتحري المعلومات، حتى خرجت الطبعة الأولى والثانية في لبنان، ثم طبعت في عدة دول عربية منها الأردن والكويت والإمارات العربية والجزائر وسوريا.. وانتشرت في مختلف الدول العربية، وكتب عنها كثير من الباحثين والنقاد.

طبعت الرواية عشر مرات، ثمان منها كاملة، ومرتين باختصار لتكون مناسبة لسن أصغر، وفي صيف 2019م طبعت في نسخة جديدة موسعة، تضمنت إلى جانب القصة الرئيسية تفاصيل القضية من الناحية القانونية، وحكم القضاء، وتقارير الأدلة الجنائية، ومكتب المحاماة، واللجنة الطبية التي تم تشكيلها بطلب من المحكمة، حيث تم تقديم معلومات خاطئة بنظر الأبوين والشهود، أدت إلى أحكام رأتها الرواية خاطئة، باعتبار المؤلف شاهدًا على ما حدث ولم يستطع إثبات الوقائع رغم وجود الأدلة والبراهين، فيما لم يقتنع بها القاضي، متجنبًا استدعاء الشهود،

واعتبار كل ما قدم "أدلة مصطنعة"، واعتبر أنه: "لا يحق للمدعي اصطناع الأدلة"، ما استدعى الأب؛ ككاتب روائي وشاهد على الأحداث، أن يعيد كتابة الرواية لتكون مرجعًا توثيقيًا لحدث مهم جدًا، سقطت معه حقوق طفل توفي في المستشفى نتيجة مجموعة من التشخيصات الخاطئة والأدوية التجريبية الكثيرة الخاطئة والرعاية غير الدقيقة.

وهو يرى أنه لم يتم التحقيق في القضية بشكل جدي، فيما تم تأخير إجراءات التحقيق كثيرًا، ربما في محاولة لطمس القضية، وما يؤكد ذلك التلكؤ الكبير في تشكيل لجنة التحقيق وعدم إجراء تحقيق جدي مع رفض لجنة الخبراء وجود محامي المدعي، كما أنه لم تكن هناك استجابة سريعة للتحقيق، مع إغفال كثير من المعلومات والوقائع التي سجلت في تقرير لجنة التحقيق المقدم للمحكمة، عن قصد أو غير قصد، وإن كان لا يمكن الجزم بذلك، لأنَّه لا يمكن الاطلاع على النوايا، غير أن ما جرى قبل وخلال وبعد التحقيق من محاولة لطمس القضية، وعدم إعطائها حقها في البحث والتنقيب والسرعة اللازمة، أضاع حق الطفل، وجعل القضية في مهب الريح.

وبالعودة إلى الرواية التي صدرت في طبعتها الحادية عشرة وعلى صدر غلافها صورة الطفل الذي توفي قبل أن يبلغ السادسة عشرة من عمره، حيث قضى في المستشفى سبعة أشهر كاملة من 31-12-2014م حتى وفاته في 28-7-2015م. والرواية في هذه الطبعة مؤلفة من 192 صفحة، جاء في صفحتها الأولى أنها (الرواية الكاملة)، وأنها: "رسالة بيضاء إلى معشر الأطباء ورجال القانون".

اعتبرت الباحثة المصرية انتصار عبد المنعم تحت عنوان: "الأبيض لا يليق بكم.. رسالة خالدة وبشر زائلون"[34]، أن الرواية "معجونة بالدم"، وأن الأحداث تتوالى من خلال ليلى (شقيقة منير في الرواية) في استرجاع لما حدث مع شقيقها، بداية من دخوله المستشفى لغاية خروجه من الحياة، وتبين أن التخييل جاء في الشخوص وليس في

[34] عبد المنعم، انتصار، **الأبيض لا يليق بكم.. رسالة خالدة وبشر زائلون**، ميدل إيست أون لاين https://meo.news، تاريخ النشر: 16 يوليو 2019م، تاريخ الزيارة: 30 نوفمبر 2019م.

الأحداث، وأن التجارب مع المرض كانت موضوعًا لعدد غير قليل من الأعمال الأدبية، كتب روائيون وشعراء تجاربهم توثيقًا للحظات الألم التي انتهت بالشفاء وتجاوز المحنة، أو تخليدًا لذكرى مرورهم السريع بالحياة.

وترى أنَّه عندما يصم الأطباء آذانهم عن أنين المرضى، وتتبلد مشاعرهم ساخرين من وجع وحزن قلوب الآباء والأمهات على أحبتهم، وعندما تتبدل طرقهم في التعامل مع المريض وأهله وفقًا للمستشفى ما بين عام حكومي وخاص، وعندما يصم المسؤولون والقضاة آذانهم، ولا يسمعون شكاية المظلوم رغم ما يقدم من أدلة تشير إلى الجناة القتلة، تجيء الكتابة كحل وحيد تتيح سرد المظلمة، وعرض القضية بصورة كاملة، وذكر ما رفض الجميع سماعه في الوقت المناسب، و"رغم أن الرواية حقيقية الأحداث، إلا أنها تتخذ الشكل المعتاد للرواية بما فيها من التخييل المتعلق باختراع شخصيات تجيء على ألسنتهم وقائع ما جرى لمنير، مثل شخصية ليلى وعامل النظافة، أي أن التخييل جاء في الشخوص وليس في الأحداث"[35].

والرواية "تبدأ بليلى الطبيبة الجوالة ابنة بائع الملابس القديمة الجوال، التي تطوعت لتعالج المرضى في أنحاء متفرقة من العالم، رفقة زميلها الطبيب الجراح عاصم الذي أصيب بشظية في رجله اليمنى في مخيم للنازحين، وكلاهما عاشا الحروب وشاهدا الضحايا.. ثم تتوالى الأحداث من خلال ليلى في استرجاع لما حدث مع شقيقها منير، وكيف أن القاضي رفض سماع شهادتها كاملة وقاطع حديثها، فما كان منها إلا أن قررت كتابة ما كانت تريد قوله في رسالة توجهها للقاضي لأنها "موقنة بأن قلب القاضي أرق من جناح فراشة"، فكتبت: "لك الحق كاملاً فيما تقضي، ولا أزعم غير ذلك، لكنه أخي يا سيدي، أخي.. فتحوا بطنه دون أن يخبرونا، حقنوا عنقه بأدوية لا حصر لها.. أهانوه واحتقروه وأهملوه، صنعوا من جسده مسرحا للتجارب الفاشلة ولعبة لكل واهم بأنه أفضل طبيب في الدنيا وأكثر فهما من غيره...."[36].

[35] المرجع نفسه.

[36] المرجع نفسه.

ولكن كان "الحكم مبرمًا ولن يتغير"، مهما قدموا من أدلة على خطأ أطباء لا يليق بهم اللون الأبيض، ولذلك كان إهداء الرواية موجهة إلى كل طبيب يليق به الأبيض، وإلى كل من فقد حبيبًا بخطأ طبي، بل هي رسالة بيضاء إلى معشر الأطباء ورجال القانون.

وأشارت كاتبه المقال إلى أن ليلى قررت في الرواية أن تعمل على تغيير مسار حياتها، وأن تكون طبيبة حاذقة مخلصة لعملها، حتى يليق بها اللون الأبيض فعلاً وقولاً.. ومن خلالها تتوالى بالتدريج قصة معاناة منير ما بين تشخيص خاطئ للمرض وأدوية ضلت طريقها إلى مريض آخر لتستقر في عنق منير أو في يده أو في معدته، فيما هو راقد لا يستطيع دفع الضر عن نفسه.. أليس في ذلك أكبر انتهاك لحقوق الطفل؟

وتتضمن الرواية تفاصيل ما جرى للفتى الغض الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، ومعاناة الأسرة من التعامل غير الإنساني لبعض الأطباء الذين يشخصون المرض من غير الكشف على المريض أو الحضور إلى غرفته لمعاينته، وتعالي بعضهم على وجع المريض، وسخرية بعضهم من أحزان وقلق أبيه وأمه، ورفضهم العمل لتسهيل سفره للعلاج بالخارج عندما سنحت له الفرصة، وعدم البدء بالتحقيق إلا بعد عامين من وفاته. ورغم ذلك نجد أن ليلى لا توجه أصابع الاتهام للقضاة أو كل الأطباء، بل كانت موضوعية بحيث ذكرت النماذج الإنسانية الطيبة التي يليق بها البياض، حتى وإن كانت قليلةً جدا.

وكتب الدكتور كمال رشيد، أستاذ الأدب الحديث ونقده في جامعة البلقاء التطبيقية الأردنية، قائلاً: إن الرواية تخالف كل الروايات بكل أنواعها وأطيافها، فلا تجنح إلى لغةٍ أدبية مجازية، ولا إلى زخرفة لغوية ساحرة، وإنما تعتمد لغة تقريرية مباشرة لتقرر حقيقة ما، فتستغني عن المقدمة والتقديم والاستهلال الوصفي، وتبدأ بحوار يؤرخ بداية المرض والمعاناة، من مرض بسيط إلى أمراض شتى تتشكل وتتنامى بفعل أخطاء طبية متعددة، بسبب إهمال وتقصير من أطباء وممرضين يلبسون اللباس الأبيض، لذا تبدأ الرواية بالحوار، وتبدأ الحكاية بالتشكل والظهور تباعًا، من زمان ومكان وشخوص وأحداث.

وقال إن الرواية تتحدث عن الأخطاء الطبية التي تسود في الأوساط الطبية والمستشفيات العربية التي لا تؤدي إلى الشفاء، بل إلى عاهة دائمة، أو إلى قتل، وسرعان ما تموت القضية بموت صاحبها. ومن هنا نجد الموضوع يشفع لهذه المباشرة والتقريرية أن تسود صفحات الرواية، لتعبر عن صرخة ألم، وعن فضح المستور، ونقل القضية إلى الرأي العام.

و"هكذا يتصدى الأديب لهذه القضية، وهو يروي القصة الحقيقية لنجله منير، وقد كان ضحية لهذه الأخطاء الطبية الفادحة، يأتي ليروي الحكاية بدمع عينيه وبنبضات قلبه المكلوم، فيوثق ويؤرخ لحالة تشابه حالات، ويدوّن حكاية تحاكي حالات، هنا وهناك، في المشافي الطبية، ويجعلها صرخة مدوية، ويجعل من قضيته قضية رأي عام، وهي ما يجب أن تكون"[37].

ويشير إلى أن الرواية تمتاز رغم مباشرتها بجماليات أدبية متعددة، ويبدأ بالعتبة الأولى حيث العنوان والذي يعد الاشتباك الأول بين القارئ والنص، فنجد العنوان عنوانين: [منير] عنوانًا رئيسًا، وجملة "الأبيض لا يليق بكم".. فـ"منير": اسم فاعل، وهو مصدر للنور، حيث كان أو حيث أشير إليه، إذ يكون اسمًا ويكون عاكسا على الأشياء، والأبيض: حيث كان يكون منيرًا أيضًا، وعندما نقرأ العنوانين معًا فعندها تحدث المفارقة والتنافر.

كما أن جملة "الأبيض لا يليق بكم" تعد تناصًا مع عنوان لرواية أحلام مستغانمي [الأسود يليق بك]، وهذا العنوان إذ يتناص مع ذاك العنوان ويحاكيه إلا أنه يخالفه قلبًا وقالبًا، فإذا كان فضاء أحلام مستغانمي رومانسيًا؛ فإن الفضاء هنا يتحدد بمكان واحد وهو المستشفى، وأبطاله من الأطباء والممرضين، وإذا كان الأسود في رواية مستغانمي يحل بحلة جمالية، فإن الأبيض في هذه الرواية يحل بحلة سوداوية، وإذا كان فضاء الرومانسية لأحلام قد فرض لغة رومانسية شاعرية، فإن لغة البكري جاءت مباشرة تحاكي العامة لا الخاصة، وهنا نجد المفارقة خير مفتاح للدخول إلى هذه الرواية.

[37] رشيد، د. بلال كمال، **المفارقة في رواية منير (الأبيض لا يليق بكم)** الصدى.نت http://elsada.net

ويضيف أنه ومن خلال قراءة التنويه الذي سبق النص نقرأ: [الرواية خيالية وأي تشابه بينها وبين الواقع مصادفة]، غير أن الرواية حقيقية فاقت الخيال، مما يجعل هذه الجملة التنويهية مقصودة بحد ذاتها، مما يفرض تلك المفارقة بين الواقعي والخيالي، والواقعي والمثالي، والقبح والجمال.

كما يجد الكاتب العنوان بألفاظه: [منير.. الأبيض لا يليق بكم] هي أكثر الألفاظ تكرارًا وتوظيفاً في الرواية، ولا تصبح لفظة منير اسمًا لمسمى فقط، وإنما تصبح لفظة دالة لها معنى، تحاكم الأسماء الظاهرة والمستترة الأخرى، ويصبح هو الضمير الحي الحاضر، أو الغائب أو المغيب، هو الذات والموضوع، هو المحكي عنه والحكاية التي تروى ويجب أن تروى، حتى لا تكون هنا ضحية أو هناك.

وكما يكون (الأبيض) لونًا دالاً على الطهارة والنقاء والطيبة، فإنه يصبح لونًا مفارقًا لهذه المعاني: "كان يتمالك نفسه بقوة ليخفي دمعة حزن يخفق بها قلبه الأبيض"[38].. وتصبح مفردتا "يليق" و"لا يليق" دالتين على المفارقة والسخرية والنقد والاستهزاء، حيث يستوجب المقام مقالها: "لا يقبلها الطبيب المخلص الذي يليق به اللون الأبيض"[39].. و"أي طبيب يليق به الأبيض يرضى بأن ينقلب 180 درجة من دون سابق إنذار"، و"كيف يمكن أن نثق بعد اليوم بمثل هذا البياض المزيف للحقائق المنكر للوقائع؟"[40].

ويذكر المقال أن هذه الرواية قامت على عرض مشاهد متعددة من آلام هذا المريض، وقد وظفت هذه المقابلة أو المفارقة بين لفظتي يليق أو لا يليق.. بين الأبيض والألوان الأخرى، بين صوت المريض وصراخه وصمت الأطباء وتجاهلهم، وجعلت الحكاية تُسرد على لسان راوٍ بسيط وهو الشاهد على الواقعة والقضية، فكان عامل النظافة الذي يكنس القمامة ويخفيها عن أعين الزائرين، وهو الراوي الذي يكشف ويروي أخطاء الأطباء، ويصبح هذا الراوي الذي ليس له كلمة في عالم الطب والأطباء،

[38] البكري، **منير.. الأبيض لا يليق بكم**، ص: 143.

[39] المصدر نفسه، ص: 46.

[40] المصدر نفسه، ص: 108.

وليس له ثوب الأطباء، يصبح هو صاحب القلب الأبيض، وصاحب الكلمة الفاصلة والشاهدة، ويكتب لكلمته الخلود بخلود الأدب الذي يحفظ القضية.

ويضيف: "قيل قديمًا إن أخطاء الأطباء مدفونة تحت الأرض، وها هو طارق البكري ينشرها بلغة خالية من الأخطاء ليحاكم فيها أخطاء الأطباء، حتى يبقى لهذه المهنة ألقها وبياضها ونورها وصدقها، وألا يكون هذا اللباس الأبيض إلا لمن يليق بهم من أصحاب العلم والأخلاق وخدمة الإنسانية".

ويخلص إلى القول: "لقد جاءت هذه الرواية مباشرة، وجنحت إلى التصريح لا إلى التلميح، لتقول كلمتها دون أن تحتاج إلى تفسير أو تأويل، ولتخاطب العامة والخاصة، ولتصبح القضية قضية رأي عام، وقد كانت، كما نجحت في أن تكون".

الجانب الحقوقي والقانوني للرواية:

ركّزت الرواية على الجانب الحقوقي للطفل والخاص بالرعاية الصحية والإنسانية الكاملة، كما ركّزت على الجانب القانوني وما تم في المحكمة من مناقشات، وما ورد في تقرير الأدلة الجنائية وقرار الاستئناف ورد المحامية التي تولت القضية فضلاً عما قاله الوالد أمام القاضي، علمًا بأنه لم يكن للطفل المعني خيار في القرار الطبي، مع أنه حق من حقوقه[41] التي فقدها منذ البداية، نظرًا لتسرع الأطباء، ولاستسلام أسرة المريض لأي طلبات يطلبونها، وعدم الاعتراض عليها، فيما كان هو يبدي امتعاضه من حين لآخر دون استجابة له، قبل أن يفقد قدرته على الاعتراض، ثم اضطر للخضوع التام أمام هول الأحداث التي مر بها.

وتبين الرواية في مضامينها وبشكل غير مباشر كثيرًا مما تكفله مواثيق حقوق الطفل المدنية ومنها الحقوق الصحية، وكذلك كل الاتفاقيات الدولية والقوانين والدساتير المحلية للدول إضافة إلى الجوانب الإنسانية التي يحكمها الضمير البشري، دون إغفال مسألة لا شك فيها، ومفادها أن الشخصيات العامة، والمؤسسات بكل أنواعها، وجميع

[41] زعنون، فتيحة، حق الطفل المريض في المشاركة في القرار الطبي، **مجلة دفاتر السياسة والقانون**، جامعة وهران، الجزائر، ع 18، يناير 2018م، ص: 169- 182.

الأفراد يبدون علنًا كل الحرص على رعاية الطفولة من مختلف جوانبها، والرواية لا تتطلع إلى النوايا بقدر ما تتطلع إلى الوقائع المدرجة فيها، وتؤكد أن حدوث هذه الواقعة لا يعني اتهامًا لجميع عناصر الوسط الطبي، "الذي نكن له كل احترام وتقدير"، كما تؤكد الرواية نفسها ذلك بشكل واضح.

وتشير بعض المؤسسات الصحية[42] إلى جانب من حقوق الطفل المريض استنادًا لقوانين وحقوق الطفل الذي يتوقع أفضل رعاية، وأن يعلمه الأطباء والممرضات بكل ما يحتاجه هو وأسرته عن مرضه ليتحسن ويصبح بصحة جيدة، وأن يعامل كطفل يكبر مع احتياجات ومصالح خاصة، وأن يبكي لأنه وحيد وخائف، ولديه الحق بأن يتوقع فهم مشاعره، وأن يحصل على محبة ورعاية واهتمام باحتياجاته اليومية، كما يتوقع غرفة أنيقة نظيفة مع معدات تعمل، وأن يكتب له الأشخاص الذين يهتمون به ما يتوجب ولا يتوجب عليه فعله، وأن توضع خطط لمساعدته على التحسن، وأن يعرف أن الأطباء والممرضات سيتحدثون عن العناية به فقط للأشخاص المفيدين، وأن يتمكن من إبلاغهم بأنه غير سعيد عن الرعاية التي يتلقاها في حال شعوره بذلك، متوقعًا الإنصات إليه باهتمام لشرح أسباب عدم سعادته وتفهمها وإيجاد حلول لها.

والرواية التي صدرت في مارس عام 2016م صدرت طبعتها الأخيرة الكاملة في صيف عام 2019م، أي بعد مرور نحو أربع سنوات كاملة من وفاة بطل القصة، وبعد فترة قصيرة من صدور قرار الاستئناف في مصلحة المدعى عليهم، وهي الطبعة 11، وتتضمن تفاصيل كثيرة حدثت ما بعد الموت في صيف 2014م، ولا تروي فقط الأحداث الخاصة بالمستشفى كما وردت في الطبعات السابقة، حيث تنتقل عدسة الرواية الجديدة من أروقة المستشفيات إلى قاعات المحكمة والأدلة الجنائية، وكلية الطب، حيث تم تشكيل لجنة طبية -قيل إنها محايدة- من ثلاثة أطباء متخصصين للتحقيق في القضية.

وهنا تأخذ الرواية منحى جديدًا لم يطرح سابقًا، فبعد أن كانت القضية محصورة في الأخطاء الإهمال كما يعتقد الوالدان، سجلت مماطلة بتشكيل لجان التحقيق،

[42] مستشفى السلام الدولي، الكويت، وثيقة حقوق الأطفال -http://sih-kw.com/Children_Bills_of_Rights_Ar.cms

وفي التعاون مع الأدلة الجنائية، إما عن طريق التلكؤ في تشكيل لجنة التحقيق الطبية، أو عن طريق اللامبالاة من الجهات الطبية المسؤولة، حيث تقدمت الأسرة بعدد من الشكاوى إلى مكتب وزير الصحة (ثلاثة وزراء متتالين) فضلاً عن طلب التدخل من وزير العدل نظرًا للمماطلة في تشكيل لجنة تحقيق، لكنها لم تلق آذانًا صاغيةً.

وتشير الرواية في جانب منها إلى بيان أصدرته جمعية حقوق الإنسان[43] (الوطنية) عبرت فيه عن استنكارها الشديد لتهاون المسؤولين بوزارة الصحة وكلية الطب والمماطلة بالتحقيق "رغم مرور 450 يوماً"، وهو تاريخ صدور البيان في الـ 26 من أكتوبر عام 2016م، حيث لم يتم التحقيق في ظروف وفاة الطفل منير في أحد المستشفيات، ولم يتم دون الحصول على أي تقرير من أي جهة تحقيق كانت في ملابسات الوفاة.

وأضافت الجمعية أنه بناء على المعلومات المتوفرة لديها فقد تم بداية تشكيل لجنة تحقيق من قبل إدارة الشؤون القانونية في وزارة الصحة بعد مرور حوالي خمسة أشهر من الوفاة بناء على شكوى قدمها الأب، لكن للأسف لم يصدر أي تقرير من تلك اللجنة، ورغم الاستفسار المتواصل عن تقرير اللجنة لم يتم تقديم أي معلومات حول التقرير.

تقرير لجنة الخبراء:

اعتبرت الرواية أن تقرير لجنة الخبراء تضمن الكثير من الأخطاء في بعض الوقائع والأحداث، فضلاً عن بعض المسائل الأخرى التي تهدر حق الطفل المتوفى، وهذه الردود تم تقديمها إلى القضاء، ولم يتم الأخذ بها، واعتبر القضاء كما جاء في الرواية أنه: "لا يحق للمدعي اصطناع الأدلة". وكان رأي الكاتب أنه ما دام القضاء قرر أن كلام المدعي "مصطنع"، وهذه مفردة مهذبة معناها "الكذب"، كان من المفترض اتهام المدعي بتضليل القضاء وتقديم أدلة مصطنعة، ومعاقبته.. لكن هذا لم يحدث.

[43] الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان http://www.kuwaithr.org

كما تضمنت الرواية ردًا على قرار اللجنة تؤكد أنَّ فيه إغفالاً متعمدًا لبعض الحقائق، ولقضايا أثارها الأب، وأخطاءً في الزمان والمكان، وخلطًا في الأحداث والأشخاص، وعدم دقة كثير المعلومات. كما أنه لم يتم التحقيق في الحقن والأدوية التي أخذها الطفل المتوفى بالخطأ وكانت لمرضى آخرين، وخاصة حقنة في (وريد الرقبة) كانت ذاهبة لمريض مسن لديه غيبوبة سكر بحسب قول الدكتورة المسؤولة التي شاهدت بنفسها ورقة الخطأ الموضوعة في ملف منير، وكذلك إعطاء منير (كيس حديد) في الدم مباشرة (وريد اليد) وكانت أيضًا لمريض آخر.. وهذ الكلام مدون في تقرير الأب الموجه للجنة ومع ذلك لم تقم اللجنة بذكره من قريب أو بعيد.

وألمحت إلى أنَّه لم يكن متوقعًا أنَّ لا يتضمن التقرير دفاعًا عن الأطباء الذين تضامنوا للدفاع عن أنفسهم ولم يتضامنوا للدفاع عن حق الطفل بالعلاج الصحيح، وكانوا وقتها متفرقين غير متضامنين، ولم يجتمعوا إلا مرة واحدة بحسب التقرير نفسه، علمًا بأن رئيس وحدة الجهاز الهضمي وقتها قال بالحرف الواحد: "عندما يفضى الشباب يجتمعون"، وهذا معناه أنهم لم يجتمعوا إلا عندما وصل منير إلى مرحلة صعبة جدًا، وكان اجتماعهم على "الواقف"، كما قال أحد الأطباء لأم الطفل المتوفى.

كما أن التقرير بحسب الرواية تضمن مجموعة كبيرة من المغالطات والمعلومات، إضافة إلى تجاهل الكثير من البيانات التي أبلغ بها والد المتوفى لجنة التحقيق في تقرير مكتوب في نحو عشرين صفحة، ولم تقم اللجنة بالإجابة عليه ولا بالتحقيق في معظم المسائل التي طرحها الوالد، فضلاً عن تحريف للحقائق، أو ذكرها ناقصة بما يناسب المدعى عليهم، وإضافة معلومات لم تحصل أبدًا على أرض الواقع.

وأغفل التقرير وجود جرح كبير في بطن الطفل، اكتشفه والده عند القيام بغسله وتجهيزه للدفن، وأن الأب لم يحصل على رد من المستشفى عن سبب الجرح، وأنه تقدم بأكثر من ثلاث شكاوى لمدير المستشفى وأخرى لوزير الصحة وجميع الوكلاء يطلب تفسيرًا لهذا الجرح، لكنه لم يصل إلى جواب، ومع ذلك تجاهلت

لجنة التحقيق ذكر هذا الموضوع والإشارة إليه لا من قريب ولا من بعيد رغم خطورته الشديدة، وقيام المستشفى بإجراء لم يتم أخذ إذن ولي أمر الطفل قبل إجرائه، كما أنهم لم يفيدوه عن سبب ذلك رغم سؤاله المتكرر ووجود ثلاثة شهود.

أوضح التقرير أن الأدلة الجنائية طلبت بتاريخ 2016/8/21م من عميد كلية الطب تشكيل لجنة تحقيق من الكلية، وبتاريخ 2017/1/15م ورد كتاب من عميد الكلية بأن اللجنة طلبت مقابلة والد للاستماع إليه وأصر على حضور المحامي وهذا ما رفضته اللجنة الطبية ولم تستمع إلى والد المتوفى الذي قدم تقريرًا مكتوبًا لها، وبذلك سقط حق الأسرة بشرح ما حدث مباشرة للجنة، واستغرق إعداد التقرير نحو سنة كاملة وخرج بكمية كبيرة من الأخطاء والخيالات غير الحقيقية.

وتشير الرواية إلى كثير من الأخطاء التي وردت في التقرير وأضاعت حقوق الطفل المتوفى، ومنها: أن الطفل المتوفى أصيب في أبريل عام 2014م بضعف حاد بالعين اليمنى، ويحدد التقرير بأن هذا الضعف كان خلال وجوده في بلد آخر، رغم أنه كان في البلد نفسه بدليل الفحوصات والتقارير التي تحدث عنها تقرير اللجنة، علما بأن هذا الموضوع ليس له أي علاقة بموضوع التحقيق لكنها كما يبدو محاولة للإيهام بأن الطفل كان مقيمًا في الخارج وأتى به أهله من بلده لكي يستفيد من العلاج المجاني في المستشفيات الحكومية علماً أن العلاج ليس مجانيًا بالكامل، كما أن الطفل كان مقيمًا بشكل رسمي ولديه تأمين صحي.

وجاءت بعض استنتاجات أعضاء اللجنة وتحليلاتهم الطبية البحتة بما له علاقة بما يطرحه الأب من مسائل غير طبية.. وتعرضت اللجنة إلى جوانب طبية ثانوية حتى تبين أنها قامت بدراسة معمقة، فيما هي لم تعرف حتى من أين جاءت بعض المعلومات كما هو واضح في بعض الصفحات.

وهناك مسألة خطيرة يذكرها التقرير وهو إجراء موضوع الفحص الذري مرتين، حيث قررت المستشفى إجراء مسح ذري لمنير دون أن يتم الانتباه إلى أنه كان قد أجرى الفحص نفسه قبل بضعة أشهر، ولا ضرورة لهذا الفحص، وعرضه لمخاطر كثيرة لعدم تحمل جسمه للإشعاع، علما بأن هذا المسح الذري كما قال لنا بعض الأطباء لا يجدر

القيام به في فترات متقاربة ولم تكن له فائدة.. كما أنه تم تأخير موعد هذا الفحص لمدة شهر تقريبًا رغم حالة المريض الحرجة، وقاموا خلال هذه الفترة بتجاهله تمامًا ولم يعد الأطباء يدخلون غرفته إلا نادرًا، حتى تدهورت صحته.

قرّروا قبل ذلك أنهم سيخرجون منير من المستشفى، وقرروا وقف جميع الأدوية والمحاليل الوريدية والاستعاضة عنها بأدوية عن طريق الفم، واستمر ذلك لمدة أسبوع كامل، حتى تدهورت حالة منير، وأصيب بهزال شديد، دفع الطبيب إلى وضع أنبوب مغذ في عملية أجريت في غرفة العمليات، لكن بعد أيام وبسبب أخطاء في وضع المحاليل وبشهادة طبيب الكلى، وارتفاع نسبة الحموضة بالدم كاد منير وقتها يصاب بفشل كلوي، وتم نقله على عجل إلى العناية المركزة، وكانت الطبيبة هناك مستعدة لوضعه على جهاز غسيل الكلى كما أخبروها، لكنها رفضت ذلك وأعادته إلى غرفته في أقل من ربع ساعة.

حق الفقراء:

"أو ليس من حق الفقراء أن يفرحوا كما يفرح غيرهم؟"[44].. جملة قالتها ليلى في الرواية، وقد امتلأ قلبها في أيام دراستها الجامعية الأولى بالحزن والكآبة، لكنها حاولت إخفاء حزنها وكآبتها حتى لا يلحظ همها أحد. هي تعلم أنَّ للطب فوائد لا تعد ولا تحصى، وأنه مهنة إنسانية عظيمة كما يقول كثير من الناس، لكنها تدرك في المقابل ما يحيق بالطب من أخطار ومسؤوليات جسام، ومن أخطاء عظام قد تكون مميتة، فخطأ الطبيب، وهو في الغالب الأعم غير مقصود، قد يغرم المريض الغالي والنفيس، وربما كان الثمن حياته، لكنها تعلم أيضًا أن مقابل كل خطأ طبي هناك ملايين من المرضى خفف الطب عنهم آلامهم، واستعادوا عافيتهم بفضل الأطباء الذين يبذلون جهدهم الكامل.

هي تدرك أنَّ الخطأ لا يمكن أن يكون مقصودًا من طبيب، لكنَّه عندما يقع لا يجوز أن نسميه بغير اسمه، كما أن الطبيب عندما يقع في خطأ قد يتهرَّب من مسؤولياته، ويقوم بالبحث عن تبريرات كثيرة لكي لا يؤدي الخطأ إلى ضرر يؤثر

[44] البكري، **منير.. الأبيض لا يليق بكم**، ص: 08.

أو يضر بحياته المهنية، وبخاصة عندما يكون الخطأ ناتجاً عن إهمال حقيقي، أو عن سوء تقدير، لأنَّه في النهاية لم يَمنحه ما يلزمه من وقت وافٍ وتحقيق ودراسة لحالة المريض الذي يعالجه، أو ربما لعدم التركيز والاهتمام اللازمين.

وتقول الرواية: "كم سمع الناس وقرأوا فيما مضى من زمان عن أمور لا تحب ليلى أن تذكرها ولا أن تتذكرها.. وكم تعجبوا من تحوُّل الطب في بعض الأحيان من واجب إنساني يقوم به نخبة القوم، إلى مجرد وجاهة اجتماعية يسعى إليها الساعون من الأهل أو الأبناء أنفسهم، بحثًا عن مهنة تدر عليهم المال الوفير، وتجعل الناس بحاجة ماسَّة إليهم، إرضاء لرغباتهم، وتشريفًا لمكانة يبحثون عنها، كأنها علاج شاف لعقدة نقص في نفوسهم"[45].

وتؤكد الرواية أن "الطب ليس مهنة.. وأن هذه أول جملة يجب علينا أن نحفظها في كتاب الحياة، وليس في كتب الطب"[46]. وهذه الجملة الأخيرة لطالما رددتها ليلى خلال دراستها نقلاً عن طبيب شهير، وحتى بعد أن تخرجت في الجامعة بقيت على هذه الحال في ترديدها، لأنها تؤمن بأن: "الطب ليس مهنة كما يظن البعض" كما قالت ذلك ذات مرة في مقابلة تلفزيونية.

وتتذكر ليلى كيف تجرأت للدفاع عن قضيتها وقضية عائلتها التي لم تهدأ يومًا، ولم يخفت وهجها، ولم يبهت ضجيجها، ولم تلتئم جراحها. تتذكر عندما تحدثت أمام القاضي بجرأة قبل تلاوته قراره النهائي الحاسم وبعد قوله إنه لا يحق للمدعي اصطناع الأدلة، فإذا لم يكن من حق المدعي البحث عن الدليل لإثبات حقه، فكيف من حق المدعى عليه أن يطرح أدلة مفبركة غير صحيحة؟؟! كانت تتكلم بقلب مجروح.. غير أن القاضي لا يمكنه الحكم دون إثبات.. وأمها وأبوها لم ينسيا لحظة كلمتها التي عبرت عما يجيش في صدرهما من ألم.

عادت بها الذاكرة إلى تلك اللحظات، حين وقفت فيها أمام القاضي بجرأة غير معهودة. وتجاوزت أعراف المحاكم لتتحدث رغم صدور الحكم. لكن القاضي

---

[45] المصدر نفسه، ص: 09.

[46] المصدر نفسه، ص: 16.

قاطع كلامها فلم تكمل ما تريد قوله، فكتبت له رسالة تتضمن كلامًا خارجًا عن مألوف المحكمة. كانت ليلى موقنة بأن قلب القاضي أرق من جناح فراشة، وأنه إذا قرأ كلامها فسوف يتأثر. لكنها تعتقد في المقابل أن الرسالة لم تصل. وكتبت ليلى في رسالتها:

"يا حضرة القاضي.. لك الحق التام الكامل غير المنقوص يا سيدي بأن تحكم كما تشاء، وفيما تشاء، وكيفما تشاء.. وإن حكمك الذي يقول: (لا يحق للمدعي أن يصطنع دليلاً)، فهذه الجملة وإن كانت مسجلة في ملفاتك القانونية كقاعدة يعتمد عليها لرد القضايا ورفض بيانات المدعي؛ فإنها لن تعيق بحثي عن الأدلة. والقول بالاصطناع يقابله الاختلاق، وأعتقد -وقد أكون مخطئة نظرًا لجهلي بالقانون- أن في ذلك تهمة لو كنتَ مقتنعًا بها فقد يكون لزامًا عليك أن تتهمنا بتحريف القضية وتضليل العدالة، لا مجرد الحكم برد القضية دون توقيع العقاب على محاولة تضليل آثمة، ما دمت تحدثت عن اختلاق للأدلة... لكنك لم تفعل!!! ولا أدري إن كان ذلك هو المعتمد والمتوافق عليه، لكني لا أتفهم كيف يترك من يضلل العدالة طليقًا دون عقاب؟؟؟ بل كيف لنا أن نصطنع الأدلة ولا تحقق في ادعاءاتنا "المصطنعة" كما رأيتها، وفيها ما فيها من حرف للعدالة عن مسارها، وهذه رؤية تستوجب زجَّنا بالسجون تزامنًا مع ختم القضية لصالح المدعى عليه!!

سيدي القاضي... من حقي أن أتكلم ومن الكرم أن تصغي، لكني ما إن بدأت الحديث حتى ابتسمت وسارعت بإنهاء كلامي، ورفضت أن تسمع مني الحقيقة كما أراها، ثم قررت سريعًا رفض ما قدمناه من أدلة وشهود، قاضيًا في قرارك المكتوب أنه لا يحق للمدعي "اصطناع" الأدلة والوقائع! فكيف يا سيدي ترفض أن تسمعني وقد قلتُ "حقًا" فيما سمعت كلامهم واتخذته دليلاً حتميًا.. لك الحق كاملاً فيما تقضي، ولا أزعم غير ذلك. لكنه أخي يا سيدي.. أخي.. فتحوا بطنه دون أن يخبرونا. حقنوا عنقه بأدوية لا حصر لها من كل صنف، ومنها ما هو بالخطأ ومنها ما لا ضرورة له، عصروا دمه، أهانوه واحتقروه وأهملوه، صنعوا من جسده

مسرحًا للتجارب الفاشلة. ولعبة لكل واهم بأنه أفضل طبيب في الدنيا وأكثر فهمًا من غيره.. دون رحمة واعتبار. حتى حانت ساعة الوفاة.

ليس لدينا يا سيدي القاضي اعتراض على الموت.. فالموت حق لا مفر منه، طال العمر أم قصر، وكل إنسان ملاقيه ولو اجتمع كل أطباء العالم حوله، لكن اعتراضي على فظاعة ما حدث.. فالمشكلة لم تنته عند الموت احترامًا وإجلالاً لهيبته.. بل استمروا في تجردهم من الإنسانية.. وأنكروا.. بل كذبوا.. وقدموا لك تفاصيل غريبة، في ظاهرها الصحة وفي باطنها ضلال وتضليل"[47].

وتستعيد ليلى أيضًا أنها بعد خمسين يومًا من الاستنكار الذي أعلنته جمعية حقوق الإنسان؛ تقدمت هي أيضًا، باسم أسرتها، بشكوى إلى أعضاء اللجنة المختصة في مجلس النواب، لعلها تستطيع الاستعانة بهم لاسترداد حق أخيها المتوفى.. وجاء في شكواها:

"نتقدم إليكم بشكوى تفيد بقيام المسؤولين في وزارة الصحة وكلية الطب بالتهاون والمماطلة في التحقيق في ظروف وفاة الطفل منير في أحد المستشفيات، رغم مرور نحو 500 يوم على وفاته، دون الحصول على أي تقرير من أي جهة تحقيق كانت في ملابسات الوفاة. علما بأنه قبل نحو سنة تم تشكيل لجنة تحقيق من قبل إدارة الشؤون القانونية في وزارة الصحة بعد مرور حوالي خمسة أشهر من الوفاة بناء على شكوى قدمها والده، ولكن للأسف لم يصدر أي تقرير من تلك اللجنة، ورغم الاستفسار المتواصل عن تقرير اللجنة؛ لم يتم تقديم أية معلومات حول التقرير.. وتم التستر على نتائج التحقيق التي توصلت إليها اللجنة.

وبعد لجوء والد منير إلى القضاء تم توجيه الإدارة العامة للأدلة الجنائية بتاريخ 21 أغسطس 2016م بمخاطبة عميد كلية الطب لتشكيل لجنة ثلاثية من الكلية، وللأسف لم تتجاوب كلية الطب مع الطلب وبدون معرفة الأسباب. وكان الطفل المتوفى دخل المستشفى على قدميه بتاريخ 31 ديسمبر 2014م، وظل فيها مدة سبعة

[47] المصدر نفسه، ص: 20-23.

أشهر حتى تدهورت صحته في ظروف غامضة، وظل هناك حتى توفي بتاريخ 28 يوليو 2015م.

وكان منير تعرض خلال تلك الفترة لإهمال فاضح، كتبت عنه الصحف ووسائط التواصل الاجتماعي، لكن الجهة الطبية كانت تمعن بإهمال هذا الطفل، ومن ذلك إعطائه أدوية كثيرة لا فائدة لها، فضلاً عن إعطائه أدوية كانت لمرضى آخرين.. وتشخيصه أكثر من خمسة تشخيصات خاطئة، ورفض الأطباء استشارة آخرين، وعرقلة سفره عن طريق إحدى الجهات العليا كانت ترغب بذلك، ثم عرقلة سفره بعد تبرع أحد كبار المسؤولين الرسميين بالدفعة الأولى لمستشفى فرنسي، ثم تكفل رجل أعمال بكامل التكاليف.

كما أن الوفاة كانت بسبب بكتيريا أصابته بالتسمم ولم تتم معالجته على الفور، ولم يتم ذكر البكتيريا في تقرير الوفاة، تهربا من حقيقة الأمر. إضافة إلى أخطاء أخرى كثيرة. لذا ندعو اللجنة الموقرة للاستماع إلى والد الطفل منير والتحقق من هذه الوقائع المؤسفة وغيرها من الحقائق التي لا تليق بالإنسانية.. ونأمل منكم التدخل الفوري حتى لا يتم تدمير ما تبقى من ثقة بالرعاية الصحية وتوجيه المختصين بإيضاح نتائج التحقيق في ملابسات الوفاة للرأي العام، مع إيضاح الآليات المستخدمة في التحقيق، ومن هي الأطراف التي شاركت فيه.. كما يجب معرفة الأسباب التي أدت إلى تأخير تشكيل لجنة التحقيق في كلية الطب وتجاهل طلب الجهات المسؤولة"[48].

علماً أن كل هذه النداءات لم يكن لها أي آثار تذكر، فضلاً عن الشكاوى الرسمية التي قدمت مباشرة في مكتب وزير الصحة ووكيل الوزراء والوكلاء المعنيين ومدير المستشفى، وكان مصيرها الإهمال.

خاتمة البحث:

كشفت الرواية في فصولها مجموعة من الوقائع والأحداث التي تبين انتهاكات متنوعة لحقوق الطفل، ومنها ما تناوله التقرير الجنائي، فضلاً عن محاولة طمس القضية

[48] المصدر نفسه، ص: 34-35.

وتضليل القضاء من قبل تقرير لجنة الأطباء.. وقد نجح في ذلك خاصة مع تجنب المحكمة استدعاء الشهود.

كما أن التقرير كشف وبكل وضوح بأن ما يقوله الأب بشأن التشخيصات الخاطئة كان واقعًا واستتبعته كمية كبيرة من الأدوية لا ضرورة لها لكن القاضي لم يأخذ بذلك. كما يثبت التقرير حدوث عدوة بكتيرية قاتلة من داخل المستشفى، وذلك مع توقع الأطباء بأنها ستحدث دون أي إجراءات استباقية، مثل تعقيم الغرفة، وتعقيم أدوات المريض. فيما ينفي إعطاء المريض عقار (سوماتوستاتين) بادعائه رفض عائلته بينما المريض ظل يأخذ الدواء لمدة شهرين كاملين. وهذا يدل على محاولة التقرير تضليل القضاء بشكل مؤكد وثابت بالوقائع والأدلة لكن لم يأخذ بها القاضي.

ولم يذكر التقرير سبب جرح كبير وجده الأب في بطن ابنه المتوفى أجري دون علمه قبل موته أو ربما بعد موته لأخذ أعضاء داخلية منه وهذا الأمر جريمة في الحالتين. كما امتنع التقرير عن التحقيق في كثير من الأمور التي ذكرها والد الطفل في تقرير مقدم إلى اللجنة.

وقد تم إعطاء المريض كمية كبيرة من الكورتيزون بتشخيص خاطئ ما أدى إلى دخوله غرفة العناية المركزة فيما يذكر التقرير أسبابًا أخرى تنفيها الوقائع.. ومعظم الأدوية الهائلة التي أخذها المريض كانت بسبب تشخيصات خاطئة، وترجيحات خاطئة وغير جازمة وضئيلة الاحتمال، وتعبيرات كثيرة مشابهة تضمنها التقرير.

ويثبت التقرير الرسمي أنه تم إجراء عملية في الحوض -دون تخدير- لأخذ عينة نخاع عظمي ما عرض الطفل للألم شديد وللخطر رغم "ضآلة" النتيجة المتوقعة حسب تأكيد التقرير نفسه.

وبناءً على هذه النقاط وما ذكر سابقًا، وما ذكره الأب في تقريره المقدم إلى اللجنة والمكون من 20 صفحة ولم تأخذ به اللجنة فيما ورد من أقوال الأب، يتبين بوضوح، وبإقرار لجنة التحقيق في سياق تقريرها أن الطفل توفي نتيجة عدوى بكتيرية من المستشفى، ونتيجة إهمال واضح بعدم إجراء حماية للمريض، وبسبب أدوية كثيرة،

ونتبين بكل وضوح أن سبب الوفاة هي العدوى المسممة للدم، والمسؤولة عنها المستشفى، فضلا عن التشخيصات الكثيرة الخاطئة والإهمال الكبير للأطباء، وعدم دخول غرفته لنحو أربعة أشهر كاملة، وتأكيد أحد الأطباء أنه في المكان الخطأ، وإجراء صور إشعاعية وذرية وعملية النخاع العظمي غير الضرورية بتاتا إضافة إلى القيام بكثير من عمليات أخذ العينات غير الضرورية من الأمعاء، وكمية الأدوية العالية، حيث كان هناك تسرع بإعطاء الأدوية المختلفة وتعريض الطفل للخطر ونزيف الدم دون معالجة سريعة، وتجويعه أربعة أيام لخطأ منهم، ثم إخضاعه لنظام غذائي قاس جدًا بأطعمة غير شهية وقاسية على المضغ فكيف الأمعاء، عندما تم تشخيصه خطأ على أن مرضه (سلياك) علما أن التغذية كان تشرف عليها العائلة ولم تكن منظمة بالتنسيق مع طبيبة التغذية حسب قول الطبيبة نفسها للعائلة.

إن كل هذه المسائل تجعلنا نؤكد وبكل اطمئنان أن الإهمال والتسرع وعدم التحقيق الجدي هو سمة هذا التقرير الذي حاول في النهاية نفي التهمة عن الجهاز الطبي المعالج رغم أنه أكدها بكل وضوح، حيث أكد سبب الوفاة، وتعدد التشخيصات الخاطئة، وتعدد الأدوية والعمليات غير الضرورية وغير المفيدة مع العلم المسبق لدى الأطباء المعالجين بضرر الأدوية التي أعطيت له بشكل خاطئ. وكان أحد الأستاذ في كلية الطب والاستشاري في المستشفى نفسه صرح أن الأدوية إذا استخدمت بشكل غير سليم وزادت عن حدها تتحول إلى سم..

ومن هنا لا بد من النظر إلى أهمية إيلاء مثل هذه القضايا اهتمامًا كبيرًا من مختلف الوسائط المجتمعية، وعدم اعتبار الموضوعات المشابهة مجرد قضاء وقدر، مع كامل الإيمان بقضاء الله وقدره، وهذا الإيمان لا يعارض أهمية الاعتناء برعاية الإنسان وحماية حقوقه وخاصة الأطفال الصغار والناشئة، والسعي لكي يعامل هؤلاء معاملة خاصة، ولا يتم وضع الناشئة مع كبار السن في غرفة واحدة ولا في جناح واحد، وإلزام الطبيب في المستشفيات الحكومية بمعاملة الطفل المريض معاملة لائقة، وعدم إهمال هذا الأمر تحت أي ظرف كان، مهما كانت مكانة الطبيب، مع الإقرار بصعوبة هذا الأمر، لأسباب عدة، فضلاً عن إلزام المستشفيات الحكومية على رعاية الأطفال

المرضى كما تعاملهم المستشفيات الخاصة، لا أن يعامل بطريقة جافة من طبيب بينما الطبيب نفسه تتغير ملامح وجهه عندما يكون في المستشفى الحكومي.

وهذه التطلعات قد لا يمكن تحقيقها وخاصة ما يتعلق بنفسيات الأطباء ونظرة بعضهم إلى المرضى في المستشفيات الحكومية كونه يعمل كموظف ولا يعمل في مستشفى استثماري، وربما لا بد من اتخاذ قرار شجاع بأن يختار الطبيب بين الخاص والعام، فلا يكون عندها ازدواجية بالتعاون.. مع الشك بالقدرة على اتخاذ مثل هذا القرار.. وقد تعمد الدول إلى خطة مستقبلية بتوعية المجتمع، وفتح أوسع مجال لدراسة الطب لتوفير أكبر عدد من الأطباء ويتم اختيار طلاب الطب بناء على معايير إنسانية تكون لها أهمية موازية للمعايير العلمية.

ومن جانب لجان التحقيق الطبية؛ لا بد من أن تكون التحقيقات شفافة وعلنية، وأن يسمح للمدعي بالمشاركة في حضور التحقيقات، والإدلاء بكل المعلومات المتاحة، وحمايته من الأضرار التي قد يتعرض لها، وأن يسمح له ولمن يوكله من المحامين بالاطلاع على تفاصيل التحقيق، ومعرفة كيف سارت خطوات التحقيق، والرد عليها بالتفصيل، ضمن الأصول القانونية، وعدم اعتبار الأدلة التي يقدمها مجرد "أداة مصطنعة" لتضليل التحقيق، ومعاقبة كل الجهات التي تحاول عرقلة التحقيق وتضليله، وبشكل خاص الجهات المسؤولة في وزارات الصحة التي تمتلك عادة ملفات المرضى، وبإمكانها التخلص من الأدلة وحرف القضية عن مسارها بكل سهولة.

وقد تكون قضية منير من أبرز القضايا المعاصرة التي تم توثيقها كاملة في سياق روائي موجه للناشئة، ما يحتاج إلى الاعتناء بهذه الرواية وإيلائها أكبر اهتمام، ونشرها على أوسع نطاق، لما تتضمنه من فوائد تعود بالنفع على جميع فئات المجتمع، سواء من الأطباء أنفسهم أو من المرضى، وكذلك من المؤسسات المعنية بالصحة، وكذلك المؤسسات القانونية.

ولعل هذه الرواية تكون سببًا في إصلاح الكثير من الخلل الطبي والقانوني في حال وجوده، كما أنه سوف يستفيد منها طلاب العلوم الطبية، وجميع مقدمي الرعاية

الطبية، حتى نقلل من الأخطاء التي تحدث حاليًا وقد تحدث مستقبلاً، وبذلك تكون وفاة الفتى منير منارة تضيء طريق الآخرين.

المصادر والمراجع:

- ابن خلدون، المقدمة، تونس: دار المعارف، ط1، 1991م.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط1، 2008م.
- أبو النصر، مدحت، قواعد ومراحل البحث العلمي، القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2004م.
- بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1997م.
- البكري، طارق، كامل كيلاني رائدًا لأدب الطفل العربي، قراءة في اللغة والمنهج والأسلوب، لبنان: دار الرقي، ط1، 2006م.
- البكري، طارق، منير.. الأبيض لا يليق بكم، الكويت: المؤلف، ط11، 2019م.
- الجرجاني، عبدالقاهر، التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م.
- الحديدي، علي، في أدب الأطفال، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1992م.
- زعنون، فتيحة، حق الطفل المريض في المشاركة في القرار الطبي، مجلة دفاتر السياسة والقانون، جامعة وهران، الجزائر، ع 18، يناير 2018م.
- زلط، أحمد، أدب الطفولة. أصوله ومفاهيمة رؤى تراثية، القاهرة: الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.
- زيدان، سلام، مسؤولية الطبيب الجزائية، بغداد: دار الكتب والوثائق، ط1، 2016م.
- عساف، وائل تيسير محمد، المسؤولية المدنية للطبيب: دراسة مقارنة، أطروحة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008م.
- فايد، محمد، المسؤولية الجنائية للأطباء، القاهرة: دار النهضة العربية، 1987م.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت: دار الجيل، ط1، 1995م.
- القديري، ممدوح، أدب الطفل العربي، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ط1، 1999م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، بيروت: دار إحياء التراث العربي ط2.

- مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف العالمية world book Encyclopedia ، ج15، نشر وترجمة مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1996م.
- مجموعة مؤلفين، معجم اللغة العربية، ج6، بيروت: دار المحيط، ط1، 1995م.
- معهد الطب الأمريكي 1999 (TOERR IS THAMAN. NOVEMBER) أشار إليه: وسيم فتح الله: الخطأ الطبي وآثاره، القاهرة: النهضة العربية، ط1.
- نجيب، أحمد، القصة في أدب الأطفال، بيروت: دار الحدائق، ط1، 2000م.

مصادر أجنبية:

- Anderson, William and Groff, Patrick, 1972, A New Look at Children's Literature California: Belmont Wadsworth Publishing Company.
- Betzner, Sean, 1956, Exploring Literature With Children, New York. Teachers College, Columbia University.
- Huch, Charllots, 1976, Children's Literature in the Elementary School. New York: Holt, Rinhart and Winston.

مواقع إلكترونية:

- اليونيسف: اتفاقية حقوق الطفل www.unicef.org/arabic/crc/34726_50765.html
- الجمعية الكويتية لحقوق الإنسان www.kuwaithr.org
- بيطام، د. سميرة، الخطأ الطبي بين التجريم والتبرئة، مركز الوفاق الإنمائي للدراسات والبحوث والتدريب www.wefaqdev.net
- رشيد، بلال، المفارقة في رواية منير (الأبيض لا يليق بكم) http://elsada.net
- عبد المنعم، انتصار، الأبيض لا يليق بكم.. رسالة خالدة وبشر زائلون https://meo.news
- مستشفى السلام الدولي، الكويت، وثيقة حقوق الأطفال http://sih-kw.com/Children_Bills_of_Rights_Ar.cms
- مفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CRC.aspx

ملامح الشعر القصصي للأطفال وأهميته كنوع أدبي

د. سهيل بلاونتي كيزل عمر*
Email: suhailtvr@gmail.com

ملخص البحث:

ظهر شعر الأطفال العربي كفن أدبي في بداية القرن العشرين. له منزلة متميزة بين الأنواع الأدبية المختلفة، وهو أكثر الفنون الأدبية تأثيرًا. فإن الشعر القصصي من أقدم الأنواع الشعرية ظهورًا للأطفال، ظهر بأثر الترجمة والاقتباس من المصادر الأجنبية. وهو كذلك من أهم الأشكال الأدائية لشعر الأطفال، تتنوع فيه الموضوعات اعتبارًا للمصادر التي يعتمد عليها الشعراء مثل المصادر الدينية والتاريخية والخرافية والاجتماعية والتراثية والترجمة وحكاية الأحداث. يهدف هذا البحث إلى تحليل الشعر القصصي للأطفال من ناحية البنية والمحتوى وتمييز مواصفاتها من بين الأشكال الأدائية لشعر الأطفال.

كلمات مفتاحية: الشعر القصصي، أدب الأطفال، الأناشيد والأغاني.

Abstract:

Children's poetry in Arabic can be considered as one of the branches of children's literature. It has been developed as a branch of literature by depending on translation and adaptation from foreign works and flourished all over the world in the beginning of 20th century. Narrative poetry is one of the oldest poetic genres in Arabic for children. It has a distinguished position among the different literary genres, and it is the most influential literary arts in the souls of children because of its rhythm, style, idea. It revolves around several styles and methods with respect to conception, framing and performance like transmigration of the characters of child, animal and bird, external description, fantasy and self- expression. It is also one of the most important forms of children's poetry, in which topics vary according to the sources upon which poets depend, such as religious, historical, superstitious, social, heritage, translation. This research entitled 'features of narrative poetry

* أستاذ مساعد، قسم الماجستير للعربية وآدابها، الكلية الحكومية، كاسركود، جامعة كانور، كيرالا، الهند.

for children and its importance as a literary genre' aims at analyzing narrative poetry in Arabic for children in terms of structure and content and to distinguish its specifications among the forms of children's poetry.

ماهية شعر الأطفال:

شعر الأطفال واحد من الأنواع الأدبية التي تعتبر باعثة للتسلية ووسيطة ثقافية، يتعامل من خلالها الشعراء مع الأطفال. وقد جرت بين الباحثين مناقشة حول تحديد الشعر المناسب للأطفال، فظهر اتجاهان، يشير إليهما الدكتور علي الحديدي في كتابه "في أدب الأطفال": "أولهما يرفض الشعر الذي يكتبه من يسمون بشعراء الأطفال إذا توقفت مواهبهم عند هذا الحد، واقتصر نظمهم على شعر الصغار، ويدعو أصحاب هذا الاتجاه إلى أن يقدم للأطفال ما سهل معناه، وخفت موسيقاه، وناسبهم موضوعه وأهدافه من نتاج الشعراء الكبار، ومن ثم يجب البحث في شعر البارودي وشوقي وحافظ والزهاوي والرصافي ومطران وأحمد رفيق المهدوي والمازني وأبو شادي والشابي والتيجاني ونزار قباني وغيرهم من الشعراء ممّا يصلح اقتباسه للأطفال. والاتجاه الآخر يحدِّد الشعر الذي يقدم للأطفال بما يكتبه الشعراء ابتداءً للأطفال، وهو ما يسمى شعر الأطفال، وذلك كشعر محمد الهراوي ومحمود أبو الوفا وبهيجة صدقي وأحمد شوقي في حكاياته الشعرية للأطفال وغيرهم ممن كتبوا شعرًا للأطفال"[1]. وقد جاء في كتاب "دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم" لعبد الفتاح أبو معال رأي ثالث في مفهوم شعر الأطفال دون الرأيين المذكورين. "الرأي الثالث: ويرى أصحاب هذا الرأي ضرورة اختيار شعر الأطفال على أساس من الموضوعات المناسبة لمدارك الصغار وقدرتهم العقلية، ومما يدخل في نطاق خبراتهم وتجاربهم"[2].

[1] الحديدي، الدكتور علي، **في أدب الأطفال**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1988م)، ص: 200.

[2] أبو معال، عبد الفتاح، **دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم**، (الأردن: دار البشير للنشر والتوزيع، 1986م)، ص: 26.

وفي ضوء الاتجاهات السابقة نستخرج أن شعر الأطفال هو الذي يكتب للأطفال بمعنى سهل وموسيقى خفيف مع هدف منشود بشرط أن يكون موضوعه ذي مغزى ومناسب للأطفال عقليًا وعاطفيًا. وقد يوجد الفرق بين طفل وآخر في نسبة تقبل الشعر والاستجابة له، لأنّ تذوق الشعر يعتمد على الذوق الشخصي. وللموضوع وطريقة تقديمه أهمية كبرى في جذب انتباه الطفل الصغير. ولذلك عالج شعراء الأطفال الموضوعات القريبة من مرأى الطفل ومسمعه. للأطفال تجارب وشعور وعواطف تم اكتسابها من البيئة التي يعيشون فيها ومن الذين يصاحبون معهم، فشعر الأطفال يزود خبرات جديدة بربطهم مع تجارب الشاعر والموضوع المقدم. لا يختلف شعر الأطفال كثيرًا عن شعر الكبار، ويكون الاختلاف في الموضوع والهدف والبنية والدرجة. يمتاز شعر الأطفال بأنه شعر يستطيع الأطفال أن يتذوقوه وأن يحسوا به عند الاستماع أو الإنشاد أو القراءة.

أثر الترجمة والاقتباس في تطور الشعر القصصي للأطفال:

كانت الترجمة والاقتباس مصدرًا مهمًا لشعر الأطفال في بدايته، واعتمد أوائل الشعراء في مجال شعر الأطفال من أمثال محمد عثمان جلال وأحمد شوقي وإبراهيم العرب، وعبد الله فريج، وكامل كيلاني على الآثار الغربية والعربية في تأليف النصوص الشعرية التي تناسب الأطفال إما بالنقل بتصرف أو بالترجمة أو بالاقتباس أو بالسلوك في نهجها. ومن بين هذه الآثار: حكايات لافونتين، وكليلة ودمنة، وأمثال لقمان عليه السلام. وهناك خرافات إيسوب اليوناني التي تعتبر مصدرًا مهمًا لقصص الأطفال العربي، يبدو تأثيرها غير مباشر في التأليفات الشعرية للأطفال من عند بعض الشعراء ولكن لم يتشكل في صورة ملموسة. ومن أهم هذه الآثار حكايات لافونتين.

لافونتين(De Lafontaine) شاعر فرنسي من مواليد 1621م، قضى حياته منذ صباه مع الأصدقاء الذين اشتغلوا بالفن والفكر. "قد أثرت في إحياء موهبته الشعرية حياته في الغابة لأجل وظيفته كمشرف على المياه والغابات. ثم ترك الغابة واستوطن باريس

بدعوة من أحد أقربائه. اشتهر بمهارته الشعرية منذ أن كان في عمره الأربعين لا سيّما بعد أن صاحب في حياته امرأة كريمة تكرم الأدباء وتفضل الفنون"[3]. وفي نهاية حياته لجأ إلى الزهد حتى فارق الدنيا سنة 1697م. "حكايات لافونتين" المسمّاة بالفابيولات (Fables De Lafontaine) منقسمة إلى ثلاث مجموعات تضم اثني عشر كتابا من مجموع 339 خرافة. وكل كتاب يتضمن حكايات تدور الأحداث حول شخصيات من عالم الحيوان والمحادثات على لسانها. وهذه الحكايات في طابع تربوي وخلقي، ترمز ما تجري في عالم الإنسان. وبهذا الجنس الأدبي أصبح لافونتين شاعرا مرموقا أبدع أسلوبا جديدا حتى حاكاه الشعراء الآخرون.

وأوّل من نقل حكايات لافونتين من الفرنسية إلى العربية هو محمد عثمان جلال (1826 – 1898م) في ديوان "العيون اليواقظ في الأمثال والحكم والمواعظ"،أعدّ ديوانه من مئتي حكاية شعرية من حكايات لافونتين. ساعده في هذا العمل إتقانه اللغة الفرنسية وبراعته في الترجمة الذي اكتسبه من الدراسة في مدرسة الألسن والعمل مع الخديو إسماعيل. "وقد نجح محمد عثمان جلال إلى حد كبير في أن ينقل حكايات الحيوان الخرافية عن لافونتين وفي قدرته الفنية في المحاكاة والتعريب إلى اللغة العربية إذ ألبسها ثوب الروح المصرية واللغة العربية القريبة من الاستعمال- وهذه قدرة لا تتوفر للكثيرين- وقد أجمع النقاد -ومنهم العقاد وغنيمي وهلال -أن ترجمة الكتاب كانت حرة بحيث اختفت فيها معالم الروح الفرنسية، وظهرت فيها الروح المصرية بوضوح شديد"[4].

تأثر أمير الشعراء أحمد شوقي بأسلوب لافونتين عند ما اطلع على خرافاته أثناء الإقامة في فرنسا لدراسة الحقوق، فأقبل شوقي على إنشاء الحكايات التي تدور

[3] داؤد، د. أنس، **أدب الأطفال في البدء كانت أنشودة**، (الإسكندرية: دارالمعارف، 1993م)، ص :29.

[4] زلط، د. أحمد، **أدب الطفل العربي- دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل**،(الهرم: دار هبة النيل للنشر والتوزيع، 1998م)، ص: 71-72.

حول الحيوان حتى ألّف أولى حكاياته ما بين عامي (1892-1893م)، ثم توالت منه الحكايات التي تلازم مختلف الحكمة والعظة. وكان هدف شوقي من وضع هذه الحكايات هو تسلية الأطفال بتقديم الشعر في أسلوب محبب لديهم وتربيتهم بالسلوك الحسنة لاشعوريا. "جربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشهيرة. وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئا منها فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه ويضحكون من الكثرة.."[5]. ومن الجدير بالذكر أن شوقي لم ينقل خرافات لافونتين بتصرف ولم يقم بالترجمة ولكن اقتبس بعض الموضوعات وأسلوب الحكايات والشخصيات ثم صاغ حكاياته بقلمه المستقل.

لقد سار الشاعر المصري إبراهيم العرب (1863-1927م) في كتابه "آداب العرب" الذي يحتوي على حوالي مئة قصة شعرية على طريقة لافونتين بحيث تدور على ألسنة الحيوانات والطيور. طبعت هذا الديوانَ المطبعة المصرية بمصر عام 1911م، وقررته نظارة المعارف بمصر على المدارس الابتدائية ومدارس المعلمات السنية ومدارس معلمي الكتاتيب. قام الشاعر اللبناني نقولا أبو هنا المخلصي (1888-1956م) بترجمة خرافات لافونتين بهدف تعليم وتهذيب الأطفال. ألف كتابا باسم "أمثال لافونتين" في اثني عشر جزءًا، طبعت الست الأولى عام 1936م بمطبعة دير المخلص في صيدا بلبنان، والست الباقية مخطوطة. أضيفت هذه الأعمال ضمن الكتب المدرسية في لبنان. "وضع الأب نقولا أبو هنا المخلصي، ترجمة شبه حرفية لمائة وثماني عشرة خرافة من خرافات لافونتين من مجموع (339) خرافة، وأصدرها في شبه كراسات متتالية، ثم جمعها في كتاب واحد بعنوان "أمثال لافونتين" الصادر في عام 1934م.

[5] شوقي، أحمد، **الشوقيات**، (مصر: مطبعة الآداب والمؤيد، ط1، 1898م.

وقد استهدف من ترجمتها نفس ما استهدفه محمد عثمان جلال، وأحمد شوقي، وإبراهيم العرب، في أن تكون هذه الخرافات ذات هدف تعليمي"[6].

ومن الذين قاموا بالترجمة من حكايات لافونتين: جبران النحاس اللبناني صاحب ديوان "تطريب العندليب" وهذا الديوان يشتمل على سبع وتسعين قصة شعرية، واعتمد في بعض قصصه الشعرية على لافونتين. وهناك شعراء لديهم شهرة في مجال شعر الأطفال من مختلف البلدان تأثروا بأسلوب لافونتين في الحكاية واتبعوا نهجه إما بالترجمة أو بالتأليف المستقل من أمثال: علال الفاسي المغربي، وإسكندر الخوري الفلسطيني، ونصرة سعيد السوري، وأحمد الكاشف المصري. وبالجملة ان الشكل القصصي في شعر الأطفال العربي كان اعتماده تماما في البداية على "حكايات لافونتين" كما قال أحمد فضل شبلول: "عندما حاول عدد من أدبائنا وشعرائنا في العصر الحديث أن يكتبوا أدبا وشعرا للأطفال كان أول ما فعلوه أنهم اتجهوا لترجمة وتعريب حكايات لافونتين التي وردت على ألسنة الطير والحيوان"[7].

الشعر القصصي للأطفال وأهميته:

يحتل الشعر القصصي مكانة متميزة في شعر الأطفال بأنه شكل أدبي أكثر حيوية وأمتع أدائية، يؤثر على السلوك القيمي للأطفال في المواقف اليومية. "فن أدبي رفيع من فنون الأدب العربي فن القصة، والتقاء هذا الفن بالشعر جعله متميزًا في أدبنا الحديث، وكان للشاعر أحمد شوقي الريادة في هذا الميدان"[8]. وللشخصيات وأبعادها في الشعر القصصي أثر واضح بالنسبة للطفل حتى أنه يحاول أن يقلد سلوك

---

[6] الهيتي، د. هادي نعمان، **ثقافة الأطفال**، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م)، ص: 214.

[7] شبلول، أحمد فضل، **جماليات النص الشعري للأطفال**، (القاهرة: الشركة العربية للنشر والتوزيع، 1996م)، ص: 87.

[8] كنعان، الدكتور أحمد علي، **الطفولة في الشعر العربي والعالمي**، (دمشق: المطبعة العلمية، 1995م)، ص: 42.

الشخصيات وقيمها. ولا بد أن يكون الأسلوب قادرًا على إثارة انفعالات الطفل في الشعر القصصي.

يعتبر الشعر القصصي من أقدم الأنواع الشعرية ظهورًا. وكانت بداية شعر الأطفال في شكل الحكايات على ألسنة الحيوانات والطيور. وعندما اهتم الشعراء بأعمال خاصة للأطفال كان أول ما فعلوه هو ترجمة وتعريب حكايات لافونتين على ألسنة الحيوانات والطيور أو الاقتباس منها كما ذُكر آنفًا. ومن الشعراء الذين يستحقون إضافة أسمائهم إلى مجموعة الشعراء المكثرين في الشعر القصصي: محمد عثمان جلال، وأحمد شوقي، ومحمد الهراوي، وإبراهيم العرب، وعبد الله فريج، وكامل كيلاني، وجبران النحاس، ومصطفى جواد، وعبد العليم القباني، ومحمد سنهوتي، وفاروق سلوم، وعلي الشرقاوي، وأحمد فضل شبلول، وأحمد زرزور، وأحمد الكاشف، وعلال الفاسي، ونصرة سعيد، ومحمد أحمد مشاري الكويتي، ومحمد العدناني الفلسطيني.

يعد أحمد شوقي من أكثر الشعراء تأليفا في هذا النوع الشعري حيث ضمّن في ديوانه الشوقيات حكايات حتى أفرد بابا سمّاه: باب الحكايات يشمل خمسا وخمسين حكاية. تحتوي حكايات شوقي على كثير من المعاني والمبادئ التي تحسن الحياة الاجتماعية والفردية، وكذلك فيها الدعوة إلى حسن التعامل مع الحيوانات الأليفة. وفي الحقيقة إن الصراع والخداع والتنافس التي تصورها شوقي في عالم الحيوانات والطيور رموز لما يحدث في العالم الحقيقي عالم الإنسان. ومنها حكاية "الثعلب والديك":

برز الثعلب يوما ... في شعار الواعظينا
فمشى في الأرض يهذي ... ويسب الماكرينا
ويقول: الحمد ... لله إله العالمينا
يا عباد الله توبوا ... فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطير إن الـ ... عيش عيش الزاهدينا

واطلبـــوا الــديك يـؤذن لـصلاة الصبح فـينـــا
فأتـى الـديـــك رســول من إمـــام النـاسكينا
عـرض الأمـــر عـليـه وهو يـرجو أن يـليـــنا
فـأجاب الـديك: عــذرا يـــا أضـل المـهتدينـا
بـلّـغ الثـعـــلب عـــني عن جدودي الصالحينـا
عن ذوي التيجان ممـــن دخـل البطن اللـــعينـا
أنهم قـالوا وخيـــر الـ قـول قـــول الـعـــارفينا:
مخطئ مـــن ظن يومـــا أن للثـعـــلب ديـــــنـا[9]

تنوع الموضوعات في الشعر القصصي للأطفال:

تتنوع الموضوعات في الشعر القصصي اعتبارا للمصادر التي يعتمد عليها الشعراء، وهم يكتشفون موضوعات للشعر القصصي من مصادر مختلفة مثل المصادر الدينية والتاريخية والخرافية والاجتماعية والتراثية والترجمة وحكاية الأحداث. ثم يلقيها في قالب ملائم للطفل في أسلوب خلاب، ولذا كانت الأشعار القصصية محببة لدى الأطفال. وكذلك يلقي الشاعر حكمة من بين هذه القصص، والحكمة التي تقدم أمام الأطفال إذا كانت منفردة لا يتسلمون. "عرض الحكمة عريّة من سرد القصة إنما هو مدعاة الملل والسأم. وعليه فمنذ القديم عني حكماء كل أمة بوضع القصص وأجروها على أفواه البهائم وألسنة الطير ظاهرها فكاهة وباطنها عبرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وأعظم من اشتهر في ابتكارها الفيلسوف الهندي واضع كليلة ودمنة، ولقمان الحكيم المنسوبة إليه الأمثال العربية، وإيزوب الأديب اليوناني"[10].

وفي قصيدة آدم وحواء يستنبط الشاعر محمد الهراوي المضمون من المصادر الدينية. نقل هذه القصة أحمد سويلم في كتابه "محمد الهراوي شاعر الأطفال". يسرد فيها

[9] شوقي، أحمد، **الشوقيات ج 4**، (بيروت: دار الكتاب العربي) ص: 150.

[10] شلحت، جرجس، **النخبة من أمثال فنلون**، (حلب: المطبعة المارونية، 1910م)، ص: 8.

الحوادث المذكورة في القرآن من سكنهما في الجنة والمنع عن قرب الشجرة، وخروجهما من الجنة بوسوسة من الشيطان. وقد استخدم بحر الرجز مجزوءا بتنوع الزحافات في جزء "مستفعلن"، ومن أبياته:

أبـو البرايـــا آدم ... أول خـلق الـبشـــر
قد خـلق الله لـــه ... حواء مثـلى الـصـور
قال اسكنـا في جنة ... بين الـجني والنهـــر
ولكما أن تـــأكلا ... مـا شئتما مـــن ثمر
وإنما لا تـقـربـــا ... واحـدة فـي الشـجر
فوسوس الشيـــطان ... حتى خرجا عـن حذر
وأكلا فـهبـــطا ... وتـلك أم الـعـبـــر [11]

وقد وجد الشعراء موضوعات لأشعار قصصية من حوادث تاريخية جرت في حياة الأنبياء، ثم صاغوها في قالب شعري، يسعد الأطفال عند قراءته أو سماعه أو ترديده. ومن أمثلتها قصة سليمان مع النملة، وقد علّمه الله منطق الحيوانات والطيور. يشير إليها الشاعر المصري محمدي حسن الشافعي بأبياته الموزونة مع إيقاع سهل محبب بعنوان "قصة سليمان" (عليه السلام):

في يوم كان سليمـــان ... يسعى في بعض الوديـــان
يمشي بين يديه جنـوده ... وتسدّ الآفـــاق حشـوده
إذ مرّ على وادي النـمل ... ورأى كيف يكون الشغل
وإذا بـالنملة تـتـــكلم ... فتعجب منها... وتـبســـم
قد كانت تصرخ وتحذّر ... أسراب النمل من العسكر
فتعجّب في الحال ..وقال ... شـــكرا لله المتعـــال
قد علّمني مـالم أعـلم ... قد أعطاني الملك الأعـظم

[11] سويلم، أحمد، **محمد الهراوي شاعر الأطفال**، (القاهرة: المركز القومي لثقافة الطفل، 1987م)، ص: 207.

فتبارك مولاي الأكـرم وله الـحمد على مـــا أنعم[12]

وقد يتناول الشعراء موضوعات اجتماعية لتكون محور الشعر القصصي لأن مثل هذه الموضوعات تؤدي دورًا واضحًا في صياغة الطفل كحيوان اجتماعي وتشكيل الأخلاق السوية. ومن أمثلتها الشعر القصصي بعنوان "طبيعة بشرية" للشاعر المصري محمد وليد. يعالج الشاعر في هذا الشعر قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي يشير إلى طبيعة بني آدم بحيث إنّه لو أعطي واديا مليئا من ذهب أحبّ إليه ثانيا ولو أعطي ثانيا أحبّ إليه ثالثا، ومن سطوره:

مـــحسن أبـصر يومـا طفلة دمعتـاها همتـا رقـــراقـتين
جـلست تبكي بقلب مـــوجع تـرسـل الآهة حـيـنـــا آهـتين
قال: ما الخطب؟ أجيبي طفلـتي فـلعـينيـك فـــداء كل عـين
فأجابت في نـحيب محـــزن ودمـــوع العين تسـقي الـــوجنتين
درهمي ضاع ومـــا لي غيره وأنـــا من بعـده صـفـــر الـيدين
قال: هيا طفلتي لا تـجـــزعي لا تـــراعي إن هذا الخـطب هين
وحـــبـــاها درهما في يـدها مـــاسحا مـن كل عين دمـعتين
قال: هيـا أطلقي وجـــه الرضا وأريـني بسـمة أو بسـمتين
غير أن الطفلة ازدادت بـــكا وكأن الـكرب أضـحى كربتين
قال: مـــا الخطب؟ أجيبي طفلتي هل فقدت اليوم إحـــدى المقلتين؟
فـأجـــابته بـقلب مـــوجع لا ولـــــم أفقد وربي الـوالدين
إنني أبـــكي بـحزن درهمي لو غدا عـــندي لأضحى درهمين![13]

[12] الشافعي، محمدي حسن، **قصص الأنبياء وقصص القرآن نثرا وشعرا**، (الكويت: مكتبة ابن كثير، 2001م)، ص: 213.

[13] وليد، محمد، **ديوان: أشواق الغرباء**، (ط. جدة، 1988م)، ص:61 .

الشعر القصصي من المصادر الخرافية غالبا ما يستخلص من عالم الحيوان والطير والجماد، وتكون الطيور والحيوانات رمزا في صورة الحكايات، وعلى لسانها يقدم الشاعر أفكارا وحكما يريد أن ينقلها إلى القراء، وذلك أدعى للتشويق. وفي بعض الأحيان يوجد في نهاية هذه الأشعار سطر أو سطران يشتمل على القيم المنشودة بها. ومن أمثلتها الشعر القصصي بعنوان "الأرنب والسلحفاة" للشاعر علال الفاسي المغربي، وهذه القصة أشهر أقاصيص الأطفال في العالم تخبر كل طفل بالابتعاد عن احتقار قدرة الآخرين مغرورا بقدرة نفسه، ومن أبياته:

تسابقت أرنبة وسلحفاة في الخلا
وجعلا بينهما حدّ السباق الجبلا
فالأرنب احتقرها ولم يبال أولا
والسلحفاة قدرت حالتها والعملا

إلى أن يقول:

وانتبه الأرنب من نومته مهرولا
وجدها قد وصلت فخاب فيما أملا
كلّ امرئ مقتدر في طوقه أن يعملا
جزاؤه إن يتكل في أمره أن يفشلا[14]

يستمد الشاعر الفلسطيني إسكندر الخوري من المصادر التراثية موضوعا لشعره القصصي حيث يروي لنا قصة "فرن جحا" بمعالجة فكاهات وحكايات جحا. يهدف بهذا الشعر إيصال فكرة مهمة، وهي أن إرضاء الناس غاية لا تدرك، واعتبار أكثر الاعتراضات يؤدي إلى الخراب، ومن أبياته:

جحا بنى يوما له فرنا دقيق الصنعة
وقال هذا بابه للشرق خير جهة

[14] الفاسي، علال، **ديوان علال الفاسي** ج1، (الدار البيضاء: منشورات مؤسسة علال الفاسي، 1998م)، ص: 216.

فزاره يومـا فتى وقال يـا للـخيبـة
يا حبّذا لو بـابـه في الـجهة القـبلية
فهدّه جحـا ولـم ينبس ببنـت شـفـة
وراح يبنيه كـمـا قيل لـه بسـرعـة
فجاءه أصحـابه واعترضوا بشـدة
قالوا لو الباب غدا في الجهة الغربية

ولما كثرت الاعتراضات جعل باب الفرن على دولاب، فصار يديره حسب الاعتراض الجديد. وينهي الشاعر حكايته بقوله:

يتعب من يبغي رضـا الناس بـلا مـنفعة
هيئات يرضي الناس شيء فوق هذي الكرة[15]

وهناك حكايات يصوّر فيها الشاعر بعض ما حدث في الحياة اليومية، وفي معظم الأحوال تكون هذه الحوادث تتعلق مباشرة بحياة الأطفال بحيث تظهر شخصية الطفل مصاحبة مع شخصيات من بيئته المجاورة مثل أعضاء الأسرة والحيوانات والطيور الأليفة وغيرها. ومن نماذجها شعر عبد الرزاق عبد الواحد العراقي بعنوان "الطفل والفراشة" نقله أحمد فضل شبلول، يحكي فيه الشاعر حكاية طفل مع فراشة جميلة، وأبياته:

رأيت ذات مـرّة فـراشة مـلـوّنـة
كأنـها لحسنـهـا من ذهب مـكوّنـة
من زهرة لـزهـرة تطير وهي حـالمـة
تحملها أجنـحـة مثل الحرير نـاعمـة
وبينما كنا مـعـا في فـرج نـرقـبهـا
إذا بطفل هائـج بـمضرب يضربـهـا
فافلتت مـن يـده لكن هوت فوق الثرى

[15] الخوري، إسكندر، **المثل المنظوم**، (القدس: مطبعة بيت المقدس، 1938م)، ص: 78.

وقبل أن يلحقهـــا أجـمل مـشهد جـرى
كان أبوه واقـفـــا فهبّ كي يـدركـــها
محتضنا صغيـــره قبيل أن يـمسكهـــا
صاح الصغير باكيا أريـدها يـــا أبـــت
لـكن أبـوه ضمّه إلـيه في مـحـبّـــة
قـال له يـا ولـدي أعـلم كم تـحبّها
لأنـها جـميلـــة جـميعنا نـحـبّـهـــا
لـكنّها رقـيـــقـة يقتلهـــا لـمس اليد
أنقتل الشيء الـذي نـحبّه يـا ولـــدي؟
فوقف الطفل ومـا مـدّ إليها إصـبعـة
وكان يرنو وأبـو ه فرحا يرنو مـــعـه[16]

كانت الترجمة مصدرًا مهمًا لشعر الأطفال، وهي بالنسبة إلى بعض الشعراء قريبة من الاقتباس. ومن نماذجه الشعر القصصي المترجم من حكاية لافونتين بيد محمد عثمان جلال، وهو حكاية الثعلب الذي رأى عنقود العنب الأسود ورغب في تناوله، حاول كل المحاولة للحصول عليه، لكن لم يجد، وعند الرجوع خائبا قال في نفسه: إنه ليس بعنب ناضج ولكن حصرم مرّ، وليس بصالح للأكل :

حـكاية عن ثعلـب قد مرّ تحت العنـب
وشاهد العـنـقود في لـون كلون الذهب
وغيره من جـنبـــه أسـود مثل الرطـب
والجوع قد أودى بـه بعد أذان الـمغـرب
فهمّ يبغي أكـلـة منه ولـو بـالتعـــب
عالج مـا أمـكنه يطلع فوق الـخشـب

[16] شبلول، أحمد فضل، نقلا من الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد، **معجم شعراء الطفولة**،(الرياض: دار المعراج الدولية، 1998م)، ص: 198.

فراح مثل مـــا أتـى وجـوفه في لـهـــب
وقال هذا حـصرم رأيته في حـــلـــب[17]

أساليب الشعر القصصي للأطفال:

الأسلوب هو طريقة التعبير التي يسلكها الشاعر للتعبير عما في نفسه. وهو يلتزم بعناصر محددة مثل الكلمات والعبارات والجمل. ولكن بالنسبة لشعر الأطفال تبين ظاهرة الأسلوب أيضًا، وليس بالعناصر فقط لأنه يتسلم أساليب مختلفة من ناحية المظهر والتصور والتأدي. والالتزام بالبساطة في الأسلوب من أهم خصائص شعر الأطفال. وذلك أصعب وأعظم التحديات التي يواجهها كل من يحاول الكتابة للأطفال: "إن البساطة أصعب من التعمق، وإنه لمن السهل أن أكتب، وأتكلم كلاما عميقا، ولكن من الصعب أن أنتقي، وأتخير الأسلوب السهل الذي يشعر السامع بأنه جليس معه، ولست معلّما، وهذه هي مشكلتي مع الأطفال"[18].

ومن الأساليب الشائعة التي توجد في الشعر القصصي للأطفال:

- **تقمص الشخصيات:** تقمص شخصية الطفل والتحدث بلسانه والتعبير عن ميوله ومشاعره من الأساليب التي توجد غالبا في الشعر القصصي للأطفال. الأديب الناجح هو الذي يتقمص شخصياته فيعيشها في نفسه أو يرى نفسه فيها أو يتكلم مع الطفل كأنما هو في صغر سنه. وهذا الأسلوب يخلق مناخا جيدا للتفاعل والعلاقة بين الشاعر والطفل. ومن أروع مناحي التقمص وأفضلها قبولا للأطفال هو تقمص الأطفال والطيور والحيوانات. وذلك لاتخاذ مواقف الحيوانات والطيور رموزا لما يحدث في عالم البشر. ومن نماذج تقمص الطيور شعر محمود الشلبي الفلسطيني في عنوان "ماذا يقول الديك":

---

[17] جلال، محمد عثمان، **العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ**، (القاهرة: مطبعة النيل، ط1، 1906م)، ص: 14.

[18] قرانيا، محمد، **قصائد الأطفال في سوريا دراسة تطبيقية** (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2003م)، ص: 12.

أنـا في الفجـــر صـــوت النصر
أصحو دومـــا قبل الـــطير
أوقظ أهـــلي بـــصدى الأمـل
أخـــلع عنهم ثوب الكســـل
ريش الـــذنب مثـــل الـــذهب[19]

- **الأسلوب الحواري:** الطريقة الحوارية من أجود الأساليب التي توجد في الشعر القصصي للأطفال، فشخصيات التحاور قد تكون إنسانا أو حيوانا أو جمادا أو مختلطا بين هؤلاء، وفي هذه الطريقة يبدو أيضا أسلوب السؤال والجواب. ومما يزيد من الطرافة والمتعة أن يدور الحوار بين الطفل وشخصية من غير جنسه، ومن نماذجه "نشيد الشمس" لمعروف الرصافي:

الولد:

يـا شمس أيـــن تذهبيـن في الليل بعـــد المغرب؟
فهل تنـــامين كـــما أنـــام في الليل أنـــا؟

الشمس :

كلا فإني لـــم أنـــم لكنني مـــن القـــدم
مثل ســـراج أشتـــعل وفي الســـمـــاء أنتقـل

الولد :

وأين أنت عندمـــا يمسـي الهواء مـــظلما؟
هل لك غـــير أرضنـــا أرض تضـيئين بـــها؟

الشمس :

إذا غـــربت عنـدكم طلعت عند غـــيـــركمْ
إن المســـاء هـــهنا هنـــاك صبح وســـنا[20]

---

[19] الشلبي، محمود، **الديك والنهار**، (عمان: رابطة الكتاب الأردنيين، 1982م).

[20] الرصافي، معروف، **مجموعة الأناشيد المدرسية**، (القدس: د. ن، 1923م) ص: 22.

- **التعبير الذاتي:** ومن الأساليب التي توجد في الشعر القصصي التعبير الذاتي والتحدث عن النفس بدون متحدث خارجي. فتحدث الحيوانات والمظاهر الطبيعية على ألسنتها لتبادل المعلومات عن حقائقها ووجودها أمام الصغار أشوق وأوفى من أن يلقيها الشاعر بصورة مباشرة على لسانه. ومن أمثلته "أغنية القمر" للشاعر السوري محمد منذر لطفي، وفيه يعرّف القمر عن نفسه:

إنّـــني البدر المنـــــير إنّني الــضوء الــوفــيــر
أنـــا في الجوّ أمـــــير وعـــلى الأرض أمـــيـــر
أغمر الكون ببحر الـ نــور كي يحـــلو المسير
أغـــزل الأحـلام للنا س غـــــنـيّا وفـقـــيـر
أتهادي في الأمـــاسي ثمّ أمـــــضي في البكور[21]

-الأسلوب القصصي: وهناك أشعار قصصية تبدأ كما تبدأ القصة بأسلوب يستخدم تنبيها إلى بدء القصة، وإن لم يحتفظ الشاعر البساطة وعدم التعقيد والعناية في تتابع الأحداث بدقة وسهولة يملّ الأطفال من طول هذه الأبيات. "وكثيرا ما يقدم للقصة أو الحكاية الشعرية بتمهيد يتوجه فيه بالخطاب إلى الأطفال هادفا إلى تشويقهم وجذبهم، ولافتا إلى الفكرة أو العظة التي يستهدفها"[22]. ومن أمثلتها الشعر بعنوان "قصة أرنب" للشاعر كامل كيلاني. بدأ الشاعر أبياته بتزويد فرصة للتدبير باستخدام بعض السطور. يبدو في هذا الشعر جمال الوصف حيث يصف الشاعر الغابة والجسر والطقس ليفهم الأطفال كيفية خروج الأرنب والصياد. وقد نجح الشاعر في إعمال خيال الأطفال بوضع بعض القطع الاستفهامية أثناء السطور، مستخدما بحر المتدارك.

---

[21] لطفي، محمد منذر، **وطني يا أغلى الأوطان**: مجموعة شعرية للأطفال، (أبوظبي: منشورات جائزة أنجال الشيخ هزاع بن زايد آل نهيان لثقافة الطفل العربي، 2004م)، ص: 7.

[22] عيسى، د. فوزى، **أدب الأطفال: الشعر – مسرح الطفل- القصة- الأناشيد**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008م)، ص: 46.

اسمع منّي مـــا أحكيه
اسمـــع قولي فكّر فيه
اسمع منّي قصة أرنـــب
اسمع تفهم اسمع تعجب
وسط الغابة نهر يجري
وثلاث من عالي الشجر
مرتفعات فـــوق النهـــر
فهنا شجرة، وهنا شجرة وهنا ثالثة الأشجار

عند الجسر

اليوم جـــميل والوقت أصيل
هـــذا أرنـــب أقبل يـجري
أيـن سيذهب؟ أنـــا لا أدري
يجري عطشان يجري حيران
يجري يجـري نـــحو الـنهر
ذهب ليشـرب عند الـــجسر
وسط الغابة نهـــــر يجري
وثلاث من عالـــــي الشجر
مرتفعات فـــــــوق النهر
فهنا شجرة، وهنا شجرة وهنا ثالثة الأشجار

هذا صياد

هذا رجـــل أقبل يجـــري
هذا صيّـــاد أقبل يصطاد
قل للأرنب: أسرع واجـــر
هل يدركه؟ من ذا يدري؟!

وسط الغابة نهـــر يجري
وثلاث من عالـــي الشجر
مرتفعـات فـــــوق النهر
فهنا شجرة، وهنا شجرة وهنا ثالثة الأشجار

وراء الشجر

هرب الأرنب ومضى يجري
خلف الأشجار بين الأزهـــار
أين سيـذهب؟ أنـا لا أدري؟!
أنـا لا أدري أنـــا لا أدري
وسط الغابة نهر يجـــــري
وثلاث من عالي الشـــجر
مرتفعـات فوق النـــــــهر
فهنا شجرة، وهنا شجرة وهنا ثالثة الأشجار

نجاة الأرنب

سمـــع الأرنب عند الـجسر
صوت رصاص فمضى يجري
حـظّ نـجّـــاه مـــن عند الله
نـــجّى الأرنب طول الـــعمر
وسط الغابـة نهر يجري
وثلاث مـــن عالي الشجر
مرتفعـــات فـــوق النهر
فهنا شجرة، وهنا شجرة وهنا ثالثة الأشجار[23]

[23] كيلاني، كامل، **ديوان كامل كيلاني للأطفال** (القاهرة: موقع صفحات، 2011م)، ص: 46-48.

خاتمة البحث:

يساهم الشعر القصصي للأطفال في تنشئة الأطفال وتربيتهم تربية متكاملة حتى تنمو الجوانب الوجدانية والمشاعر والأحاسيس لديهم وتشبع حاجاتهم النفسية المتعددة. فهو يزودهم بالحقائق والمفاهيم، كما يمدهم بالألفاظ والتراكيب التي تنمي ثروتهم اللغوية، فيقتدرون على استخدام اللغة استخداما سليما. ومن خلاله تحقق أهمّ الأهداف التي تختصّ بشعر الأطفال: تحقيق المتعة وإثارة البهجة، والتسلية والإمتاع وملء الفراغ، وإثراء الخيال وتنمية القدرات على الابتكار، وتنمية الذوق والحسن الفني والأدبي، والإسهام في النمو الاجتماعي والعقلي والعاطفي والذوق الجمالي، وتثقيف العقول وتهذيب النفوس، وتنمية حب التنغيم والإنشاد، والترغيب في اكتساب المهارات التعليمية عن طريق الإنشاد، وتنمية القدرات اللغوية بزيادة المفردات اللغوية وزيادة القدرات على الفهم والقراءة، وصقل المواهب والإبداع، والتبصير بالقيم الخلقية الفاضلة، والتعريف بالمجتمع ومقومات هذا المجتمع، وتعزيز الوعي الاجتماعي وترسيخ الشعور بالانتماء إلى الوطن والأمة، وإيجاد الاتجاهات الاجتماعية السليمة. لا ريب أن الشعر القصصي من أهم الأشكال الأدائية لشعر الأطفال لما فيه من فرصة لتتبع الأحداث وتخيل الشخصيات والميل إلى المحاكاة والتوجه نحو المتعة والتسلية والهدي إلى التهذيب النفسي والأخلاقي والتربوي.

المصادر والمراجع:

- أبو معال، عبد الفتاح، دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم، الأردن: دار البشير للنشر والتوزيع، 1986م.
- جلال، محمد عثمان، العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ، القاهرة: مطبعة النيل، ط1، 1906م.
- الحديدي، دكتور علي، في أدب الأطفال، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1988م.
- الخاني، الدكتور أحمد، أدب الأطفال، (شبكة الألوكة).
- الخوري، إسكندر، المثل المنظوم، القدس: مطبعة بيت المقدس، 1938م.
- داؤد، د. أنس، أدب الأطفال في البدء كانت أنشودة، (الإسكندرية: دارالمعارف، 1993م.

- الرصافي ،معروف، مجموعة الأناشيد المدرسية، القدس: د. ن، 1923م.
- زلط، د. أحمد، أدب الطفل العربي- دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، الهرم: دار هبة النيل للنشر والتوزيع، 1998م.
- سويلم، أحمد، محمد الهراوي شاعر الأطفال، القاهرة: المركز القومي لثقافة الطفل، 1987م.
- الشافعي، محمدي حسن، قصص الأنبياء وقصص القرآن نثرا وشعرا، الكويت: مكتبة ابن كثير، 2001م.
- شبلول، أحمد فضل، جماليات النص الشعري للأطفال، القاهرة: الشركة العربية للنشر والتوزيع 1996م.
- شبلول، أحمد فضل، معجم شعراء الطفولة، الرياض: دار المعراج الدولية، 1998م.
- الشلبي، محمود، الديك والنهار، عمان: رابطة الكتاب الأردنيين، 1982م.
- شلحت، جرجس، النخبة من أمثال فنلون، حلب: المطبعة المارونية، 1910م.
- شوقي،أحمد، الشوقيات، مصر: مطبعة الآداب والمؤيد، ط1، 1898م.
- الفاسي، علال، ديوان علال الفاسي ج1، الدار البيضاء: منشورات مؤسسة علال الفاسي، 1998م.
- قرانيا، محمد، قصائد الأطفال في سوريا دراسة تطبيقية، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2003م.
- كنعان، الدكتور أحمد علي، الطفولة في الشعر العربي والعالمي، دمشق: المطبعة العلمية، 1995م.
- كيلاني، كامل، ديوان كامل كيلاني للأطفال، القاهرة: موقع صفحات، 2011م.
- لطفي، محمد منذر، وطني يا أغلى الأوطان: مجموعة شعرية للأطفال، أبوظبي: منشورات جائزة أنجال الشيخ هزاع بن زايد آل نهيان لثقافة الطفل العربي، 2004م.
- الهيتي، د. هادي نعمان، ثقافة الأطفال، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978م.
- وليد، محمد، ديوان: أشواق الغرباء، ط. جدة، 1988م.

الدكتور طارق البكري وجهوده في مجال أدب الأطفال

هدى كاظمي *
Email: hudaqazmi@gmail.com

ملخص البحث:

يعد الدكتور طارق البكري من أشهر كتّاب وروّاد أدب الأطفال في العصر الراهن، فهو يحتل مرتبة مرموقة في مجال أدب الأطفال، ويحاول في قصصه المساعدة في إرساء القيم الإسلامية التربوية في شخصية النشء العربي.

في سجله أكثر من 500 قصة قصيرة للأطفال، وأكثر من 10 روايات للناشئة، فضلاً عن دراسات ومقالات متنوعة عديدة تتعلق بأدب الطفل. يتولى حالياً رئاسة تحرير مجلة (كونا الصغير) التي تصدر في الكويت، كما أنَّه يدرِّس مقررات جامعية تتعلق بالقصة والرواية عامة، وأدب الطفل خاصة، إضافة إلى مقرر خاص بمهارات اللغة والكتابة والتأليف، وأشرف لسنوات طويلة على إصدار صفحات متخصصة للأطفال في جريدة (الأنباء) الكويتية، إلى جانب مشاركته بكثير من لجان التحكيم الخاصة بجوائز بأدب الطفل.

ويعالج هذا البحث بعض إسهامات الكاتب البكري في مجال أدب الأطفال، ويتناول التحليلَ الوصفي لبعض آثاره المهمة المتضمنة لموضوعات عديدة، مع إشارة خاصة إلى إسهامه في مجلة (كونا الصغير)، ودوره في تثقيف الطفل العربي.

كلمات مفتاحية: طارق البكري، القيم الاجتماعية والأخلاقية، كونا الصغير.

Abstract:

Dr. Tariq Ahmed Bakri is one of the most famous writers and pioneers of children's literature in the current era, who has achieved a distinguished position in the field of children's literature. He tries in his stories to instill Islamic and moral values into the hearts of children. He has written more than 500 children's stories and many books. Some of his major works have been translated into French, English, Russian and other languages. Currently he is the editor of the magazine "Kuna Al Saghir" for children.

* باحثة، قسم اللغة العربية، جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية، حيدرآباد، الهند.

This article will deal with noble values, principles and different thematic axes in the stories of Dr. Tariq Bakri, besides a brief introduction to his life and works.

مقدمة:

أدب الأطفال وسيلة مهمة لغرس مجموعة القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية والوطنية، والمعرفة والثقافة، وقيم الحياة العلمية والعملية، مما يساهم بتكامل الشخصية الإنسانية التي هي بمنزلة مستقبل العالم.

ويحاول كل كاتب لأدب الأطفال أن يمهّد للأطفال واليافعين الطريق إلى التطور الفكري والأدبي والثقافي والتربوي بإنتاجاتهم الأدبية. وقد اهتم الدكتور طارق أحمد البكري في إنتاجاته الأدبية بنشر الوعي الفكري، وغرس القيم الخُلقية والخصال النبيلة في قلوب الأطفال، وتثقيفهم وتربيتهم تربيةً إسلاميةً شاملةً، كما أكَّد في مؤلفاته على أهمية تعليم اللغة العربية وحبها واحترامها لكونها لغة القرآن الكريم.

وطارق البكري كاتب وإعلامي لبناني مقيم في الكويت منذ عام 1993، ويعد من أعلام أدب الطفل في القرن الحادي والعشرين، وله دور كبير في مجال تطور أدب الطفل في دولة الكويت خاصةً وفي العالم العربي عامةً، وله محاولات دؤوبة في بناء شخصية الطفل العربي، وله ذوق عميق ورؤية ظاهرة، وهدف صالح لتربية الأطفال، وتزويدهم بالقيم العلمية والعملية.

مسيرة حياة البكري:

أبصر أديب الأطفال د. طارق أحمد البكري النور في بيروت- لبنان عام 1966م[1]، وانتقل إلى الكويت عام 1993م[2]. درس اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وحصل على شهادة الماجستير من جامعة الكويت عن دراسة بعنوان "كامل كيلاني رائدًا لأدب الطفل العربي: دراسة في اللغة والمنهج والأسلوب"[3]. ونال شهادة الدكتوراه عن

[1] حصلت على هذه المعلومات من سيرة الكاتب الذاتية التي أرسلها إلي.

[2] المصدر نفسه.

[3] عالم، محمد محبوب، "حوار صحفي حول أدب الطفل وإبداعه مع د. طارق البكري"، مجلة **الجيل الجديد** www.aljeelaljadeed.in، ع4، ج2، 2019م، ص: 205.

دراسة بعنوان "مجلات الأطفال الكويتية ودورها في بناء الشخصية الإسلامية" من جامعة الإمام الأوزاعي الواقعة في مدينة بيروت[4]. وحاز على جائزة الملك عبد الله الثاني في مجال أدب الأطفال عام 2014م[5]، كما حصل على الدرع الذهبي من جمعية الصحافيين الكويتية وغيرها من الشهادات والتكريمات.

بدأ البكري كتابة القصص للأطفال وهو في سن مبكرة، حتى تجاوزت نحو 500 قصة، نشر كثير منها في صحف ومجلات ومواقع عربية مختلفة، وله إصدارات عديدة ومن أبرزها (50 قصة قصيرة للأطفال) في ستة أجزاء[6]، عن دار (الرقي) اللبنانية، وله مجموعة من الروايات للناشئة، وعدد كبير من الأبحاث والدراسات المختصة بالأطفال، نُشرت داخل الكويت وخارجها، كما كتب لمجلات في لبنان والكويت والجزائر والمغرب والإمارات والمغرب وسوريا والأردن، ومنها في الكويت: العربي الصغير، براعم الإيمان، أسرتي، أولاد وبنات، وأجيالنا، إضافة إلى صفحات أسبوعية متخصصة للأطفال في جريدة الأنباء. وترجمت بعض أعماله القصصية إلى الفرنسية والإنجليزية والروسية والكردية والبلغارية[7]، ويتم حاليًا ترجمة بعض أعماله إلى اللغة الأردية. وما يدل على براعته ومهارته في هذا الفن هو أن عددًا من الدول العربية اختارت بعض قصصه لتكون ضمن المنهج الدراسي الرسمي، ومنها: دولة الكويت، سوريا، قطر، فلسطين، المغرب، الجزائر، الإمارات العربية المتحدة.

وأولى مجموعاته القصصية صدرت في العاصمة السورية دمشق، وكانت بعنوان (العلماء الصغار) في (دار الحافظ)، و(الفيل فيلو) عن (دار المكتبي)، و(الغابة الغابة) عن (دار العيساوي)، وتبعتها لاحقًا مجموعات كثيرة رسمها الفنان الفلسطيني الراحل إياد عيساوي والفنانة السورية منال محجوب، في سلسلة قصص منها: أطفال الانتفاضة، أبطال الإسلام، جراح ساخنة، جراح على الطريق، جراح

---

[4] المصدر نفسه.

[5] حصلت على هذه المعلومات من سيرته الذاتية.

[6] مجلة **الجيل الجديد**، ع4، 2019م، ص: 205.

[7] البكري، د. طارق، "سيرة إبداعية"، **مجلة الطفولة العربية**، ع74، 2018م، ص: 107.

تحت الشمس، نافذة الفرح، أحمر الشفاه، حكايات عربية، الحمار حمور.. وكتاب (مدرستي الخضراء) مع الباحث الدكتور عبدالله بدران، وهو كتاب يهتم بالبيئة أصدرته الجمعية الكويتية لحماية البيئة.

ومن السلسلة الإسلامية الشهيرة التي أصدرتها له مبرة الآل والأصحاب: (أبو بكر الصديق والرسالة الإلكترونية) و(الشيخ والأصدقاء)، اللتان تضمنتا الكثير من الجوانب المضيئة في العلاقة الطيبة بين آل النبي (صلى الله عليه وسلّم) وصحبه الكرام (رضي الله عنهم).

كما صدرت له قصص قصيرة متنوعة منها: الشمس التي أحبها وتحبني، صديقتي المخطئة عفوًا، لعبة الحب، البقرة التي تبيض، لعبة الحب، عندما مات أخي، كان أبي طبيبًا.. ومن رواياته الفكاهية، روايتا: سباق في الزقاق، ومغامرات بونزي.

ومن رواياته الأخرى للناشئة: سر الحقيبة، الأميرة كهرمان، منير.. الأبيض لا يليق بكم، كوابيس نورة، عناقيد الكرز، البوسطة، لغز المدينة المسجونة، وجه القمر، للقمر وجوه كثيرة، للقمر وجه واحد.. وطبعت هذه الروايات في دول عدة منها الكويت وسوريا والأردن ولبنان والإمارات ومصر والجزائر[8].

وأسندت للدكتور طارق البكري العديد من المهام التي لها علاقة بالأطفال؛ ومنها بعد انضمامه إلى قسم التحرير في وكالة الأنباء الكويتية (كونا) تولى رئاسة تحرير مجلة (كونا الصغير)، علاوة على التدريس في كلية التربية الأساسية والجامعة العربية المفتوحة في الكويت، ومشاركته في عضوية لجان عدة لمسابقات وجوائز في مجال أدب الطفل، مثل: جائزة الأمانة العامة للأوقاف الكويتية، وجائزة قطر الدولية لأدب الطفل، وجائزة الملك عبدالله الثاني في الأردن، وجائزة جامعة الأميرة نورة لروايات الناشئة، وجائزة المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون والآداب[9].

[8] المرجع نفسه، ص: 107-108.

[9] حصلت على هذه المعلومات من سيرته الذاتية.

كما تولى البكري مهمة نائب رئيس تحرير مجلة (غراس) الصادرة عن اللجنة العليا للوقاية من المخدرات في الكويت، ومدير تحرير مجلة (مبرة الآل والأصحاب)، وكان مستشارًا لتحرير لمجلة (أجيالنا)، وسكرتيرًا لتحرير مجلة (التقدم العلمي) الصادرة عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.. وغيرها من المهام[10]، منها مستشار إعلامي لرئيس اللجنة العليا للعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الكويت.

ومن المتعارف عليه بين الباحثين أن الكتابة للأطفال ليست بالأمر السهل اليسير، إذ تتطلب كثيرًا من الشروط الحرفية والخبرات والمعارف العلمية والإنسانية إلى جانب الموهبة، والكتابة عامة تحتاج في طبيعتها إلى تأمل طويل، كما أن الكتابة للطفل تتطلب معرفة بالطفولة والتربية، وحسن اختيار المناسب لمستوى الأطفال في مراحلهم العمرية المختلفة.

والكتابة للطفل من منظور الدكتور البكري: "ليست غاية في ذاتها أو سبيلاً لغاية، بل هي غاية عند الأديب المحب المجد، يقصدها الجامحون المولعون، بلا تطلعات أو أهداف ذاتية، هم يتلذذون إذا كتبوا، ويستمتعون إذا انتهوا، لا يمنعهم بلاء ولا وباء، ولا قلة نشر أو انتشار، ولا مانع من الموانع من المضي قدمًا كالثوار، مؤملين النفس بجيل من الأحرار، يمضون نحو الهدف بصبر وإصرار، ولا يملون الانتظار، حتى وإن لم يكن الحصاد الطيب سريعًا وفيرًا، وكانت الظلمة السخية على الدرب جاثمة، والأنوار الساطعة ضعيفة باهتة"[11].

ويميز ذلك أن المؤلف البكري بدأ كتابة قصص الأطفال في مرحلة مبكرة من حياته، ثم جعل الكتابة الهادفة ديدنه، إذ يقول: "بما أني لا أرى نفسي في الواقع غير كاتب للأطفال، فإن عملي كصحافي أو كأستاذ جامعي لم يكن يومًا من الأهداف الكبرى في حياتي، فكل عمل أحبه وأسعى إليه لا بد وأن تكون له

[10] المصدر نفسه.

[11] **مجلة الطفولة العربية**، ع74، ص: 103.

علاقة مباشرة بالطفل، فالكتابة للطفل والحياة للطفولة تمثلان هاجسي الأوّل والدائم في كل مكان أخطو إليه، وفي كل وظيفة أعمل فيها"[12].

نظرة على الموضوعات الرئيسة التي يعالجها البكري بإنتاجاته الأدبية:

ذكرت سابقًا فإن أدب البكري يركّز على بناء شخصية الطفل العربي تركيزًا خاصًا، ويسعى لكي يكون أدب الطفل العربي متحليا بالثقافة العربية والإسلامية، كما يحاول غرس القيم الأخلاقية والسلوكات السليمة في مجتمعاتهم من خلال غرسها في نفس القارئ الصغير، كما أنه يقدم له معلومات متنوعة تتصل بما يحدث في أرجاء العالم.

كتب الدكتور البكري القصص لجميع مراحل الطفولة، فهو يراعي في إنتاجاته مستوى أعمار القرّاء حسب متطلبات العصر لتلبية ما يحتاجون إليه من الموضوعات التي تساعد على صقل أخلاقهم، وتزكية نفوسهم، وتحسين عاداتهم ومعتقداتهم الشرعية على النمط الإسلامي، والتي تساهم في بناء أفكارهم وشخصياتهم المثالية.

الموضوع الديني: الإسلام دين فطري ودين فكر وعمل، والإسلام أحاط بجميع جوانب الحياة، سواء كانت تربوية أم اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية... وقال الله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً" (البقرة: 208). ويجب على المؤمن أن يلتزم بأحكام الدين في جميع شؤون حياته، فالفرد منذ نعومة أظفاره في أمس حاجة إلى التعاليم الإسلامية ليكون مدركًا لها، وكثير من الأدباء أدركوا هذا الجانب المهم ليضطلعوا بهذه المسؤولية العظيمة من خلال إنتاجاتهم الأدبية، و"تكون الحاجة أكبر لتأصيل هذا الجانب حين يكون الأدب موجهًا للطفل، فأدب الأطفال القائم على أسس إسلامية وعلمية سليمة، يلعب دورًا كبيرًا في إلقاء التوازن النفسي لدى الطفل، ويحميه من العلل النفسية الكثيرة...، أو في تخفيف ما ينتاب الطفل منها بل علاجه الحاسم"[13].

---

[12] المرجع نفسه، ص: 106.

[13] الغامدي، نورة بنت أحمد بن معيض، **قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق عرض وتقويم**، (رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص أدب أطفال، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم

ونظرًا إلى أهمية التربية الدينية للأطفال فقد اهتمّ البكري أيضًا بصفته أديبًا مسلمًا اهتمامًا كبيرًا بالتعاليم والتوجيهات الدينية في قصصه بهدف تربية الأطفال، وتنشئتهم على نهج الإسلام، وحاول بث الوعي الديني للأطفال لأن لمعرفة الدين أثرًا بعيدًا في التربية وفي ترسيخ العقيدة الصحيحة، وفي اكتساب المعارف الإسلامية والأحكام الشرعية والآداب والأخلاق النبيلة، ومن هنا كانت رسالته في الدكتوراه حول (مجلات الأطفال ودورها في بناء شخصية الطفل المسلم)، ومن أجل ذلك كتب الكثيرَ من القصص التي يستهدف من خلالها غرس الشعور الديني الواعي لدى الأطفال.

وأذكر هنا نموذجًا من قصة (الشيخ والأصدقاء)، وهي قصة تتناول العلاقة الحميمة بين الفاروق عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) بلسان الشيخ الكريم الذي ألقى هذه القصة أمام الأطفال الأصدقاء: "نظر الصغار نحو الشيخ الكبير، كانوا يعرفونه جيدًا، فهو يحافظ على الصلاة دائمًا في المسجد، لكنهم لم يروه سابقًا في غير أوقات الصلاة، فنادرًا ما يخرج من بيته لغير الصلاة. لم يكن كثير الكلام، يؤدي الصلوات في أوقاتها، يجلس في زاوية من زوايا المسجد، يقرأ صفحةً أو صفحتين من القرآن الكريم، ثم يعود إلى بيته مستندًا إلى عكازه، يستند إليها وقد انحنى ظهره، وتطاولت لحيته البيضاء الناعمة، التي كانت تلمع تحت أشعة الشمس، فتبدو في حسنها وجمالها مثل الذهب اللامع المضيء"[14].

وصف الكاتبُ هنا الشيخ الكريم وما اتصف به من أعمال وأوصاف، ومنها إقامة الصلاة وتلاوة القرآن، لأن الكاتب يستهدف تعويد الأطفال على إقامة الصلاة والمحافظة على أوقاتها، لأن الصلاة هي العبادة الأولى الموقوتة التي يأمر الله عباده بها بعد دخول الإسلام والإيمان بالله، "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا" (طه: 132). وقد

القرى، 2011م)، ص: 69، (نقلاً عن نجيب الكيلاني، **أدب الأطفال في ضوء الإسلام**، مؤسسة الرسالة، ط4، 1996م، ص: 128).

[14] البكري، د. طارق، **الشيخ والأصدقاء**، مبرة الآل والأصحاب، (مركز البحوث والدراسات بالمبرة، ط1، 2008م)، ص: 8-9.

حثّ الرسول عليه الصلاة والسلام على إقامة الصلاة وتعليمها للأطفال إذا بلغوا سبع سنين، فقال عليه الصلاة والسلام: "مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"[15]. وكذلك يذكر تلاوة القرآن الكريم كي لا تخلو أذهان النشء من المصدر الأول للإسلام. وتبين القصة للأطفال العلاقةَ الحميمة بين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، واتخذ القاص الطريقة الحوارية لترسيخ الفكرة الإسلامية في وجدان الطفل وعقله.

الموضوع الاجتماعي: "الإنسان اجتماعي بطبعه، فهو لا ينفك عن تكوينه الاجتماعي الذي يولد فيه؛ بدءًا من الوالدين والأسرة (نواة المجتمع الأولى)، وانطلاقًا إلى المجتمع الكبير الذي يخرج إليه المرء في مستقبل عمره؛ فيحتاج في ذلك إلى ما يشد من أزره خلال اقتحامه لهذا الميدان الواسع من ذخيرة لغوية ملائمة، وسلاح ثقافي معرفي، وقيم ومثل عليا، وخيرات تعضده"[16].

والهدف من تعليم القيم الاجتماعية تربية الطفل على العمل بالطرق المناسبة في المجتمع، وتعتبر القصة من أهم الأدوات لتثقيف الأطفال وتشكيل أفكارهم وتقويم سلوكاتهم، وزيادة معارفهم، والسمو بلغتهم وتنمية أذواقهم وصقل مواهبهم وشحذ أذهانهم.

ولقد بني المجتمع على الفرد، فصلاح المجتمع في إصلاحه وفساده في إفساده، لذا كان لزامًا على المربين القيام بإعداد أجيال مؤمنة صالحة قادرة على مواجهة تحديات العصر بروح الصلاح والإيثار والأخوة والتعاطف والتسامح وعدم العنف.

وكتب البكري قصصًا عالج فيها أبعادًا اجتماعيةً متنوعة، فكتب عن السلوكات والطبائع المجتمعية، وأشار إلى بعض العادات السيئة والسلوكات اللاأخلاقية، وكذلك بعض الجرائم السائدة في مجتمعاتنا. ويتجلى ذلك في رواية (للقمر وجوه

[15] أخرجه أحمد في المسند 187/2، وأبو داود في السنن، كتاب الصلاة، رقم: 494.

[16] الغامدي، نورة بنت أحمد من معيض، **قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق عرض وتقويم**، ص: 105.

كثيرة) التي صدرت في طبعتها الأولى عن اللجنة العليا لمكافحة المخدرات في الكويت (غراس)، ثم صدرت في عدة طبعات وكانت طبعتها الأخيرة بعنوان (للقمر وجه واحد) عن (دار المكتبي) في دولة الإمارات العربية. وتعالج هذه الرواية بين دفتيها قضية إدمان المخدرات في المجتمع العربي.

ولا شك أن هذه القضية قضية جدية؛ فإدمان المخدرات من أكبر المشكلات التي يواجهها أي مجتمع، حيث تزداد في كل عام أعداد المدمنين مع زيادة أنواع المخدرات، وأظهر (تقرير المخدرات العالمي للأمم المتحدة) ارتفاع نسبة التعاطي في العالم إلى نحو 271 مليون شخص[17]. وشهدت الدول العربية، ومنها دول الخليج العربي، ارتفاعًا كبيرًا في عدد مدمني المخدرات. ووفقًا لأرقام غير رسمية فإن عدد المدمنين في العالم العربي تجاوز 10 ملايين مدمن[18].

ومن المعلوم أن المخدرات تسلب القيمة الإنسانية ممن يتعاطاها، وتجعله لا يقدر حتى على قيادة نفسه وأسرته وإدارتها بصورة سليمة، لذا نرى الأفراد الذين يتعاطون المخدرات يعانون هم وأسرهم، فلا يستطيعون العيش بحياة سليمة، لأن أموالهم تُنفَق في سبيل المخدرات، حتى إن أولاد المدمنين ربما لا يستطيعون تحصيل العلم مما يؤدي إلى انغماسهم في الجرائم مستقبلاً لعدم توفر وسائل العيش السليمة وقلة المال.

وتتمحور الرواية حول قضية زياد، الطالب في كلية الطب الذي أدمن المخدرات بعد وفاة والديه في حادثة، فسيطر عليه الحزن الشديد حتى ألزم نفسه بالبيت، وقطع صلاته بالعالم الخارجي، وبدأ يدمن السجائر المحشوة بالمخدر بحيلة شخص خدعه وسلب منه جميع الممتلكات التي ورثها من أبويه، بتوقيعه في حالة غياب العقل بسبب المخدرات، فقد كانت المحنة قوية ولم يستطع الصمود أمامها.. فسقط في آفة الإدمان.. ولكن في نهاية الرواية عاد الشاب إلى حالته الأولى وترك تعاطي المخدرات.

---

[17] World Drug Report 2019, United Nations, Office on Drug and Crime, www.unodc.org/unodc/en/frontpage/2019/June/world-drug-report-2019_

[18] **الخليج أونلاين**، "إنفوجرافيك.. أكثر الدول العربية تعاطيًا للمخدرات وأشهر أنواعها" www.alkhaleejonline.net، تاريخ النشر: 24 أبريل 2018م، تاريخ الزيارة: 12 نوفمبر 2019م.

ومن جميل ما ذكره الكاتب في الرواية هذا المقطع القصير: "لم يكن زياد في سني عمره التي لم تجاوز الواحدة والعشرين مثل أقرانه الشباب اليافعين.. اللحظات النادرة التي كان يظهر فيها في الشارع الذي يقع فيه منزله لا تحدث دائمًا.. فمنذ ذلك اليوم الحزين لم يخرج إلى الضوء إلا لضرورة.. كان خروجه يقلُّ بتدرج منتظم مع الأيام، حتى انقطع عن الظهور أمام النَّاس تمامًا.. طلب من حارس البيت الذي يقطن فيه أنْ يؤمِّن له حاجاته الأساسية مرة واحدة في الأسبوع، دون تواصل مباشر بينهما، فحاجاته بسيطة متكررة، وليس عنده طلبات يومية جديدة.. حتى نوع الطعام كان يختاره الحارس له على مزاجه.. لم يعترض زياد يوماً.. ولم يشتهِ نوعًا محددًا من الطعام.. المهم أن تكون مع كلِّ وجبة (سلطة الخسَّ مع جبنة بلغارية) كما كانت أمُّه تفضِّلها.. ولو اضُّطر لحاجة ضرورية -ولا يحدث هذا إلا نادرًا- يكتبُ للحارس ما يريد على ورقة صغيرة ثم يعطيه إيَّاها من وراء الباب... وعندما يأتي الحارس يضع الطعام وما يطلبه عند الباب.. ثم يقرع الجرس ويرحل.."[19].

ويهدف الكاتب من خلال هذه الرواية إلى تنفير الشباب من المخدرات المؤدية إلى الضياع والذل والهوان في كل مناحي الحياة، وتحتوي الرواية على عدد كبير من القيم التربوية والتعليمية التي يود الكاتب غرسها في نفوس الناشئة والشباب بأسلوب جذاب ممتع وملائم للسن المستهدفة ومنها:

-**الإيمان الكامل بالموت**: لم يسلم بطل الرواية زياد بوفاة والديه، ثم أصبح مدمنًا للمخدرات لكي ينسى الحزن البالغ الذي ساوره بموتهما، فلم يستسلم لقدر الله، ولكن بعدما عاد إليه رشده أدرك حقيقة الكون، "الأبوّة ليست نزعة تشبعية، بل رغبة باستمرار حياة مثل شجرة تزهر وتثمر ثم تسقط أوراقها ليلاد جديد.. لحياة عتيدة"[20].. فالموت قدر من أقدار الله لا يستطيع أحد أن يفر من هذا القدر، وهو

[19] البكري، د.طارق، **للقمر وجوه كثيرة**، المشروعْ التوعوي الوطني للوقاية من المخدرات (غراس)، 2013م، ص: 5-6.

[20] المرجع نفسه، ص: 59.

كأس لا بد أن يتجرعها الجميع في أجل مسمى، وهذه هي عقيدة راسخة دعا الإسلام إلى الإيمان بها إيمانًا قويًا.

-**محاسبة النفس**: خاطب زياد نفسه بعدما عاد إلى نفسه وفكر في خطيئته التي وقع فيها باستسلامه للحزن قائلاً: "لا عذر لي.. كيف سأقابل الناس الذين احتضنوني بعطفهم بعد أن جافيتهم بقسوتي"؟[21]، وهذا دليل التراجع عن الخطأ، فالإنسان عليه التمييز ومحاسبة النفس دائمًا، ومراقبة ما يفعل من خير وشر. كما نلاحظ في الرواية المواقف التي تشجع على الالتزام بالوفاء والصدق والأمانة وعدم الخيانة وتجنب الخداع والحيلة.

الموضوع البيئي:

الإنسان كما يقال: ابن بيئته. والبيئة هنا "المكان الذي يعيش فيه الإنسان يتأثر ويؤثر فيه، كما أنها تعني العناصر الطبيعية والحياتية التي توجد حول الكرة الأرضية وداخلها: الغلاف الغازي ومكوناته والطاقة ومصادرها والغلاف المائي وسطح الأرض وما يعيش عليها من نباتات وحيوانات وإنسان بمجتمعاتها المختلفة. كل هذه العناصر تكوِّن البيئة، كما تضم البيئة مستقبل الإنسان وتصوراته وآماله وأمانيه"[22].

أما الثقافة البيئية التي يُقصد إليها للأطفال فهي تتعلق بسلامة الأرض ونقاء الهواء، وتوفير الماء الصافي. فعلى أدباء الأطفال أن يبثوا الوعي البيئي لدى الأطفال من أجل الاحتفاظ بالبيئة وحمايتها. وسيواجه أطفال اليوم تحديات بيئية بسبب تغير المناخ، وتلوث المحيطات، وقلة المياه. وفي وقت التكنولوجيا يرى الطفل أمامه آثارها في حياته ولا بد أن يدرك مكانة الطبيعة وأهميتها لبقاء العالم كله.

وقد اهتم الدكتور البكري بالشؤون البيئية وأهميتها بالنسبة إلى الأطفال وكتب قصصًا تعالج قضايا البيئة والعناية بها، كما أن له كتابًا مهمًا بالاشتراك مع الدكتور عبد الله بدران بعنوان (مدرستي الخضراء)، في مجال نشر الوعي البيئي

---

[21] البكري، د.طارق، **للقمر وجوه كثيرة**، المشروع التوعوي الوطني للوقاية من المخدرات ص: 57.

[22] الغامدي، نورة بنت أحمد من معيض، ص: 118، (نقلاً عن منصور إبراهيم الحارثي، "ثقافة الطفل إبداع وابتكار" من كتاب (ملتقى بحوث ثقافة الطفل)، ص: 882).

لدى الأطفال. وأذكر من هذا الكتاب نموذجًا وهو قصة ممتعة بعنوان "الإنسان الصالح"، تشجِّع الأطفال على حماية البيئة وتنمي حبهم للطبيعة.

"**مشعل:** قرأت مرة في أحد الكتب أن الإنسان الصالح هو الإنسان الذي يحافظ على البيئة من حوله، مثل البيت والمدرسة والشوارع والحدائق العامة، ولا يرمي النفايات إلا في الأمكنة المخصصة لها.

دلال: إنك عضو في جماعة البيئة في المدرسة، فما اقتراحاتك بهذا الشأن؟

مشعل: هنالك أشياء يمكن أن نفعلها في البيت والمدرسة، وكل مكان نكون فيه. ولما كنا في بداية العام الدراسي. فإن علينا واجبات كثيرة، منها:

- تجنب إثارة الضوضاء، ورفع الصوت في الممرات والفصول والساحات.
- الحرص على بيئة مدرستها ونظافتها، والاهتمام بزراعتها وتخضير ساحاتها، والمحافظة على الأشجار الموجودة فيها.
- التخلص من القمامة بطريقة سليمة: لمنع انتشار الأمراض، والتخلص من المخلفات الصلبة عن طريق عملية تدوير النفايات القابلة لذلك: وأهمها الأوراق، وصناديق الكرتون، وقطع القماش، والزجاجات الفارغة، والعلب المعدنية، التي أصبحت من أهم مصادر التلوث: لأن تراكمها وتجمع المياه حولها يجعلها مرتعًا للحشرات والجرائم، ومصدرًا للروائح الكريهة.
- المحافظة على نظافة دورات المياه وعدم الإسراف في الماء"[23].

وهذه القصة من كتاب (مدرستي الخضراء) الذي يتضمن عدة قصص توعوية بيئية للأطفال. وقد عالج القاص من خلالها عدة مشكلات بيئية في طرح قصصي رائع، فتناول فيها الشؤون البيئية، كالتلوث وأضراره، والقمامة وفسادها، والمياه وقلتها، والكهرباء وضياعها. وفيها يقدمِّ الكاتب للأطفال معلومات عن البيئة وأهميتها في الحياة البشرية وبقائها، كما تزخر بفوائد توعوية وتوجيهية للأطفال تحفِّز الطفل

[23] البكري، د. طارق، ود. عبد الله بدران، **مدرستي الخضراء**، (الكويت: الجمعية الكويتية لحماية البيئة، 2012م)، ص:27-28.

على حب البيئة والمساهمة في المحافظة عليها، والابتعاد عما يعود بالضرر عليها. وتأتي القصة بطريقة الحوار بين دلال (أخت) ومشعل (أخ) بلغة سهلة بسيطة جدًا.

نبذة عن مجلة "كونا الصغير":

تمثل هذه المجلة جهود وكالة الأنباء الكويتية (كونا) في توعية وتثقيف الأطفال من طلبة المدارس ضمن الفعاليات التي تنظمها الوكالة بصفة دورية لأطفال المدارس من عمر 4-8 سنوات، كما يمكن أن يقرأها الأطفال في سن أكبر. وبدأت وكالة الأنباء الكويتية (كونا) بإصدار مجلة الأطفال الدورية (كونا الصغير) في شهر سبتمبر عام 2014م، وهي تتضمن العديدَ من الأبواب والموضوعات الوطنية والتربوية والترفيهية والعلمية والتاريخية وذلك بأسلوب جذّاب لا يخلو من المتعة والمرح[24]. وتسعى المجلة إلى تعزيز القيم وترسيخ الأخلاق وخلق جيل صالح وواع متمسك بدينه وعقيدته وسائر على منوال السلف الصالح، حتى يكون القدوة الحسنة في المجتمع.

"وتهدف الوكالة من وراء إصدار هذه المجلة الخاصة بالأطفال إلى تثقيف أبنائنا الصغار بمجال العمل الصحافي، وتعريفهم بفنون الكتابة الصحافية المتنوعة، واكتشاف مواهبهم المختلفة وخصوصا في مجال الكتابة والتأليف. وتتطلع (كونا) من خلال المجلة إلى ملء أوقات فراغ الأطفال بالمرح والقصص الغنية بالفوائد والعبر وتشجيعهم على القراءة، وتعزيز دور المدرسة، ونشر العلم والمعرفة بالتعاون مع الجهات المعنية في هذا المجال"[25].

وتميزت مجلة "كونا الصغير" بثبات الشكل والمضمون في جميع أعدادها حتى الآن مع طباعة جيدة، وتناثرت المعلومات بطريقة جذابة حتى تجذب قلوب الأطفال إليها وتساعدهم على القراءة. كما اهتمت الإدارة بطباعة جميلة اهتمامًا كبيرًا، "ولعل كاتب الطفل المتميز، أديبًا كان أو إعلاميًا أو صحافيًا، لا يكتمل عمله بغير

[24] وزارة الإعلام لدولة الكويت، **وكالة الأنباء الكويتية تصدر العدد العاشر من مجلة (كونا الصغير) للأطفال**، www.media.gov.kw تاريخ الزيارة: 12 نوفمبر 2019م.

[25] المرجع نفسه.

صانع محترف مبدع فنان، من رسام ومخرج وممثل ومدير مسرح وخطاط ولغوي وتربوي، وما يتصل بذلك من أدوات تصوير وطباعة وورق وموسيقى وديكور"[26]. ولعلنا نجد ذلك كله في مجلة (كونا الصغير) التي كتب البكري فيها ولا يزال، وتناول الجانب الاجتماعي، والديني، والخيالي، والتاريخي، والعلمي.. تبعًا لما يناسب سن الأطفال ومداركهم في المجتمع الإسلامي.

القيم التربوية في قصص الدكتور البكري المنشورة في مجلة "كونا الصغير":

القيم التربوية هي اهتمام الفرد وعنايته بمعايير اجتماعية وفردية، وكل من الأهداف ومعايير الحكم التي تؤدي بالفرد إلى السلوكات الإيجابية وتجنّبه السلوكات السلبية. وتؤدي القيم دورًا كبيرًا في حياة الطفل وتعكس شخصيته من كل جانب، لأن إدراكها يجعل الطفل قادرًا على التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والحسن والقبح. وتساعد الفرد على تحمل مسؤولياته، وعلى من يكتب للأطفال أن يكون إنتاجه غنيًّا بالقيم التربوية لتتأثر به شخصية القارئ الصغير حتى يجعل من طفل اليوم قائد المستقبل.

وقد وجدت في أدب البكري عناية خاصة بإبراز القيم التربوية من أجل تنشئة الأطفال تنشئةً إسلامية شاملةً. وأما مجلة "كونا الصغير" فهي حافلة بالقيم السليمة الثابتة التي تؤثّر في ذهن القارئ الصغير، وتساعد على تشكيل شخصيته وجعله عضوًا نشيطًا في المجتمع.

وفي السطور التالية أحاول إبراز بعض القيم التربوية التي قدَّمها البكري لليافعين من خلال قصصه المنشورة في هذه المجلة.

القيم الأخلاقية: تؤدي الأخلاق دورًا مهمًا في تكوين شخصية الفرد وتوجيه سلوكه، واهتم الإسلام بالقيم الأخلاقية كعنصر أساسي وركيزة مهمة في عملية التنمية الإنسانية حيث قال النبي (عليه الصلاة والسلام) "إنما بُعثتُ لأتمم مكارمَ

[26] المرجع نفسه.

الأخلاق"[27]. وتعد القيم الأخلاقية من أهم مجالات القيم. والقيم بمعناها الاصطلاحي مجموعة طريقة التعاملات مع الغير. وهي تغرس المحبة والأخوة في نفوس بعضهم بعضا، وهي تركز على حسن المعاملة والسلوك "فالقيم الأخلاقية هي المبادئ والمعايير التي توجه الفرد وتضبط سلوكه في الحياة، ويتحدد بموجبها مدى فاعليته في المجتمع"[28].

وتطرق الدكتور البكري إلى هذه القيم في قصصه بهدف تحسين أخلاق الطفل وجعله إنسانًا صالحًا ومُصلحًا يحتاج إليه الزمان لقيادة الأمة في المستقبل، ونلاحظ أنه يحرِّض الطفلَ على أفعال الخير والوفاء والتعاطف والأخوة والإيثار في أكثر قصصه التي يكتبها في المجلة. وعلى سبيل المثال قصة "كان أبي طبيبًا" التي تدور أحداثها حول الطبيب الكريم الذي يعيش في المدينة ويزور كل أسبوع قريته مع أسرته، وهو دائمًا يعاون ويساعد أفراد قريته على مواجهة صعوباتهم، ويعالج المرضى. والهدف التربوي المتمثل في هذه القصة يبرز من هذا النص الرائع من القصة: "في البداية كنت مستنكرًا هذه الحياة القاسية.. اعترضت كثيراً:" أبي.. لماذا نفعل هذا كل أسبوع؟! ألا أستحق قسطًا من الراحة بعد عناء أسبوع في الدراسة والحفظ ووجع الرأس؟! أريد الذهاب إلى السينما.. إلى المسرح.. إلى البحر.. ألست مثل أصدقائي؟! أحتاج إلى عطلة أسبوعية حقيقية، وأنت يا أبي ألا يحتاج جسدك إلى راحة؟!" يجيب أبي بهدوء: "راحتي عندما أرى الذين نشأت بينهم يعيشون بلا آلام.. راحتي في مساعدتهم.."[29]، وتلك من الأخوة والمودة، والإحسان والإيثار.. وكل ما دعا الإسلام إلى اعتمادها وتطبيقها في الحياة البشرية جمعاء، وجاءت كثير من النصوص الشرعية حاثة على التعاضد والتآخي وصنع المعروف وأداء الإحسان، ومد

---

[27] رواه البخاري، في "الأدب المفرد"، رقم 273. وابن سعد، في "الطبقات"، رقم 1/192.

[28] الحمود، إبرهيم بن ناصر، "القيم الأخلاقية في التعليم ودورها في التنمية" **صحيفة المدينة** -www.al madina.com، تاريخ النشر: 7 ديسمبر 2011م، تاريخ الزيارة: 8 نوفمبر 2019م.

[29] مجلة **كونا الصغير**، ع18، فبراير 2019م، ص: 12-13.

يد العون للمحتاج والفقير، فقال عليه الصلاة والسلام "خير الناس أنفعهم للناس"[30]. وهذه هي الفكرة التي تدور حولها حبكة القصة، ويريد كاتب القصة تزويد الأطفال بالعادات الحسنة والخصال النبيلة وغرسها في أذهانهم، ليقضوا كل حياتهم وفق معايير ومبادئ وتعاليم إسلامية في المجتمع.

التثقيف الصحي: الصحة من أول المطالب الإنسانية والاجتماعية التي نسعى جميعًا لتحقيقها على مستوى الأفراد والمجتمعات، فالصحة السليمة هي أحد الأهداف الرئيسة التي تسعى المجتمعات إلى تحقيقها من أجل توفير تنمية اجتماعية شاملة لها ولأبنائها. ويعرف التثقيف الصحي بأنه: "عملية ترجمة الحقائق الصحية المعروفة إلى أنماط سلوكية صحية سليمة على مستوى الفرد والمجتمع، بهدف تغيير الاتجاهات والعادات السلوكية غير السوية، وكذلك مساعدة الفرد على اكتساب الخبرات وممارسته العادات الصحية الصحيحة"[31].

وأما الهدف من التثقيف الصحي لدى الأطفال فهو تعزيز المحاولات المقصودة لديهم لإكساب المعارف والمهارات اللازمة للسلوك الصحي السليم لصحتهم وصحة المجتمع الذي يعيشون فيه[32]. فتؤدي هذه المجلة أيضًا دورًا ملموسًا في بث الوعي الصحي لدى الأطفال.

ويزود الدكتور البكري الأطفال بالمعلومات الصحية ويحثّهم على الاهتمام بصحتهم وصحة غيرهم من خلال قصصه التي تعالج بصورة خاصة النظافة الشخصية والتغذية الصحية وكيفية الوقاية من الأمراض، قاصدًا منها الفهم والإدراك والوعي الصحي في الأطفال. وأذكر هنا اقتباسًا من قصة (اليوم الصحي المفتوح)، وهي

---

[30] أورده الألباني في السلسلة الصحيحة عن عبد الله بن عمر، الرقم: 906، ص: 574.

[31] عتمان، علي عبد التواب محمد، "دور رياض الأطفال في توعية طفل الروضة بمفاهيم الثقافة الصحية من وجهة نظر المعلمات وأمهات الأطفال في ضوء بعض المتغيرات" **مجلة كلية التربية**، جامعة الأزهر، ع169، يوليو 2016م، ص: 24-25، (نقلاً عن بداح، أحمد محمد وآخرون، الثقافة الصحية، الأردن: دار المسيرة، 2014م، ص: 14).

[32] المرجع نفسه، ص: 13.

قصة علمية صدرت في طبعتها الأولى عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، حيث أجد فيها وفرة بالمعلومات الصحية لتنشئة الأطفال على طريقة الحياة الصحية السليمة، وتناول فيها حوارًا علميًّا بين طلاب مدرسة وأطباء اختصاصيين بمناسبة اليوم الصحي المفتوح، شرح فيها للأطفال أهمية الصحة في حياة الإنسان والاحتفاظ بها، فالمقتبس التالي يحث الأطفال على النظافة البدنية:

"أولى الوسائل وأهمها وأبسطها؛ غسل اليدين، فهي طريقة أولية وأساسية؛ لأن غسل اليدين بطريقة سليمة يقضي على معظم الميكروبات التي تنتقل إلى أجسادنا عن طريق الفم، أو لمس العينين أو الأنف. علمًا أن الميكروب من الصعب عليه أن يخترق الجلد ليدخل الجسم إلا إذا كان هناك جرح، كما أن على كل فرد أن يحرص على سلامة جهازه المناعي ويزيد من فاعليته"[33].

"ما المقصود بكلمة صحة؟، ابتسمت وقالت: هي حالة من اكتمال السلامة بدنيًّا وعقليًّا واجتماعيًّا، وليست مجرد غياب المرض أو العجز، وصحة الجسم تنتج بشكل أساسي عن ممارسة الرياضة لأنها تؤدي إلى زيادة تدفق الدم من القلب وإليه. أمَّا اللياقة البدنية فهي نتيجة للممارسة الصحية الطبيعية، والتغذية السليمة، والراحة عند الحاجة. وتشير الصحة العقلية إلى صحة الإنسان نفسيًّا وفكريًّا"[34].

وتدل هذه القصة على مهارة علمية للكاتب وجهده الخالص في سبيل تزويد الأطفال بالمعلومات الصحية وإكسابهم سلوكات صحية سليمة، ومن خلال نص القصة تبرز النقاط العلمية المهمة التالية:

الممارسة البدنية: تقوي الجسم ويتدفق الدم من القلب وإليه (Blood Circulation). وهو أمر مهم لتقويم البدن والعضلات والمخ ونظام الجسد ينحصر عليه.

الجهاز المناعي: عرّف الكاتب الأطفال بالجهاز المناعي (Immune System) الذي قد يكون لهم أمرًا غير معروف، فسلّط الضوء على عمله وأهميته في نظامنا الصحي

[33] مجلة **كونا الصغير**، ع12، يونيو 2017م، ص: 18-19.

[34] المرجع نفسه، ص: 16-17.

"فالجهاز المناعي هو منظومة من العمليات الحيوية التي تقوم بها أعضاء وخلايا وجسيمات داخل أجسام الكائن الحي بغرض حمايتها من الأمراض، مثل الميكروبات أو فيروسات"[35].

العدوى: وهناك نقطة صحية وهي العدوى وأثرها الضار على الأجسام، فيعرِّف الكاتب الأطفال من خلال القصة بأن العدوى تنتشر من شخص إلى شخص سليم، وذلك بسبب دخول الفيروسات والبكتيريا المهلكة والضارة. وهناك نقطة أخرى أشار الكاتب إليها وهي أن الفيروسات والبكتيريا لا تدخل جسم الإنسان إلا من الفم والعين والأنف، وتعمل الأيدي عملية المواصلة بينها لذا لا بد من غسل اليدين قبل كل عمل وبعده.

اللغة والأسلوب:

تختلف اللغة المستخدمة في أدب الأطفال في بعض طرائقها عن اللغة القصصية المقدمة للكبار، وذلك بسبب تباين قدراتهم المعرفية وخلفياتهم الثقافية، واختلاف أعمارهم وتجاربهم في الحياة.

ولقد وعى الكاتب البكري ضرورة تصميم اللغة التي تبني الصورة القصصية بشكل يلائم ثقافة الأطفال ومعرفتهم، وتعمّد استخدام لغة بسيطة لإلقاء المعرفة في ذهن قارئه الصغير. فجاءت رواية (سباق في الزقاق) على سبيل المثال، ذات لغة بسيطة فصيحة اللسان، تخاطب السن المبكرة للطفل حسب سهولة ألفاظها وتراكيب عباراتها التي تدعو الأطفال إلى قراءتها دون وجود صعوبة في فهمها:

"وأنا لا أحبذ التشدد وركوب الصعب في النص، وأن نجعله درسًا في اللغة العربية، أو قاموسًا نسعى من خلاله إلى تعليم الطفل المفردات الجديدة بكثافة. وبالرغم من أهمية تعليم الطفل للغته، فإن شحن النص القصير بعدد كبير من المفردات الأعلى من قاموس الطفل الصغير، ينفر الطفل عن القراءة ويبعده عنها"[36]. على أن هناك

[35] Abbas, Abul k, Anrew H. Lichtmen and Shiv Pillai, **Basic Immunology: Funtions and Disorders of Immnity system,** Philadelphia: ElSevier Saunders, 1ed, 2014, p. 1-20.

[36] **مجلة الطفولة العربية،** ع74، ص: 105.

عنصرًا فكاهيًّا وترفيهيًّا يوجد دائمًا في جميع أعماله الأدبية. ويزداد عنصر الفكاهة بصورة واضحة عند إضافة بعض العبارات الجميلة ذات الوقع الموسيقي في نصوصه مثل رواية (كوابيس نورة):

"وَأينَ يَجدُ الطائِرُ رَاحَته إنْ لمْ يَجدِ الأمَانَ فِي عشِّه! والعِشُّ الذي يَبنيهِ الطَّائر يبنيهِ بِحبٍّ وَإخلاصٍ، وَيقضِي في بنائه أيَامًا طويلة عديدة، يَجمع فيه القَشَّة إثرَ القَشة، يرتبها بِعِنَايَةٍ ودِقَّة بَالغة، حتَّى يَبنِي بَيتًا قَويًّا يَصمدُ عَلى غُصنِ الشَّجَرَة فِي وَجهِ الرِّياحِ وَالعَواصِف، وَيحمِي بِهِ بَيضَه وَأبنَاءه مِنَ الأعْدَاء.. وَكانَ يَحلو لِنورة أنْ تنشدَ أغنيةَ العُصفورِ السَّعيدِ:

فِي الْبُسْتَانْ.. فِي الْبُسْتَانْ

شَقْشَقَ عُصْفُورٌ رنّانْ

رَفّتْ أوْرَاقُ الأزْهارْ

مَاسَتْ أغْصَانُ الأشْجَارْ

غَنَّتْ أوتَارُ الألْحَانْ"[37].

والأدب الخاص بالأطفال عنده لا بد أن يكون يسيرًا جدًا، "ولكتابة النص الجيد أسس مذكورة معروفة ومبادئ منصوصة، وأدوات منشورة في كثير من المراجع، ولن أعيد تكرارها وتوصيفها، وإن كان لي فيها رأي موافق في جانب ومخالف في آخر، لكني أعجب ممن يريد فجأة أن يكون كاتباً للأطفال، دون أي أدوات خاصة، وإرهاصات سابقة، فكيف يقرر هذا القرار الخطير من لم يقرأ من مجلات الأطفال غير عناوين أغلفتها، ولم يحفظ من أغنيات الأطفال غير ما سمعه من أيام الطفولة، ولم يلعب مع الأطفال، ولم يزر مدارسهم وأنديتهم وأسرة مستشفياتهم، ولم يعرف عن الأطفال وأمزجتهم وصنوفهم ومشاعرهم وكتبهم وتربيتهم سوى القليل القليل"[38].

---

[37] البكري، د. طارق، **كوابيس نورة**، (الشارقة: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2017م)، ص: 3.

[38] **مجلة الطفولة العربية**، العدد الرابع والسبعون، ص: 104.

وأجد أحيانًا في أسلوب البكري في كتابة قصصه ما يشبه أسلوب رائد أدب الأطفال العرب كامل كيلاني؛ وربما بسبب كونه متأثرًا به، ويؤكد ذلك أنه اختاره موضوعًا للبحث والدراسة في مرحلة الماجستير[39].. بعنوان "كامل كيلاني رائدًا لأدب الطفل العربي".

وقد لجأ البكري لترفيه وتسلية الأطفال إلى مقاطع شعرية في قصصه مثلما فعل كامل كيلاني، وعلى سبيل المثال قصة (سباق في الزقاق) التي أقتبس منها: "الزقاق يبدو كأنه نهر من الأحجار الكريمة المرصوصة بعناية ودقة وإحساس فنان.. يمضي طويلاً برشاقة بين بيوت حجرية قديمة أنيقة.. كان يركض مسرعًا.. مسابقًا ومطاردًا.. متقدمًا ومتراجعًا.. كأنه قول الشاعر الجاهلي امرئ القيس في وصف فرسه الجموح، (أو ربما نفسه وهو يقود فرسه):

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا ..... كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

تراه حينًا رافعًا سبابة يده اليمنى، مهددًا ومزمجرًا، وفي يده الأخرى عصا طويلة، من خشب مصقول لماع.. على جانبها نقش لأنواع من الطيور"[40].

خاتمة البحث:

لقد تقصى هذا البحثُ بعض الأعمال الأدبية من قصص وروايات الأطفال التي كتبها الدكتور طارق أحمد البكري، وركَّز على جوانب عديدة من نتاجه الأدبي. وأثبت البحث أن هذا الأديب والكاتب والصحفي البارز حريص أشد الحرص على التنوع في موضوعاته وغرس القيم الدينية والاجتماعية والصحية.

وهذا البحث يمثل نظرة عابرة على إسهامات البكري، ولا أستطيع فيه استيعاب جميع مساهماته في مجال أدب الأطفال وصحافتهم، كما أنه محاولة متواضعة تناولت بعض الجوانب من جهوده في هذا المجال. وأتمنى أن يمهد هذا البحث للباحثين

---

[39] البكري، د. طارق، **كامل كيلاني رائدا لأدب الطفل العربي**، (رسالة ماجستير، جامعة الكويت، كلية الدراسات العليا).. الرسالة طبعت في بيروت عام 2014م وصدرت عن دار الرقي اللبناني.

[40] البكري، د. طارق، **سباق في الزقاق**، (دمشق: دار الحافظ، 2013م)، ص: 5.

الطريق إلى أن يتوجهوا إلى هذا الأديب البارع، الذي يعد من رواد أدب الطفل العربي في القرن الحادي والعشرين، وأن يدرسوا جهوده المشكورة عن طريق رسائل وأطروحات جامعية.

وفي الختام، وبعد دراسة أسلوب البكري تتبين الأمور الآتية في نصوصه:

- استخدام الأسلوب السهل البسيط.
- استخدام أسلوب ترفيهي وجذاب لتسلية الأطفال وإثارة ميولهم لقراءة اللغة العربية.
- مراعاة سن الأطفال وميولهم على حسب متطلبات العصر.
- اعتماد الألفاظ السهلة الجديدة.
- مزج النثر بالنظم ليستمتع الطفل بالقراءة وليمكن لسانه من الفصاحة.
- استخدام الصور الملونة الجذابة.
- اللجوء إلى المعلومات التدريجية مع مراعاة سن الأطفال وإدراكهم.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- سنن أبي داؤود.
- صحيح البخاري.
- مسند أحمد.
- السيرة الذاتية للدكتور طارق أحمد البكري.
- بداح، أحمد محمد، وآخرون، الثقافة الصحية، الأردن: دار المسيرة، 2014م.
- البكري، د. طارق، الشيخ والأصدقاء، مبرة الآل والأصحاب، مركز البحوث والدراسات بالمبرة، ط1، 2008م.
- البكري، د. طارق، سباق في الزقاق، دمشق: دار الحافظ، 2013م.
- البكري، د. طارق، كامل كيلاني رائدًا لأدب الطفل العربي، رسالة الدكتوراه، المقدمة لجامعة الكويت، كلية الدراسات العليا.
- البكري، د. طارق، كوابيس نورة، الشارقة: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2017م.

- البكري، د. طارق، للقمر وجوه كثيرة، المشروعْ التوعوي الوطني للوقاية من المخدرات (غراس)، 2013م.
- البكري، د. طارق، ود. عبد الله بدران، مدرستي الخضراء، الكويت: الجمعية الكويتية لحماية البيئة، 2012م.
- الغامدي، نورة بنت أحمد بن معيض، قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق عرض وتقويم، (رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص أدب أطفال، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 2011م.
- الكيلاني، نجيب، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة،ط4، 1996م.

الصحف والمجلات:

- البكري، د. طارق، "سيرة إبداعية"، مجلة الطفولة العربية، ع74، 2018م.
- الجيل الجديد، مجلة علمية محكمة نصف سنوية صادرة في دلهي، ع4، ج2، 2019م www.aljeelaljadeed.in.
- صحيفة الخليج أونلاين (إلكترونية) www.alkhaleejonline.net
- صحيفة المدينة www.al-madina.com.
- كونا الصغير، مجلة فصلية للأطفال، الصادة عن وكالة الأنباء الكويتية، الكويت.
- مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع169، يوليو 2016م.
- الموقع الرسمي للأمم المتحدة www.unodc.org.
- الموقع الرسمي لوزارة الإعلام لدولة الكويت www.media.gov.kw.

الكتب الأجنبية:

- Abbas, Abul k, Anrew H. Lichtmen and Shiv Pillai, Basic Immunology: Funtions and Disorders of Immnity system, Philadelphia: ElSevier Saunders, 1st ed, 2014.

قصيدة

موتُ ظِلٍّ

جمال الدين بن خليفة*
Email: bendjamel309@hotmail.fr

"عَاجَ الشَّقِيُّ على رَسْمٍ يُسَائِلهُ "
وَجِئْتُ أُعْلِنُ حُب اللّهِ وَالبلَدِ
عَاجَ الشقيّ على جُرْحٍ طَغى وَجَعًا
عَاجَ الشقِي على الرُّسُومِ مُسَائِلاً
عَن بَعْضِ آثَارٍ
لَعَلَّ تَدُلُّهُ.....
فَقَدَ الشَّمَالَ بِأَمْسِهِ
صَارَ يُنَاجِي ظِلَّهُ
أَهُنَا التقَينا وَقْتَ مُنْتَصفِ القَرَارْ؟
أَهُنَا ارْتَشَفْنا بَعْضَ نَبْضٍ خَائِفٍ مِن عَيْنِ حُسَّادٍ تَغَارْ؟
بَعْضَ شِعْرٍ؟
بَعضَ حُلمٍ لَونُهُ كَرَزٌ يُعَانِقُ جُلَّنَارْ؟
سَأَلَ النَّخيلَ البَاسِقَاتِ مُطِلَّةً فَوْقَ الظُّنُونِ
لَعَلَّهَا...
سَأَلَ الرِّمَالَ لعَلّهَا.....
سَأَلَ العُيُونَ النّازِفَاتِ فرُبَّمَا ....
سَأَلَ الرِّيَاحَ النَّاسِخَاتِ على الرِّمَال دَلَالَهَا.... فلَعَلَّها... ...
سَأَلَ القبائِلَ عن شُعَاع رُجُوعِهَا.....
سَأَلَ المَوَانئَ عن بَصيصِ سعادةٍ..
طَاف المدَائنَ كلَّها....

* سوق أهراس ـ الجزائر.

وَتَذَكَّرَ
يُسْرَى المَدِينَةِ ـ لَيْسَ أَقْصَاهَا ـ بِهَا الأَثَرْ
لَمْ يَسْتَطِعْ لِلسَّعْيِ جهْدًا
..لَمْ يَصِلْ..
وَالشَّمْسُ ...غَابَ حَنِينُهَا
هَامَ الشقيُّ ولا مَطَرْ
حتى إذا بَلَغَ الغُرُوبَ
ماتتْ ظِلالُ الوُدِّ عمقَ حَنِينِه...
لَمْ يَستطعْ صَبْرًا
يُدَاوي جُرْحَهُ
وارْتدَّ مُنْكَسِرَ اشْتِيَاقٍ عَلَى آثَارِهِ قَصَصَا..
فِي مَفْرَقِ الرَّمْلَيْنِ
بَحْر
وَاحَة
شَهِدَا جَنَاحَيْنِ
دِفْءَ شَوْقٍ
شَاعِرًا حَلَّقَ صَوْبَ الوَطَنْ

قصة قصيرة

حين أمارس الإقصاء

ليندة كامل*

Email: linda.kamel40@yahoo.fr

يا لمفارقة الحياة! قيل عنها بأنها عاهرة تجوب الملاهي وتتجول في الأزقة ليلاً.. وعند الصباح، تنام مع الفقراء تؤانسهم وتسرد عليهم قصص الصبر..

ها هي تمارس عهرها معي! في تلك الطلبات الكثيرة التي تردني ممن يرغبون بالثرثرة، ها قد صار لي عشاق بالآلاف رسالة واحدة جعلتني أتذكر تلك الصديقة التي أدرع معصمها ونحن نتجه إلى الثانوية كيف يتغزل بها الشبان ويسيرون خلفها فيهمسون لها: يا ذات الخمار الأسود، همسا رقيقا ترتجف له أساريري، تلتفت إليهم بابتسامة مثيرة..

فأتسمر في مكاني وينزل عرق الخجل على جسدي "أي جرأة تلك التي تمتلكها" أحاول أن أخفي ملامح الارتباك وأستمر في طريقي، أغلق الباب خلفي وأتجه إلى المرآة، أتصفح ملامحي وأجزاء جسدي قطعة قطعة أنظر إلى عينيّ الخضروين ووجنتي الورديتين، وشفتيّ الزهريتين وأرفع الخمار عن رأسي فينسدل شعري الأشقر إلى عاجيتي بابتسامة وضاءة أطرح السؤال: لم هي وليس أنا!

ما الذي لم يره فيّ! ووجده عندها!

جدتي التي كانت تراني بدرًا هل أخطأت؟.

وكيف لنظرات ستينية أن تخطأ!

* كاتبة وشاعرة وقاصة من دولة الجزائر، تعمل حاليًا مستشارة توجيه بأحد مراكز التكوين المهني. صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان "الجثة المشوهة" ومجموعة قصصية قصيرة جدا بعنوان "هواجس"، وعدة روايات منها: "المطاردون" و"الغمريان" و"زر الاعتراف" و"لم أنجبتني أنثى".

رغم محاولاتي لكشف سر تلهف الشبان عليها وإعراضهم عني

حين خفق قلبي حبا كغيري من البنات

كنت أحتضن قلبي بين يديّ، وأنا أراه ينظر إليها يغمزها يبتسم لها

فيغرقان في بحر الوله ووحدي أغرق مع قلبي في بركة من الوحدة والوجع

تحدثني عنه وعن كل كلمة قالها لها، تخرج هداياه التي كانت من المفروض لي، وهي تلوح لآخر خلفنا...

أعود منهكة مما يحدث حولي وأقنع نفسي أنه طيش المراهقة، فأرمق أمي وهي تخبز الخبز، وكيف تردد على سمعي قولها "اللّه يزين سعدك، اقراي بنت باش تخرجي من الغرقة"

فأغرس رأسي في الدراسة أمحو كل الهزائم التي تصدع لها جدار قلبي وأعوض خسارات الحب بنجاحي

تفوقت على زميلاتي ولم ينفع تفوقي جلب انتباهه لي، للحظة شعرت بكينونتي التي تلاشت في عالم العشق

كنت أنظر إليهما وهما يتبادلان رسائل وهدايا الحب، وحدي أحتضن اللاشيء، أتوسد دمعي وأنتظر هلال كلمة "أحبك" لعلها تخطئ الطريق فتصيبنا

طلبت مني أن أعطيها سجل المحاضرات في كافتيريا التي يتوافد عليها العشاق، رحت وحيدة بجناح واحد عكس الوافدون إليها، ذهلت لحجم الحب الذي يلفهم وحجم الصقيع الذي يسكنني

وجدته معها، ينظرني كأنه قرأ ملامحي التي ترددها "أحبك"

سلمتها السجل في ارتباك فاضح وخرجت من فوري وسط إلحاحها بالمكوث معهما "ألم تفهم أني غارقة في الوجع"...

عدت إلى غرفة باردة، أطل من النافذة ألمحهما معا يكبشان أصابع أيديهما لمحنى من بعيد دون أن يشعر بهذا الاحتراق الذي يعتليني

أحشر جسدي المهزوم وأدفء قلبي الزكوم ببرودة حب مؤجل

رغم محاولتي دس ورقة في السجل، كتبتها بالبند العريض "أجمل ما في الحياة قلب صادق يحبك" وانتظرت ردة فعله في اليوم الموالي جاء رفقتها أجلسها في موضع يقابلني يراني هو ولا تراني هي وأطلق بصره نحوي، كأنه يقولها "أعرف حقيقة مشاعرك، لكني أتلذذ بتعذيبك".

نظرات استفزاز تصلني منه، تأبطت قلبي كحقيبة سفر وانصرفت وضعته في براد حتى لا أمارس الحزن

ها أنا في عالم الافتراض يتوافد العشاق عليّ تماما كما كان يتوافد على صديقتي وها أنا الآن أمارس الإقصاء، وأجبرهم على حمل قلبهم في حقائب ووضعها في البراد.

قصة أردية

الملاذ الأخير

قصة: سلام بن رزاق*

ترجمة: د. محمد علي أختر**

Email: mdaliakhtar@gmail.com

قلق مزق كبد الملك، وكان يزداد قلقه ويضيق صدره مع مرور الأيام. استدعى المستشارين، واستشار الوزراء واستنصح المصلحين. دبّر خططًا واتخذ طرقا ولكن بدون جدوى، لم تثمر أي طريقة ولم تنجع أية خطة. تفشى في البلاد الفساد والرشا تفشي الأمراض المعدية. تداعت بنيتها الاقتصادية حتى أوشكت أن تنهار انهيار العمارة المبنية من الرمل. تغلغلت الرشا في أحشاء المواطنين إلى حد أن كانوا يعتبرون يومهم ضائعًا إذا لم يظفروا فيه برشوة. ولم ينج من الداء لا وزير ولا حارس. اعتبر الجميع أخذ الرشوة من حقهم. عمت الرشا في البلاد وأصبحت كأنها من صميم القيم وعين الأخلاق. وعجز القانون عن سدها لأن المسجون بتهمة الرشوة، عرف الطريق إلى الإفلات بفضل الرشوة ذاتها، فكان ينسل من السجن كما ينسل الماء من الغربال وكما ينزلق الرمل من قبضة اليد.

وإذا بحادث مُنى به الملك، بلغ قلقه بسببه مبلغه، وبلغ اضطرابه ذروته. حدث أن مرض الملك بداء استمر لأيام، ولما تشفى منه بعد الدواء، واغتسل غسل الصحة والعافية، وزن الدنانير مثل وزن جسده، وسلمها إلى رئيس وزرائه لأن يتصدق بها على الفقراء ومساكين بلاده. وكان رئيس الوزراء غاية في الجشع، فاحتفظ من الدنانير بنصفها لنفسه، وفوّض محافظ المدينة بتوزيع النصف الباقي. ولم يكن المحافظ أقل

* سلام بن رزاق هو الاسم المستعار للشيخ عبد السلام عبد الرزاق، وهو أحد أعلام القصة القصيرة باللغة الأردية في العصر المعاصر، وقد اكتسب شهرة واسعة في الأدب الهندي المعاصر، حيث شق لنفسه أسلوبا خاصا به وطريقة فريدة. حاز سلام بن رزاق على عديد من الجوائز الأدبية من المجامع الأدبية الإقليمية والمركزية في الهند وذلك اعترافًا بإنتاجاته الإبداعية والمترجمة. وهذه ترجمة القصة القصيرة باللغة الأردية (راسته).

** كاتب وباحث هندي.

منه جشعًا وخبثًا. فاستأثر بنصف النصف وسلّم ما بقي إلى نائبه، الذي بدوره أخذ بحصته نصفًا، وسلم ما تبقى من الدنانير إلى موظفٍ تحته، وهلمّ جرا، وفي النهاية لم يبق من الدنانير إلا دينار فاز به فقير في المدينة. أبلغ الملكَ عن الحادث عيونه الموثوقون، فطار لبه وبلغ من القلق نهايته ولم يدر ماذا يفعل! ما أشدَّ تعاسةَ المزارع إذا أخذ السياج في ابتلاع الزرع!

في قديم الزمن، إن واجه الملك مشكلة معقدة يستحيل حلها، لجأ إلى أمرين: إما أقبل على لعب الشطرنج، أو خرج للصيد. تأمل الملك أمره، ونظر في الخيارين. أَوَ يجلس للشطرنج أم يخرج صائدا؟ أما الشطرنج، فكان لعبه مرة أو مرتين مع رئيس الوزراء، ولكنه كان مهووسًا بالغش إلى حد أن كان لا يرعوي عنه في اللعب حتى مع الملك. كان يستغفله ويغير القطع خلسة. وكان الملك يحترق حنقًا ولكن يغالبه مروءة ويبتلع غشه غصة. كان كريم النفس وشريف السجية، فلم يرقه أن يعاتب رئيس وزرائه لمثل هذا الأمر الهين، ولم يلق به أن يلعب الشطرنج مع شخص غيره. ولذا فعزم على الخروج للصيد وحيدًا، ولأنه كان يريد التأمل في المشكلة بجانب الصيد.

ذات يوم استيقظ الملك مبكرًا في الصباح، واكتسى لباس الصيد وأخذ السلاح. أخرج من الإصطبل فرسه المفضل وبوحده اتجه إلى الغابة. دلق الفرس سريعًا، فرحبت به نفحات طرية من الهواء، ودوت الغابة بأصداء حفوفه. واضطربت الطيور على الأشجار مهفهفة، واشرأبت الوحوش إليه بحذر. لم يقبل الملك على شيء، وظل ينطلق راكضًا، وهو غارق في تفكيره وضائع في تأمله. فكر في ما آل إليه أمره وهو ملك البلاد، يتخبط دون جهة ويتسكع تسكع الأعاصير الشاردة. انتابه أسف شديد ورثى لحاله وقلة حيلته، ولكن غالب شعوره بقوة وانطلق قُدُما.

انتصفت الشمس السماء، وتبلل الملك وفرسه كلاهما عرقاً، وأحس بالعطش، كما كان الفرس يلهث إرهاقًا. فشَدَّ اللجام. فانخفضت سرعة الفرس وجرى خببًا. أجال الملك بصره بحثًا عن الماء، فرأى شلالاً يسقط قريبًا. ترجل الملك من فرسه،

وارتوى من الماء مغترفًا، ورش وجهه برذاذات منه، كما أروى فرسه، وبدأ يسير على قدميه ممسكا بلجامه.

نظر حوله. كانت الغابة تدوي بالصمت. كان قطع شوطًا كبيرًا بدون وعي وضل الطريق، فلم يذكر من أين جاء ولم يدر إلى أين يذهب؟ سار هنيهة، فرأى أغنامًا تسرح في مغرس أمامه. اقترب منه، فوجد قطيعة من الأغنام ترعى، وراعيًا يشرف عليها مستلقيا في ظل شجرة. قام الراعي منتفضًا وفغر فاه حيرة حين وجد الملك أمامه وكان عرفه. اقترب الملك منه وسأل:

– أخي الراعي! ضللت الطريق، فأخبرني كم تبعد المدينة من هنا؟

رد الراعي مطأطأ رأسه:

– فدتك روحي أيها الملك! السير مستقيمًا إلى جهة الشرق يوصلك إليها في ساعة.

شكره الملك وانعطف للعودة، وإذا به وقع بصره على شجرة تتدلى منها جثة كلب مشنوقة بحبل. تجمد في مكانه وسأل الراعي باستعجاب مشيرا إليها:

– ما هذا أيها الأخ! من شنق هذا الكلب؟

تلعثم الراعي أول الأمر، ثم استجمع قوته وأجاب منحنيًا:

– جلالة الملك! أنا الذي شنقه.

– وماذا كانت جريمته؟

– هذه حكاية طويلة.

– ولا بد من أن أسمعها.

تردد الراعي لحظة، ولكن كان عليه أن يمتثل لأمر الملك، فتنحنح استعدادا وبدأ.

– "جلالة الملك! إن هذا الكلب كان حارسا لأغنامي، موثوقا به. وبلغت ثقتي به أن كان يذهب بها في غيابي ليرعاها ويحرسها بوحده. وذات مساء حين عاد بها، افتقدت غنمًا في القطيعة. بحثت عنه كثيرًا ولم أعثر عليه. وجرت العادة بعد ذلك أن خسرت غنمًا كل يومين أو أربعة أيام. اعتراني الشك أن ذلك عمل راع يعيش في جواري. فخرجت يومًا للغابة في إثر القطيعة. واختفيت على شجرة بين

أغصانها. كانت الأغنام ترعى والكلب يحرس عليها رابضًا على صخرة علت من المغرس. ولم يمض وقت طويل حتى سمعت حفيفاً من وراء أجمة، فانتبهت إليه ورأيت رأس ذئب يخرج منها. وقد لمحه الكلب كذلك، فعدا إليه كالسهم. وتصورت مصارعة عنيفة بينهما. وإذا به حدث ما لم يخطر قط ببالي. فما إن دخل الكلب الأجمة حتى بدأ يشم ما بين فخذي الذئب ويلحسه. كانت ذئبة بالأصل. ورأيت بعد قليل بعين حيرة ما لم يره أحد قط. رأيت الكلب يجامع الذئبة. حدق بي الارتباك، وتملكني الاستعجاب. ولم أكد أصدق ما رأيت وما جري أمامي من حدث خارق للعادة. ولما قضى الكلب وطره، تنحى بناحية بين الأعشاب، وأما الذئبة فأمسكت بعنق غنم وعادت إلى من حيث أتت. وبعد وقت قليل، طلع الكلب من الأجمة وأخذ مكانه كما كان من قبل، متظاهرا بأنه يحرس الأغنام بكل يقظة وحذر وكأنه لم يحدث شيء. فهمت الأمر، فصنعت ربقة من الحبال بمساعدة من أولادي وشنقته بها من الشجرة".

كان الملك مصغيًا إلى حكاية الراعي الغريبة بحيرة واستعجاب بالغين، ولما فرغ الراعي منها سأل الملكَ:

– أيها الملك ! هل من جزاء أجدر بذلك الناكر الخائن من الشنق؟

لم يردّ الملك وكان يرمق في الخلاء شاردًا بنظره وغارقا في فكره، وإذا برأسه لمعت فيه الأضواء لمعان البرق في الظلماء، وشعر أن ذهنه انقشع منه غبار التردد وأن قلبه اندحرت عنه صخرة ثقيلة، فانبسط مثل زهرة غضة.

أعاد الراعي سؤاله.

– جلالة الملك! أكان عقابي في غير مكانه؟

– كلا، كان عقابك في غاية الصواب.

رد الملك ونزع من إصبعه خاتماً من الألماس ومنح الراعي إياه قائلا :

– وهذه جائزتك. وجزاء لك.

– جزاء عن أي أمر أيها الملك؟

سأل الراعي بحيرة.

– جزاؤك لأنك أرشدتني إلى الطريق.

وقبل أن يستطيع الراعي أن ينبس بكلمة، ركض الملك فرسه وابتعد.

*****

في صباح الغد، استيقظت البلاد على مشهد عجاب، طار بالألباب. وجد أهاليها مئات مشانق تتدلى في كل ساحة ومربع من البلاد. وكان المنادون يعلنون متجولين:

– أيها المواطنون! المُلك للّه والأمر للمَلِك، لِيعرف الجميع، الخاصة منهم والعامة، أن كل من يُقبض عليه منذ اليوم متلبسًا بأخذ الرشوة، يُشنق على رؤوس الأشهاد في قوارع الطرق بدون رحمة.

عم الهرج والمرج في أنحاء البلاد وبدأ الناس يخرجون أفواجًا من بيوتهم ويجتمعون في ملتقيات الطرق. كانت الحبال تتدلى خالية وتتأرجح بنفحات الهواء. لم يكن يُشنق أحد بعد، إلا أن كلا منهم كان يتخيل اسمه مكتوبًا على أحد المشانق.

يحكي الساردون أن البلاد منذ ذلك اليوم تطهرت من الفساد والرشوة، ونعِم الشعب بالهناء والرخاء وأحاطت السعادة بالبلاد إحاطة السحابة بالسماء.

أسعد اللّه أحوال الجميع كما أسعد حالهم!

قصة أردية

سائق الركشة

قصة: فهيم أختر*

ترجمة: د. ولاء جمال العسيلي**

Email: walaa_gamal2007@yahoo.com

كان "هريا" ينتمي إلى عائلة متواضعة من القرويين. وحين تقدمت السن بوالده، تحمل مسؤولية إدارة المنزل. كان "هريا" يعمل طوال اليوم في الحقول والمزارع، ويعود إلى المنزل في المساء، ويقضي الوقت مع عائلته.

ولد "هريا" في منطقة "هَارِيْبُور" بمديرية "دَرْبَهانْغَا". كان الفقر والبؤس قد جعلا حياة أسرة "هريا" صعبة، ظل يدير المصروفات المنزلية لعدة أيام، ولكن مع مرور الوقت ازدادت مشاكله المالية؛ فقد كان يعول أربعة أطفال وزوجته، وكان معظم الشباب في قريته قد غادروها إلى المدينة للبحث عن فرص العمل.

كان "هريا" قلق المزاج عند دخوله المنزل اليوم.

"يا أم "بُهُوْلِيْ" اسمعي!"

"ماذا حدث بك! لِمَ تصرخ هكذا؟".

"احزمي كل الأغراض، لن نبقى هنا في هذه القرية".

"إذن أين سنذهب ونرتحل؟".

"سنغادر إلى كُولْكَاتَا".

"هل فقدتَ عقلك؟".

---

* ولد فهيم أختر في كولكاتا، حصل على شهادة البكالوريوس من كلية مولانا آزاد في كولكاتا عام 1988م، وشهادة الماجستير من جامعة كولكاتا عام 1990م. كان يميل إلى الأدب منذ أن كان طالبا. كتب مقالا بعنوان "الأفق الجديد" عام 1993م، وبثت إذاعة عموم الهند هذا المقال. ارتحل عام 1993م من كولكاتا إلى لندن طلبا للرزق، ومنذ ذلك الحين يقيم في لندن. نُشرت له عديد من المقالات في المجلات والجرائد في أوروبا والهند وباكستان. كما صدرت له عدة مجموعات القصص والمقالات.

** أستاذة مساعدة، قسم اللغة الأردية وآدابها، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

"نعم فقدتُ وعيي وطار عقلي، لقد ضاق بي ذرعا بما اعتراني من العسر وأصابني الفقر وحل بي البؤس. سأزور غدًا محطة السكك الحديدية من أجل الحصول على معلومات عن موعد القطار المتجه إلى مدينة "كولكاتا".

انشغلت الزوجة امتثالاً لأمر زوجها في حزم بعض أمتعة المنزل.

خرج "هريا" وعائلته وهم يتدافعون في الزحام من رصيف محطة "هَاورَا" المكتظ بالمسافرين، ما إن وقعت عينا "بُهْولَا" ابن "هريا" على جسر "هاورا" حتى طار فرحًا وتهلّل وجهه وبدت عليه السعادة فسأل أباه:

"يا أبي! انظر ما هذا؟".

ينظر"هريا" أيضا إلى ذلك الجسر بدهشة وتعجب: ويقول "ما هذا فعلاً؟".

وفي هذه الأثناء يخاطب سائق ركشة "هريا" الذي كان مندهشا مما رأه:

"يا صاح! هذا هو جسر "هاورا".

قالت زوجة "هريا" بعفوية: "يا إلهي! هل هذا جسر، كم أكبر الجسر!.

استفسر سائق الركشة: "هل أنتم تزورون هذه المدينة لأول مرة؟".

قال "هريا": "نعم يا أخي، لقد وصلنا إلى المدينة منذ قليل".

سأل سائق الركشة: "أتتقن أي مهنة؟".

أجاب "هريا": أجيد الزراعة".

"أين الزراعة هنا يا أخي؟ يعيش هنا أسياد أو عُمال مثلنا، لكن يا أخي إن هذه المدينة طيبة جدًّا، ستقابل فيها الناس من كل ديانة وطائفة".

اشتغل "هريا" وعائلته بتجاذب أطراف الحديث مع سائق الركشة إلى حد أنهم لم يشعروا بمرور الوقت.

"يااااه! لقد تأخر بي الوقت، ويجب عليَّ الذهاب إلى جراج الركشة، أين ستذهبون؟ ألا تودون الذهاب معي إلى بيتي؟".

حمل "هريا" وزوجته وأطفاله الحزمة، وساروا مع سائق الركشة.

حذَّر سائق الركشة "هريا" قبل دخول بيته قائلاً: "يا أخي! اخفض رأسك قليلاً ثم ادخل".

كان بيته في الواقع يضم غرفةً صغيرةً جدًّا، في زاوية كانت بعض أدوات الطعام، بينما في زاوية أخرى كان هناك دلو مملوء بالماء. كان "هريا" وزوجته وأطفالهم الأربعة ينظرون إلى ما كان في تلك الغرفة بنظرة ثابتة، حتى سأل سائقُ الركشة: "يا أخي! كيف وجدتَ قصري هل أُعجبت به؟".

خرج "هريا" على الفور من الغرفة وقال "يا أخي! يتجسد فيك الإله، وتشعر بآلام الفقراء من أمثالنا".

قال سائق الركشة وهو يسعل: "يا أخي! اترك هذه القصة الآن، لأذهب إلى السوق، وأحضر بعض المواد الغذائية".

وفي اليوم التالي هب سائق الركشة إلى عمله، وخرج "هريا" أيضًا إلى المدينة ليبحث عن عمل، وحين حل المساء عاد سائق الركشة، وسأل "هريا" عن حاله، ورق قلبه لـ"هريا" وعطف عليه لما رأى من ملامح التعب والعجز والضعف على وجهه، فسأل "هريا": "هل ستود أن تسوق ركشة؟".

أجاب "هريا" على الفور: طبعا "لكن كيف سيكون هذا؟".

قال سائق الركشة: "يااه، لا تقلق سأقوم بتدريبك على سوق الركشة". "شف يا أخي! هذا عمل شاقٌّ جدًا، لا بد من حفظ التوازن وتجنب عدم فقدان التوازن عندما تسوق الركشة، أحيانا ستسوق بسرعة، وأحيانًا بهدوء وبطء. وعندما تجد زبونًا وهو يبدو غنيًا لا تتردد في أن تطلب منه أجرة أكثر".

بدأت قطرات العرق تظهر على جبين "هريا" ولم يزر النوم جفنيه طوال الليل، كان غارقًا في تفكير كيف سيتمكن من سوق الركشة، مع أنه كان يتمتع بصحة أحسن وأفضل من صحة سائق الركشة.

وفي الصباح ذهب سائق الركشة بـ"هريا" إلى منزل السيد "جهوش". كان السيد "جهوش" بَدينًا لدرجة أن عباءته لا تكاد تغطي جسده، وكان في فيه التنبول، ومعلقًا في عنقه تمثال الإلهة "كالي ماتا".

"صباح الخير يا سيدي!".

"يا "سُوكَها"! من هذا الرجل الذي أحضرته؟".

"يا سيدي! هذا "هريا" وهو يريد أن يسوق الركشة".

"جيد، هل ساق الركشة من قبل؟".

" لا يا سيدي، سأقوم بتدريبه".

يا تُرى "سوكها"، أقبل ما تقوله، لكن يجب عليك إبلاغه عن كل القواعد الضرورية هنا، وأعطه ركشة عندما يتمكن من سوق الركشة جيدًا".

" شكرًا جزيلاً يا سيدي!".

فعاد كلاهما من منزل السيد "جهوش" فرحا ومسرورا وسعيدا بما قدم "جهوش" من اقتراح.

" يا أم "بهولا"، هل تعلمين بأنني نجحت في الحصول على عمل وهو سوق الركشة".

"لكن يا أبا بهولا كيف ستمارس هذا العمل..".

"يا أم "بهولا"، هل لا تودين أن نقوم بزارعة الأرز في مدينة كولكاتا؟! أنت امرأة جاهلة، تتسرب فكرة إلى عقلك وتختمر في ذهنك، ثم لا ينصرف ذهنك عنها أبدًا".

مرت الأيام، وبعد عدة أشهر أصبح لدى "هريا" مسكن خاصٌّ به، وبدأ أطفاله أيضًا في الذهاب إلى المدرسة، وبدأت حياة "هريا" أيضًا تزدهر عن طريق رُكاب المدينة الأغنياء والفقراء.

لم تمض ستة أشهر على سوق "هريا" للركشة، حتى وقع هذا الخبر كالصاعقة على "هريا" وجميع سائقي الركشة.

يا "سوكها" هل سمعت ماذا قال كبير وزراء الولاية: إنه لن يسمح لنا بسوق الركشة من الآن فصاعدًا. كبير الوزراء هذا غبي، يصدر الأوامر دون أن يفكّر في النتيجة. أين سنذهب نحن الآن؟".

بينما كان "هريا" و"سوكها" يتحدثان، إذ خاطبهما سائق آخر للركشة قائلاً:

"اسمعوا يا إخوتي! سيتم عقد اجتماع من قبل الاتحاد غدًا، فعلينا المشاركة فيه".

في مساء اليوم التالي بدأت فعاليات الاجتماع، وأثار عضو الاتحاد بخطبته الجياشة غضب سائقي الركشة، وأعلن الإضراب اعتبارًا من الشهر المقبل".

لم يفهم "هريا" ما هو الإضراب. فأخبره "سوكها" بأننا سنمتنع عن سوق الركشة، ونرفع شعارات وهتافات ضد قرار الحكومة لتحقيق مطالبنا.

اليوم قد مضت على الإضراب ستة أشهر، ولم يبق في المنزل ما يسد جوعهم من الطعام، "هريا" وسائقو الركشة الآخرون يحملون الرايات ويرفعون هتافات كل يوم احتجاجًا على قرار الحكومة: "حققوا مطالبنا"، لكن ما كان لرئيس الولاية أن يسمع لهم، فما كان من عمله إلا أن يصدر الأوامر، فقد فعل وجعل العمال أن يقوموا بالإضراب.

منذ بضعة أيام لم يكن ذلك العضو أيضًا في المدينة لمشاركته في مؤتمر، وأخذت تضعف همة "هريا" وتفتر عزيمته، حتى لم يعد قادرًا على حمل الراية، عند عودته إلى المنزل بعد قضائه طوال اليوم في الاعتصام الاحتجاجي، كان يستر وجهه خجلا ويتمدد على الفراش.

واليوم عقد "هريا" العزم على أنه سيسوق ركشته الآن، فنظّف ركشته وخرج إلى الشارع، كان الناس ينظرون بدهشة إلى سائق الركشة ويجتنبون ركوب ركشته، فما إن قطع "هريا" مسافة قليلة حتى قبض عليه أحد أفراد الشرطة، وبقي "هريا" ملقى في السجن منذ عدة أيام، حتى جاء "سوكها" ذات يوم للقاء "هريا"، وجعل يعرب عن أسفه على عجز "هريا"، فسأل "هريا" "سوكها":

هل تحدثت إلى العضو بخصوص إطلاق سراحي؟".

قال "سوكها": إن العضو غاضبٌ منك جدًّا، وكان يقول: لا يقيم اعوجاج عقل الغبى إلا السجن.

واليوم عندما خرج "هريا" من السجن أسرع إلى بيته، وبعد أن قطع بعض المسافات، وقعت عيناه على موكب يمشي فيه ذلك العضو بعظمة وسط الرايات وضجيج الهتافات. فلم يتمالك "هريا" نفسه فجرى بسرعة إليه وشدّ بقبضتيه على عنقه، ففصله الأشخاص الموجودون في الموكب عن العضو، وضربوه بعصيّ راياتهم ضربًا مُبرحًا حتى سقط على الأرض متلطخا بالدم، ولقي "هريا" مصرعه بعد قليل.

وفي اليوم التالي قد نشرت جميع الأخبار هذا الخبر على صفحتها الأولى وكان عنوانه مكتوبًا بحروف جلية وهو أنه قد عُقد اجتماع ناجح بين سائقي الركشة والمسؤولين بالحكومة، تقرر فيه النظر في مطالب العمال. وإن الإضراب لسائقي الركشة كان قد انتهى الآن من المدينة.

قصة هندية

حكاية ملف

قصة: نور ظهير *

ترجمة: د. محمد قطب الدين **

Email: basmaqutb@gmail.com

ما إن وطأت السيدة "نيرجا" "التُكتُك" بقدميها حتى أدركت أنها فقدت شيئًا ما، لكنها لم تتذكر إلا بعد أن قطع "التُكتُك" مسافة أربعة كيلومترات؛ كانت تحمل معها ثلاثة أشياء؛ حقيبتها الشخصية في يدها اليسرى، وحقيبة الغداء فوق كتفها الأيمن، والتي لم يكن بها سوى تفاحتين وزجاجة ماء نصف ممتلئة، أمَّا الشيء الثالث المفقود فكان ملف التقارير الطبية الخاص بمرض السرطان الذي ينهش جسدها.

كان زوجها "سودهاكر" قد أعطاها الملف عند صعودهما الحافلة معًا في محطة "سراي كالي خان" للحافلات، قائلاً:

ـ هل تستطيعين الحفاظ على هذه الملفات؟ فأجابته دون تفكير كالعادة قائلة:

ـ احتفظ أنت بها.

كان الزوج يوبخها تارةً لمثل هذه الأجوبة المتسرعة، لكنه يطمئن على اعتمادها على نفسها. وكثيرًا ما يقوم بالعمل نفسه حينًا، ويُجبرها على العمل حينًا آخر، ولكن هذه المرة مازحها قائلاً:

ـ هل على يديك نقش الحناء؟

كان السرطان ينهش في جسدها على الرغم من أنه لم يَبدُ على وجهها أو جسدها، كانت" نيرجا" تحمل الملف في يدها، ولا تذكر سوى أنها وضعته في الشبكة خلف مقعدها الأمامي أثناء جلوسها في الحافلة.

---

* باحثة وكاتبة هندية. إنها تكتب باللغات الإنجليزية والهندية والأردية. وهي مترجمة وكاتبة لعديد من القصص والمسرحيات، وحائزة على جوائز وتكريمات عديدة. و"حكاية ملف" ترجمة عربية للقصة "ضروري مال" باللغة الهندية، ومأخوذة من مجموعتها القصصية الهندية المعنونة بـ"سياني ديواني".

** أستاذ مشارك، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

لقد عانت كثيرًا من التنقل من مشفى إلى آخر في "دلهي" لمدة ثلاثة أيام متواصلة، وسط زخم هذه المشافي وإهمالها، وتدني الخدمة الطبية في العيادات الخارجية. كان قلبها يخفق خوفًا ورعبًا في كل مرة، حيث جثم ذلك الداء على جسدها وأرهق روحها، فكانت في كل زيارة لها للمشفى تسأل نفسها:

ـ كم بقي لي من الحياة؟ متى يحين الموت؟

تزاحمت كل هذه الأمور في ذهنها فأرهقتها حتى تغشاها النوم، ولم تعد تدرك ما حدث. فجأة أفاقت ومسحت وجهها بيدها اليمنى، وقالت في نفسها:

ـ لا بد أن أخبر زوجي.

ـ اسمع! ذلك الملف.....أعني هل أخذتَ أنتَ ملف أوراق المشفى؟

ـ لماذا؟ إنني قد أعطيتك إياه.

ـ لعله فاتني ذلك.

ـ ماذا؟ لقد قلتُ لك"احتفظي به! أين تركته؟

ـ في الحافلة، وضعته في الشبكة خلف المقعد أمامي.....

ـ لماذا؟ هل هو ثقيل حتى أنك لم تطيقي حمله؟

ـ لا، ظننت أنه ربما يسقط من يدي لو نمت.

ـ النوم! لقد أفسد نومك الدائم هذا كل شيء، لا أدري ما الحاجة إلى النوم أثناء سفر يستغرق أربع ساعات فقط؟

ـ أنا أريد الرجوع إلى الحافلة.

ـ هل هي حافلة أبيك حتى ينتظرك؟

ـ ماذا أفعل إذًا؟

ـ أنا لن أرجع إلى "دلهي" مرةً ثانيةً، وكيف يمكن الحصول على تقارير المشفى، بعد إنفاق كل هذه الأموال الباهظة من أجل الحصول عليها مرةً ثانيةً؟ وهنا سألها سائق "التُكتُك" العجوز وهو يبطئ من سرعة مركبته:

ـ ماذا فاتكِ يا سيدتي؟ فأجابه السيد"سودهاكار":

ـ امش. أرجوك أوصلني إلى بيتي، وعد سريعًا حتى تتناول طعامك فقد أخبرتني من قبل أنك صائم.

أوقف السائق العجوز مركبته على جانب الشارع والتفت إلى الوراء ثم نظر إلى "سودهاكار" وحدَّق فيه مليًّا، وقال:

ـ تعمدتُ أن آخذ هذا المشوار إلى منطقة "جواهرنجر"، لأن بيتي يقع في نفس المنطقة على مسافة غير بعيدة في "حي عجائب".

ـ لقد أخبرتك أن تمضي قُدماً، امشِ، حتى لا تتأخر عن الإفطار.

وهنا قررت السيدة "نيرجا"، وفاجأت السائق العجوز قائلة:

ـ من فضلك أنزلني يا سيدي في المحطة القادمة لأستقل "تُوكتُكًا" آخر وأعود إلى محطة الحافلات.... واذهب أنتَ.

ـ نعم سأذهب! ولكن لم تخبريني ماذا فاتكِ؟

ـ ملف مرضي، فيه تقارير طبية خاصة بي وبحالتي المرضية، وبعض الأشعة والتحاليل، وغير ذلك، ودونها لن أستطيع تلقي العلاج هنا.

ـ أنا رجل أجنبي بالنسبة إليكِ، ولا يليق بي أن أسألك، ورغم ذلك... اسمحي لي؛ ما طبيعة مرضك يا سيدتي؟

بدأت أوتار قلب "نيرجا" ترتعش واستحضرت ذكرى طفولتها المنسية: هذا هو "عم نظير" الذي كان يحمل رقعة الشطرنج على البغال ويتجول من قرية إلى قرية! لا أدري، أحقا كان اسمه "نظير"؟، أم سُمّي به لانتمائه إلى منطقة "نظير آباد"، وكان ضعيف الذاكرة لا يتذكر الأسماء، فينادي النساء بالألقاب: "الست الكبيرة، "الست المتوسطة" و"الست الصغرى" وفق أعمارهن.

قاومت "نيرجا" مرضها منذ فترة، وعزمت منذ شهر على ألا تبوح به لأي إنسان مهما كان، لكنها لم تتمالك نفسها في هذه اللحظة، فوجدت نفسها تجيب:

ـ السرطان.

-أصابها ذلك المرض اللعين، ولا أدري قيمة تكاليف علاجه؟، ولا أعلم مَنْ يُعالجه؟ ومَنْ يقوم على رعايتها ويساعدها على تعاطي الأدوية والعلاج، ليس ذلك فقط، وإنما ضاع الملف الذي به التقارير والفحوصات أيضًا. قال "سودهاكر" وصاح:

ـ أين أنت ذاهب؟

تراجع السائق العجوز فجأة إلى الوراء، وبدأ يسير في الاتجاه المعاكس ولا يهتم بنداء الصبية الذين يحاولون إخباره بأنه يسير في الاتجاه الخطأ، ولم يلتفت كذلك إلى سيل السباب والشتم الذي أمطره به سائقو المركبات. خفف السائق العجوز سرعته بعد أن اتخذ مساره الصحيح بعد عبوره الكوبري، وأجاب:

ـ أنا ذاهب إلى محطة الحافلات.

فسأله السيد "سودهاكر"، ويبدو على وجهه علامات التسامح الديني:

ـ ألستَ صائمًا؟

ـ هذا بيني وبين ربي، دعني أسرع بالمركبة، ولو أردت يمكنك النزول من "التُكتُك"

ـ إنه مضيعة للوقت، أؤكد لك أن الحافلة قد غادرت المحطة.

ابتسم العجوز وأسرع إلى محطة الحافلات بأقصى سرعة ممكنة.

وخلال عشر دقائق وصل إلى حشد من عربات المركبات المنتظرة للحافلات القادمة، وصرخ:

ـ يا إخوان! أرجوكم راقبوا مركبتي جيدًا. اجلس يا "سودهاكر"، راقب أمتعتك، واشرب الشاي. وأنتِ يا سيدتي تعالي معي.

رأت "نيرجا" أن "سودهاكار" بدأ يدير نظره إلى كشك الشاي والمأكولات. وتنفست الصعداء، علّها تستريح لبعض الوقت حين وصولها إلى البيت ولا تُضطر إلى إعداد شيء من الطعام. وهنا سأل السائق العجوز السيدة"نيرجا":

ـ هل تتذكرين رقم الحافلة يا سيدتي؟

ـ لا. بابا، لا أتذكر شيئًا إلا أنني استقللتُ الحافلة من محطة "سراي كالي خان".

ـ في أي وقت؟

ـ كانت الساعة الثانية والنصف ليلاً، وكانت الحافلة من طراز "وولفو!"

ـ هذا كافٍ، وتقدم إلى شباك الاستعلام.

ـ يا أخي! هل قدمتْ حافلة من "دلهي"؟ أجابه الموظف في شيء من الاستخفاف واللامبالاة حتى أنه لم يرفع عينيه عن السجل:

ـ نعم. قدمت ثلاث.

ـ إني أسأل عن حافلة واحدة من طراز "وولفو" تحركت من محطة "سراي كالي خان" في الساعة الثانية والنصف؟

ـ نعم، أتت ثم غادرت.

قبل أن ينطق السائق العجوز بالمزيد، ألقت "نيرجا" رأسها داخل الشباك، وقالت:

ـ يا سيدي! لقد فقدتُ شيئًا مهمًا في الحافلة.

أجاب الموظف وهو يرفع عينيه:

ـ لماذا لم تحافظي على أمتعتك؟

حاولت "نيرجا" التوضيح قائلة:

ـ كان ملفًا طبيًا.

ـ ألم تكن حقيبتكِ تتسع له، هكذا أنتن أيتها النساء..

هنا قاطعته، قائلةً:

ـ لا تتحدث اليوم عن النساء والرجال، من فضلك أخبرني فقط إلى أية جهة غادرت الحافلة؟

أجابها الموظف في شيء من السخف نظرًا لأنها قاطعت حديثه، قائلاً:

ـ سبق أن أخبرتكِ، إنها غادرت.

ـ هل ابتلعتها الأرض أم طارت في السماء؟ لا بد أن تكون على هذه الأرض؟

ـ غادرت إلى المحطة الرئيسة.

ـ نعم، كل ما أرجوه عنوان هذه المحطة. أين هي؟

ـ بعيدة جدًا.

ـ دلّني من فضلك، أنا سأبحث عنها سواء بعيدة أم قريبة.

ـ دُلني يا سيدي من فضلك، عسى أن أجد متاعي وأتجنب خسارة كبيرة؟

بعد أن سمع الموظف توسل "نيرجا"، ومخاطبته بكلمة:" سيدي"، صار ليّنا، وقال دون اهتمام:

ـ في جهة أخرى، إلى الحدود، في "راجا باغ".

رجع الاثنان معًا نحو "التُكتُك"، وراح السائق العجوز يخاطب "نيرجا":

ـ كان الموظف يُخفي عنوان محطة الحافلات وكأننا نسأل عن عنوان زوجته المفقودة. ضحكت "نيرجا" بصوتٍ عالٍ على منظر وجهه الصارم كأنه يتجنب الكشف عن عنوان زوجته المطلقة، وابتسم الموظف أيضًا حينما رآها تضحك من قوله.

لم تتوقف ضحكتها حتى دَوَّى صوت الأذان من "مسجد ذي منارة واحدة" بالقرب من المحطة. أخرجت "نيرجا" تفاحتيْن من حقيبتها المعلقة على كتفها، وقالت للسائق العجوز:

ـ يا بابا، لدي فاكهة، من فضلك عَجِّل بفطرك!". نظر السائق العجوز إليها نظرة خاطفة، ثم مدّ يده اليابسة الخشنة ليأخذ منها تفاحًا، وقال:

ـ سأفطر على فاكهتكِ يا سيدتي، ولكن لن أتناول طعام الإفطار إلا بعد العثور على الملف، لنَرى أيساعدنا الله أم لا؟

أوقفها على باب المحطة بإشارة من يده، ثم أسرع وجاء بالمركبة قريبًا منها. كان يتراءى لها من وجه "سودهاكار" أنه أكل ملء البطن.

ـ لن نجد شيئًا؟ سبق أن أخبرتك، وقلت لك إن هذا مضيعة للوقت.

ـ نذهب الآن إلى محطة حافلات "وولفو"، حيث غادرت الحافلة إلى تلك الجهة، قالت "نيرجا".

ـ فماذا إن لم نجد هناك شيئًا؟ يتحاور "سودهاكار" مع "نيرجا".

ـ "بابو جي! لماذا ترهق نفسك. خُذ "تُوكتُكًا" آخر من هنا واذهب إلى بيتك، أنت تعبان أكثر. وافق "سودهاكر" عطفا عليه.

صرخ السائق العجوز على سائق تُوكتُك آخر:

ـ يا عارف!"، تعال هنا.

أنزل يا سيدي أمتعتك، واذهب إلى البيت واسترح، أنا سأعود بزوجتك سريعًا.

نزل "سودهاكار"، وتحرك التُكتُك، وما إن تقدّم قليلاً، فإذا بالسائق العجوز يقول في نفسه: ـ يا للعجب! الزوجة المريضة، والمُتعب هو الزوج. ابتسم الاثنان برؤية بعضهما البعض من خلال المرآة الخلفية، كأنهما نجحا في هذه الخطة.

وما إن دخلت "نيرجا" باب محطة حافلات "وولفو" حتى تعرفت على الحافلة.

ـ مهلا يا سيدتي، قد يكون باب الحافلة مغلقًا، أنا سأطلب منه أن يفتح الباب.

أوقف السائق العجوز "نيرجا" التي كانت تتقدم بحماس، وتقدّم هو بنفسه وسأل حشدًا من السائقين والمحصلين وهم يحتسون الشاي قائلاً:

ـ يا إخوان! مَنْ سائق هذه الحافلة ذات اللون الأصفر؟ لقد فقدت فيه هذه السيدة ملفها.

وقبل أن تأتيه الإجابة منهم، إذا بصبي صغير يقف على مسافة قليلة منهم يقول:

ـ أنا احتفظت به ووضعته تحت مقعد "سائق الحافلة".

اقترب الصبي ذو البشرة البيضاء، والذي يبدو أنه في السادسة عشرة، واستأذن سائقه وكأن هذا جزءًا من وظيفته:

ـ هل أعطيها الملف يا سيدي؟ فأجابه السائق:

ـ يا بني، لا بد أن نرد المتاع إلى أهله، "يا أختي، اذهبي وخذي متاعك المحفوظ، لا بد أن تحافظي على الأشياء المهمة".

نهض السائق ناصحًا وفي يده كوبٌ من الزجاج الفارغ. تعرفت "نيرجا" على ملفها وضمته إلى قلبها كأنها تذكرت ذكريات العشق المتمردة فجأة ولا تريد الانفصال عنها.

أنزل السائق العجوز "نيرجا" أمام بيتها، وأخذ الأجرة، ثم وضعها في جيب داخلي لنصف سترة لبسها، ثم رفع عينيه بعد ما قالت "نيرجا" له:

ـ سلام بابا.

أطفأ السائق مركبته، ثم نزل منها، وهو يردد:

ـ لقد صدق سائق "وولفو" إذ قال: "الحفاظ على الشيء المهم ضروري، والنفس أهم شيء، احفظيها".

عاد السائق العجوز إلى مركبته وأدارها وذهب، وما زالت "نيرجا" تنظر إلى نفس الجهة لبرهة قليلة، وقالت:

ـ نعم، المحافظة على النفس أمر مهم، لا للغير فقط بل للنفس أيضًا، لأن هذا هو ما نملكه فقط.

حوارات

حوار مع بسمة الخاطري حول إبداعاتها للأطفال

حاورها: محمد شمشاد عالم القاسمي*
Email: shamshadqasmi@gmail.com

في هذا اللقاء معنا الكاتبة بسمة الخاطري من أبرز كتاب أدب الأطفال في سلطنة عمان، بدأت الكتابة منذ أن كانت على مقاعد الدراسة، وفازت بمراكز متقدمة في مسابقات سلاسل القصص التي كانت تنظّمها وزارة التربية والتعليم في عمان، وتتميز كتاباتها وخاصة إنتاجاتها القصصية للأطفال بأسلوب تربوي ممتع مشوِّق تحاول الكاتبة من خلاله تقديم المعلومات والأفكار والتوجيهات والسلوكيات إلى الأطفال.

تُعد بسمة الخاطري من أغرز الكاتبات إنتاجًا في عمان، فصدرت أول سلسلة لها عام 2007م، وفي السنوات الأخيرة قد اهتمت بقصص الأطفال اهتماما بالغا، فصدرت لها سلاسل ومجموعات قصصية عديدة موجهة للأطفال، يبلغ عدد قصصها للأطفال أكثر من مئة، ومنها: سلسلة "لبيب ولبيبة والأسرة السعيدة" (أربعة أجزاء)، وسلسلة "رحلة أحمد في أسبوع" (ستة أجزاء)، وسلسلة "عجائب الحواس" (خمسة أجزاء)، وسلسلة "مِن حقي" (ثمانية أجزاء)، وسلسلة "فقه وآداب الأطفال" (عشرة أجزاء)، وسلسلة "تعالوا نحيا"، وسلسلة "عالم الأدوات العجيب" (30 قصة)، وغيرها. كما تُرجمت بعض إنتاجاتها القصصية إلى عدة لغات عالمية.

ترأست الكاتبة تحرير ثلاث مجلات للأطفال: هي "حكايات" و"أيوب" و"بيئتي"، فتولت أمانة تحرير مجلتَي "أيوب" و"حكايات" الصادرتين عن "مركز العيسري"، بمسقط، ثم إدارة تحرير مجلة "بيئتي"، بالكويت. وتتمتع بعضوية في شتى المشاريع، فهي عضو في مشروع وقاية الشباب من الأمراض المنقولة جنسيًا والإيدز، التابع للاتحاد العالمي للجمعيات الطبية الإسلامية، بالأردن، وعضو في مشروع الكتاب الملموس، التابع لجمعية مزايا للمكفوفين، بمصر، كما هي عضو في مشروع تنمية وترشيد العقليات البشرية، بالمغرب.

* باحث هندي.

س: متى بدأت الكتابة للأطفال؟

ج. بدأت الكتابة منذ أن كنت على مقاعد الدراسة، حيث كنت أكتب بعض المقالات في الصحف والمجلات، ثم تخصصت للكتابة للطفل بعد أن صار تعاملي مع الطفل بشكل مباشر بحكم عملي كمعلمة.

س: كيف بدأت تجربتك بالنشر في أدب الطفل؟

ج. أول تجربة لي بالنشر كانت مع وزارة التربية والتعليم، حين قدمت لها أول سلسلة قصصية تتألف من 6 أجزاء، وكانت بعنوان "رحلة أحمد في أسبوع"، حيث شاركت بها في مسابقة القصص الداعمة للمنهاج، وفازت بمركز متقدم، ثم طبعت ووزعت على مدارس السلطنة، فقد كان محتوى السلسلة يخدم وحدة الضوء والألوان في منهاج العلوم للصف الثاني الأساسي، وبعد هذه التجربة بدأت أفكر بالنشر في دور نشر عربية.

س: ما هو أدب الأطفال في رأيك؟ هل هو ما يعالج قضايا الأطفال أو ما يكتبه الأطفال أنفسهم أو كل نص موجه للأطفال.....؟

ج. هو كل ما ينتجه العقل المبدع من كلمات وألعاب وألحان وإيحاءات، تخاطب عقل الطفل بلغة يفهمها، وتحترم مخيلته، وتحتوي على قيم تربوية وسلوكية وأخلاقية وإنسانية، بغض النظر عن طبيعة هذا العقل المبدع الذي ينتج هذه المجموعة من الأدوات والفنون، وإنما ما يهمنا هو المستهدف، قد يكون المنتج كبيرًا أو صغيرًا، ذكرًا أو أنثى، كل هذا إذا خاطب الطفل فإنه ينتمي إلى أدب الطفل، والذي هو أحد فروع ثقافة الطفل.

س: ما هي الموضوعات التي تفضلينها أكثر من غيرها في كتاباتك للأطفال؟

ج. لقد كتبت بجميع الموضوعات دون استثناء، سواء كانت موضوعات تعليمية أو دينية أو تربوية أو علمية أو تاريخية، أو غيرها، حيث إن أديب الأطفال يمكنه أن يكتب بمختلف الموضوعات والمجالات.

إلا أنني أجد نفسي أميل إلى الكتابة في الموضوعات التعليمية والعلمية أكثر من غيرها؛ لذلك فإنني أحب التخصص بهذا المجال، وهو مجال إنتاج الكتب التعليمية،

وبشيء من التخصص فإنني أفضل العمل على كتابة الموسوعات العلمية، وقد عملت على بعضها مؤخرًا.

ومن وجهة نظري، فإنني أرى أن وجود شيء من التخصص في مجالات الكتابة المختلفة للطفل أمر جيد، حتى نستطيع توفير المنتج الجيد والأصيل للطفل، وحيث أن وجود مختصين في مجالات الكتابة المختلفة للطفل ظاهرة صحية ومهمة أيضًا.

س: هل أثرت شخصيات في رحلة الكتابة للأطفال؟

ج. لا توجد شخصيات محددة، فالساحة العربية تزخر بالكُتاب المتميزين، وقد لا يسع المجال لذكرهم، وكل واحد منهم كانت له بصمته بمجال أدب الطفل.

س: هناك اتجاهات مختلفة في تزويد الأطفال بالقيم الأخلاقية منذ نعومة أظفارهم، فماذا ترين هل ينبغي توافرها في قصص الأطفال أم لا؟

ج. بكل تأكيد القيم شيء مهم، ولكنه ليس كل شيء في أدب الطفل، وهنا علينا أن نميز أن الطفل ما دون سبع سنوات غير قادر على تشرب القيم، وإنما في هذه المرحلة يكون خياله مطلقًا، فيجب علينا أن نغذي خياله بالمتعة والصور البصرية والكلمات الجميلة والألوان العذبة، وأيضًا نعرفه بالمحيط، وعلاقات الأشياء فيما بينها، بغض النظر عن القيم في تلك المرحلة، بل يقال مثلاً إن بعض القيم مثل الأنانية من الطبيعي أن يتحلى بها الطفل دون سبع سنوات، فلا يجب أن نعلمه قيمة العطاء مثلاً، ثم ينعكس على شخصيته مستقبلاً، وهناك أمثلة كثيرة على هذا النحو.

إذن القيم الأخلاقية بكل تأكيد مهمة ولكن علينا أن نعود إلى علم نفس الطفل لنعرف متى يجب أن نستخدمها، وكيف نستخدمها بطريقة غير مباشرة وغير منفرة تذهب إلى عقل الطفل ويتقبلها ببساطة دون إقحام أو إجبار.

ولكن القراءة بحد ذاتها هي قيمة، والخيال بحد ذاته هو قيمة، فبمجرد الكتابة للطفل فنحن وصلنا إلى قيمة، وأحيانا نضيف قيمًا تربوية وسلوكية فنكون زدنا على القيمة قيمة أخرى.

س: لاحظت في قصصك الأسلوبَ التربوي المشوق الذي تحاولين من خلاله تقديم المعلومات أو السلوكيات إلى القراء الصغار، فهل لأسلوبك علاقة بوجودك الدائم مع الطفل كمعلمة؟

ج. هذا صحيح، كوني معلمة أثر ذلك على أسلوبي وتوجهي للتخصص في كتابة القصة العلمية التعليمية للطفل، وكان يجب أن يكون لي طريقتي الخاصة في تعليم الأطفال، وكان علي أن أكتشف الطريقة المثلى بنفسي من خلال الأطفال أنفسهم، بشرط أن تكون هذه الطريقة مناسبة للجميع، ومن أول تجربة لي في استخدام القصة العلمية، اكتشفت طريقتي الخاصة! فلا يمكننا أن نمد الطفل بالمعلومات بشكل تقليدي في ظل ما نعيشه من ثورة تكنولوجية متسارعة، ونريد منه أن يصبح طفلاً عبقريًا، نحن نحتاجه أن يكتسب المعلومات وهو راغب فيها، متشوق لها، يطلبها، ويسعى إليها بنفسه، وهذا يجعل التعليم مثل أي لعبة تدخل البهجة إلى قلب الطفل، ولا تمثل أي ضغط عليه، وهنا أتذكر ما قاله "جلين دوما" مدير "معهد تحقيق الإمكانيات البشرية": "التعلم هو أعظم مغامرة في الحياة، فهو مستحب ومهم ولا يمكننا تجنبه، ويجب أن يتعامل الطفل مع عملية التعلم بشكل ممتع، وأن نشبع رغبة الطفل النهمة في تعلم جميع الأشياء، والتي يجب أن يستوعبها بجميع أشكالها، وعلى وجه الخصوص باستخدام اللغة".

ويولد الطفل بتريليون خلية معقدة وخيال غير متناه، وقدرة تحليلية تمكنه من التركيز بأدق التفاصيل، وامتلاكه لذاكرة لا حدود لها؛ لذلك على المعلم أن ينتبه؛ لأن كل ما يقدمه للطفل يزيد من حجم الروابط الداخلية بين خلايا المخ، وبالتالي فإن كم الزيادة في هذه الروابط يعتمد على كيفية تنشئة المخ ووسائل وأساليب تعليمه.

س: في ظل العولمة والتكنولوجيا الحديثة يبدو أن رغبة الأطفال القراء والمتلقين في الكتب والمواد الورقية تقل، ويفضلون الوسائل الإلكترونية، فما هي طرق تعزيز علاقاتهم بالكتب الورقية وتحقيق التوازن بينها وبين وسائل التعليم الإلكترونية؟

ج. فيما يتعلق بالتكنولوجيا، فإنني أراها ضرورة للتطور الحضاري، وبدلا أن نصرف الوقت لإجبار الطفل على القراءة الورقية، أنا برأي نصرف الوقت والأموال لجعل تلك التكنولوجيا غير مضرة للطفل، وتصبح وسيلة ناجعة ونافعة يستخدمها أدب الطفل بشكل حقيقي وفعلي، نحن لا يجب أن تكون معركتنا ما هي الوسيلة التي نصل بها إلى الطفل سواء ورقية أو تكنولوجيا، ولكن علينا أولًا أن نربح معركة الوصول إلى الطفل، ثانيًا ما هو المضمون الذي يقدم للطفل، وثالثًا هو التفكير بالوسيلة.

بكل تأكيد الكتاب له احترامه ومكانته، لكنني لا أجد أن التكنولوجيا خطر على الكتاب، وإنما هي ضرورة علينا أن نتأقلم معها ونتقبلها ونتفهم رغبة الطفل بالتعامل معها؛ لأنها وسيلة بصرية عصرية، ولكن علينا فقط أن نوائمها لتصبح وسيلة فعالة من وسائل أدب الطفل، وزرع القيم في وجدانه.

س: من المعروف أن الأطفال كالصفحة البيضاء، فكيف يمكن إثارة الفضولية وتطوير ملكة الابتكار لديهم؟

ج. حقيقة يستطيع الأديب أن يطور ملكات الطفل الإبداعية عندما يحاول أن يكون غير تقليدي، وعندما يحاول أن يقدم أفكارًا إبداعية وأفكارًا تقترب من خيال الطفل الذي هو خيال غير محدود وخيال ابتكاري إبداعي بالفطرة؛ لذلك نجد الطفل في عمر ثلاث إلى خمس سنوات يبدع أفكارًا غريبة ويعيش خيالات وأحلام قمة في الإبداع.

الكاتب الجيد يستطيع أن يكون طفلاً بخيالاته، وبالتالي تخرج الإبداعات الابتكارية في الأفكار تلقائية تشبه الطفل وتحلق معه في سماوات الإبداع، لهذا عندما نقدم له أفكارًا إبداعية نفتح أمامه آفاق الخيال، ويتوصل لأفكار أكثر عمقًا مما قدم له.

إذن تكمن أهمية ما يكتبه الكاتب هو أن يقدم خيالاً إبداعيًا يساعد الطفل على بناء شخصيته الإبداعية والابتكارية.

س: جل كتاباتك للأطفال ترتبط بفن النثر، فهل حاولت كتابة الشعر للأطفال؟

ج. هذا صحيح،أنا لم أكتب في شعر الأطفال، وجل كتاباتي نثر، وآمل أن تكون لي تجربة مستقبلاً إن شاء الله، حيث إن هذا اللون من الأدب له ما يميِّزه، من حب الأطفال له، وبالتالي يمكننا تقديم المعلومات أيضًا في صورة شعرية، من خلال الحكايات الشعرية التي تتسم بالوضوح والعمق والبساطة والتشويق.

س: أرجو منك تسليط الضوء على خبرتك في رئاسة تحرير المجلات للأطفال؟

ج. كانت تجربتي الأولى في تولي أمانة تحرير مجلتَيْ "أيوب" و"حكايات" الصادرتين عن مركز العيسري، بمسقط، وأنا أشكر كثيرًا الثقة التي تم منحي إياها من قِبَل الشيخ عبدالله العيسري المدير العام، ورئيس التحرير الاستاذ مُهنَّد العاقوص، فقد كانت تجربة ثرية جدًا، رغم أنها كانت محفوفة بالتحديات والصعوبات، ولكن كان عندي إيمان بأن أي عمل مميز يجب أن يواجه تحديات وصعوبات كثيرة، ولا يوجد شيء سهل أبدًا!، والتحديات كانت في الوقت، كنا نتسابق مع الزمن، فمن الضروري في المجلات تسليم النصوص في وقتها، لتدقيقها، وإرسالها للرسم، ثم التصميم، وموضوع الرسم هذا تحدي كبير جدًا، ولأننا كنا حريصين على إكساب المجلتين الهوية العمانية؛ لذلك كان علينا اختيار الرسامين بعناية، ونعود مجددًا للوقت، فأيضًا الرسام يجب أن يكون قادرًا على تسليم النص مرسومًا في الوقت المحدد له. ثم جاء اختياري لأكون مديرة تحرير مجلة "بيئتي" الصادرة عن دولة الكويت، وهي مجلة تُعنى بكل ما له علاقة بالبيئة، وكانت هذه التجربة أسهل بالنسبة لي، صرت أعرف الطريق جيدًا، وما يتطلبه العمل في المجلات.

س: ما رأيك في حركة أدب الطفل بشكل عام في عُمان؟

ج. هناك نقلة كبيرة في أدب الطفل في عمان، وكل يوم تشهد الساحة العمانية كاتبًا جديدًا في مجال أدب الطفل، هناك تنافس جميل، ورغبة في الاتجاه إلى هذا المجال، ولم يقصر المهتمون أيضًا بعمل الورش والقراءات للكبار والصغار، وما نحتاج إليه مستقبلاً هو مركز متخصص للدراسات في مجال أدب الطفل، ودار نشر متخصصة، ونحتاج أن ننتسب إلى مجلس كتب الأطفال واليافعين ليكون لنا دور عربيًا وعالميًا.

س: ما رأيك في كتابة القصص للأطفال بصورة أكثر متعة وفائدة؟

أن نفكر في طبيعة المرحلة التي نكتب لها، فكل مرحلة لها خصائصها الحركية والعقلية والبدنية والنفسية، ونحن نتعامل مع جسد معقد، يجب أن نفكر جيدًا، ماذا سنقدم له لنحسن وظائف مخه، ليحظى بمهارات فائقة، ويجب أن نقدم له القصة ذات الهدف والمغزى والقيمة والتي تنمي الفضول لدى الطفل وتدفعه إلى التعطش للمعرفة، وأذكر هنا أن العالم ليوناردوا دافنشي قال: "إن الفضول ساعد في تنمية عبقريته"... مثلًا: قصة عن قوس الألوان، يمكن أن تجعل يتساءل: ما هو قوس الألوان؟ ما سبب حدوث قوس الألوان؟، لماذا الماء مبلل؟، أين تذهب الشمس؟، ما هو الضوء؟ وهكذا...

س: نشرت مع عدد كبير من دور النشر؟ فكيف تتعاملين معهم وما هي نصيحتك لكاتب أدب الطفل حينما يرغب في التعامل مع دور النشر؟

ج. كل ما أقوم به بعد أن يصبح النص جاهزًا، إرساله لدار النشر عن طريق الإيميل مع السيرة الذاتية، موجه رسالة لهم عن طبيعة النص، والفئة العمرية الموجه لها، ثم انتظر الرد آخذة في عين الاعتبار إمكانية الرفض أو القبول، وهذا بالطبع راجع أحيانًا لاحتياجات الدار، وتوجهاتها، فهناك دور نشر تفضِّل القصة العلمية التعليمية، وبعضها تفضِّل القصص السلوكية، وأخرى تبحث عن الحكاية، وهكذا...، كما أن بعض دور النشر تتوجه للطفولة المبكرة، وأخرى لليافعين...، وهذه في الحقيقة ظاهرة صحية، فمن الجميل والضروري أن تتنوع التوجهات من قِبل دور النشر، حتى لا نقع في تكرار الموضوعات، حتى أن الكاتب الآن صار يعرف أين يوجه نصه، لأي دار نشر، وهذا بالتأكيد يأتي مع الخبرة، وعلى الكاتب أن يطرق الأبواب، ولا يظن أن مجرد رفض نص له، يعني أن النص سيء، فما تراه دار نشر أنه نص غير مناسب، قد تراه أخرى نصًا جميلاً، ويصبح من أهم كتب الدار، فليس بالضرورة أن تتشابه الآراء والأذواق، والمهم أن لا نيأس، ونؤمن بأن "القمة تتسع للجميع ".

في النهاية، أشكرك جزيل الشكر على إتاحة هذه الفرصة السعيدة لإجراء هذا الحوار الصحفي حول إبداعاتك وإنتاجاتك القيمة للأطفال، ووجهة نظرك تجاه أدب الأطفال وما يرتبط به.

حوارات

حوار مع الناقدة د. نادية هناوي

حاورها: محمد عمران*
Email: imran32_lla@jnu.ac.in

الأستاذة الدكتورة نادية هناوي اسم يتألق في المشهد النقدي العراقي ويزداد ظهورًا وانتشارًا باتساع الممارسات النقدية وثرائها وتنوعها، وقد تجاوزت الحدود المحلية إلى الساحة النقدية العربية، ولُقبت بـ(راهبة النقد العربي) لاجتهادها في كتاباتها ولأن لها خطها النقدي الواضح والمميز والمنفتح الذي يوازن بين الأكاديمي وغير الأكاديمي وينتصر للإنسان والجمال.

لقد حصلت الدكتورة نادية هناوي على لقب الأستاذية عام 2012م. وشاركت في أكثر من خمسين مؤتمرًا علميًا في الجامعات داخل العراق وخارجه. كما نشرت أبحاثها في المجلات المحلية والدولية، وهي عضو في اللجنة العلمية لمجلة التواصل الأدبي، جامعة باجي مختار، بالجزائر. وقد أصدرت ثمانية عشر كتابا في النقد، أهمها "الجسدنة بين المحو والخط الذكورية والأنثوية" و"السرد القابض على التاريخ" و"موسوعة السرد العربي معاينات نقدية ومراجعات تاريخية" و"نحو نظرية عابرة للأجناس" و"السرد النسائي القصير: مقاربة نقدية فى مجموعتين قصصيتين" و"تمظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته قراءات تطبيقية" و"تعدد القراءات الشعرية في النقد القديم حتى نهاية القرن السابع للهجرة".

*****

س. في كتاباتك النقدية يتجلى اهتمامك بالمناهج والمفاهيم الغربية الحديثة والاستفادة منها في معاينة الإبداع الأدبي مع تنوع هذه المناهج والمفاهيم واختلافاتها وكيفية الاستفادة منها.

ج. ليس للناقد أن يمارس عمله إلا بعد أن يكون قد هضم منهجيات التحليل وعرف مدارسه ووقف على مفاهيم النقد ومصطلحاته وأدرك طبيعة المسالك التي يحويها

* باحث هندي.

المنهج داخليًا كان أم خارجيًا، سياقيًا أم نصيًا مع ضرورة المواكبة للتغيرات المنهجية التي تطرأ على عالم النقد بين الفينة والأخرى وأن لا يجازف في الشروع بتطبيق منهج لم يكن قد استوعبه أو عرف متاهاته؛ وإلا فإن الخلط واللبس سيعتري عمله وسيفضي به إلى ما نسميه بالعماء النقدي بتعبير بول دي مان.

وقد يلقي به في منطقة سمتها الناقدة ليندا هتشيون بالتوريط النقدي. ولكي يكون الناقد في منأى عن الخلط المنهجي لا بد له من أن ينتقي المنهج الذي يلائم مادته المقروءة على أساس ما يسميه لوسيان غولدمان البنية الذهنية فالمنهج أداة وليس غاية ولا يمكن أن تكون معكوسة أي أن يصبح المنهج هو الغاية، الأمر الذي يدفع بالناقد إلى أن يقولب المادة المقروءة بحسب متطلبات هذا المنهج وهذا ما سيضر بالنقد ويجعل التحليل جزافيًا خارجًا عن مقتضيات النظر النقدي الواعي والعميق. وبعض النصوص قد لا تتكشف جمالياتها الإبداعية وإمكانيات كاتبها إلا بمزاوجة منهجين وربما أكثر وليس في ذلك مثلبة ما دام المنهج أداة من مجموعة أدوات يستعين بها الناقد في سبيل ممارسة عمله باحتراف وحذاقة.. وشخصيا وجدت في النقد الثقافي معطيات أداتية مهمة تلبي انفتاحية الناقد في النظر ورغبته في التمحيص.

س. أنت من أوائل النقاد العراقيين الذين أولوا اهتماما للنقد الثقافي، ولك أكثر من كتاب في هذا المجال، وثمة سجال في الساحة النقدية بين فريقين أحدهما يتهم هذا النقد بإقصاء النص وفريق آخر يتخندق عند النقد الثقافي، فما رأيك في هذه القضية؟

ج. الحياة تتغير ومقتضيات التجدد والمداومة تتطلب من النقد أن يكون في حالة تحرك مستمر لا يعرف الثبات ولطالما أفادتنا المناهج السياقية في التقاط إبداعية النصوص وما يحيط بكاتبها من هول التحديات الواقعية وبما يمكننا من فهم مسارات الشعور السايكولوجي الذي تمخضت عنه والأبعاد الفكرية أو الأيديولوجية التي تم إسقاطها على تلك النصوص.

أما المناهج النصية فضرورية للتقليل من النزعة السياقية أو إمحائها ومحاولة تلمس جماليات النصوص بالغور في بنائية النص وتحسس المواطن الشكلية التي انطوت فيه عازلة النص عن كاتبه مهملة خصوصيات الواقع ومخاضاته.

ولقد تبين فيما بعد أنه لا المناهج السياقية تخدم نقد النص ولا المناهج النصية تحقق له ذلك، لذلك أخذت دعوات الانفتاح بالنص على مختلف التوجهات المعرفية عبر التركيز على القارئ وليس المؤلف أو النص وهذا ما أسهم في بزوغ منهجيات انضوت في خانة ما بعد النصية ومنها السيميائية والتفكيكية والدراسات الثقافية ودراسات التابع والنسوية وما بعد الاستعمارية، ولقد اقترب النقد بسبب هذا النزوع من العملية الإبداعية برمتها أعني عناصرها الستة التي حددتها خطاطة جاكبسون وهي القناة والسياق والنص والقارئ والمؤلف والسنن، مفيدًا من العلوم الإنسانية الأخرى ولا سيما اللغة والدين والاجتماع وعلم النفس والإنثربولوجيا والإثنولوجيا والميثولوجيا وغيرها. وما عاد القول بأولوية منهجيات بعينها على غيرها منطقيًا ولا مقبولاً أصلاً لأن المسألة رهن بالمادة المقروءة ومديات إبداعها فقد تتطلب منهجًا سياقيًا واحدًا وقد تقتضي أكثر من منهج سياقي وربما تتطلب منهجًا نصيًا وآخر سياقيًا وثالثًا ما بعد نصي وهكذا لا تغدو العملية النقدية علما بل أكثر من ذلك إنها رؤية فلسفية لا تتجلى للناقد إلا ساعة قراءاته للنصوص وتفقده لأبعاد شكلها وموضوعها.

ومن هنا يغدو النقد الثقافي ميدانا رحبا لكشف جماليات النصوص من خلال الاشتغال على إضمارية الأنساق وتأويلاتها أو بالتركيز على تفكيك التمركزات ومركزة المقصيات بحثا عن قضايا مسكوت عنها أو مستورة ضمن رؤية انفتاحية مكاشفاتية وبمحمولات تخالف السائد والمعتاد.

س. كيف أفادتك الأكاديمية في ممارساتك النقدية؟

ج. لأكاديمية البحث والتقصي أثره الكبير في بلورة رؤاي النقدية وكان الناقد الكبير الدكتور علي جواد الطاهر قد أشار إلى أن لتشكيل الذهنية النقدية عاملين أو شرطين هما: الموهبة الفطرية والاكتساب المعرفي، وهكذا لا يغدو الاتصاف بالنقد أمرًا هينًا لأنه يتطلب اكتسابًا ثقافيًا واسعًا يدرب الذهن ويوسع

الإفهام ويربي الذائقة ويقوي الملاحظة ويسرع البديهة وبما يسهم حتما وبدا في تطوير الأساليب وتعزيز التعابير بالمداومة غير المنقطعة على القراءة والبحث والدرس سعيا نحو التحليل والتفسير والتقويم والوصف والاستبيان..إلخ.

وإننا إذ نشهد اليوم كيف إن آفاق النقد الأدبي قد ضاقت بالتحديدات العلمية والتخصصية الدقيقة والصارمة فإن الاكتساب غدا هو المؤهل الناجع الذي يدعمه الاستعداد الداخلي بالدربة والمران كما يضفي عليه النزوع الذاتي حدسا فائقا وتذوقا راقيا وبما يصنع ناقدا بالمواصفات المطلوبة وبالأطر المنصوص عليها في أدبيات البحث وسياقات الدرس النقدي المعاصر..

س. لك شهرة وخبرة واسعة في المشهد النقدي العراقي والعربي، فأين تضعين مناهج النقد العراقي الراهنة بين عامة النقد العربي؟

ج. أنا أؤمن بالجمال وأعلم أن الصدق هو مفتاح التميز والإبداع. وهو ما لا يتحصل إلا بعد جهد، وعلى الناقد استيعاب المسؤولية الملقاة على عاتقه ليؤدي دوره في ترصين الواقع الأدبي والإبداعي ناظرا إلى الأمام بثبات منشدا للأمل بعالم جديد تزول عنه صور الانكسار والإحباط والمصادرة، وتحل محلها صور مشرعة بالتفاؤل والإيجاب على الدوام. ولا أغالي إذا قلت إن النقدية العراقية تقف في المقدمة عربيا، بالرغم من أن التحجيم الثقافي ما زال يسد كثيرا من منافذ التواصل فإننا مع ذلك نحاول التواصل عربيا عبر المجلات والصحف في محاولة للإسهام في إنعاش الواقع النقدي وتوكيد التواصل بين النقاد العرب.

س. فزت بجائزة الجامعة المستنصرية للعلوم والآداب عام 2018م، ماذا يعني لك الفوز؟

ج. الجائزة محطة تضاف إلى محطات مررت بها عبر مسيرتي الدراسية والبحثية بدءً بالمراتب الأولى التي كنت أنالها في الصفوف الأولية والثانوية ومرورا بفوزي في المركز الأول على جامعة بغداد في مرحلة البكالوريوس والمرتبة الأولى على دفعتي في دراستي للماجستير والدكتوراه ووصولاً إلى نيلي جائزة النقد الأدبي في مسابقة دار الشؤون القافية العامة الدورة الخامسة، وزارة الثقافة عام 2012م ثم تكريمي

بدرع الجامعة المستنصرية كأفضل تدريسية لعام 2013م وبعدها نيل جائزة نازك الملائكة في النقد النسوي عام 2014م.

ولا شك أن فوزي بالجائزة هو دليل الأكاديمية والارتقاء على سلم المعرفة الإنسانية، وهو أيضا حصاد لمشروع بحثي عزمت على التخطيط له بجهد وكد وصبر ودأب وثبات، حتى كان الفوز إعلانا يتوج سنوات الاجتهاد والإخلاص والبحث، وتفوقا تتضح معه أبعاد المواكبة الجادة والمخلصة أبحاثا ومشاركات وملتقيات ومؤتمرات ومهرجانات ومؤلفات ونشاطات جمعت الحلو بالمر والوكد باليسر لتكون الجائزة هي الصورة التي استوعبت ما تقدم بفضل الله وعونه بطريقة مشرفة أفتخر بها الافتخار كله.

س. تم اختيارك عضوا في المجلس الاستشاري في جامعة إسطنبول..حدثيني عن ذلك؟

ج. في عام 2016م اخترتُ عضوا في المجلس الاستشاري لمركز الفارابي للدراسات الأورواسيوية التابع لجامعة إسطنبول في تركيا، ومنذ ذلك الوقت وأنا أتواصل بالمشورة العلمية التي تحتاجها فعاليات المركز وندواته كما أمده ببعض الأفكار التي تساهم في تطوير عمله والارتقاء به وأقدم بشكل دوري تقييمي لعمل المركز كندوات ومؤتمرات يشارك فيها باحثون متخصصون وشخصيات فكرية معروفة تقدم محاضرات في قضايا مختلفة اجتماعية وفلسفية وسياسية ولغوية وإنثروبولوجية وإعلامية. ومؤخرًا أقام المركز مؤتمرين موسعين: الأول عن الرواية الفلسطينية استضاف فيها باحثين معروفين في النقد الروائي من فلسطين ومصر والعراق، والثاني عن أدب الهجرة في العراق وسوريا وفلسطين.

س. ما هي المعوقات والتحديات للنقد العراقي؟

ج. عربيا أجد أن أهم المعوقات صعوبة النشر للبحوث الأكاديمية والترويج للدراسات النقدية فطبيعة بعض المجلات ليست ثقافية بحتة بل هي منوعة أقرب إلى الفنية والاجتماعية منها إلى الثقافة والفكر ولذلك يضطر الناقد مثلا إلى تقليص مادته النقدية إلى ألف وخمسمئة كلمة أو ألفي كلمة كي يتناسب نقده مع مساحة النشر

المتاحة في مثل هذه المجلات أما المجلات النقدية والأدبية المتخصصة فهي قليلة إن لم نقل نادرة وعادة ما تكون فصلية أو نصف سنوية.

أما عراقيا فإن ظاهرة التقشف في النفقات قد انعكست في أعمق صورها على المستوى الثقافي فتقلص حجم المجلات وموادها وقللت صفحاتها وصارت الشهرية منها فصلية والفصلية نصف سنوية. أما الواقع الإبداعي فيظل مستمرا بالعطاء سردا وشعرا مما يقتضي نقدا يواكبه ويؤدي مسؤوليته تجاهه في التشخيص والتوصيف والتدليل على المواهب والإمكانيات لكن التحدي يظل ماديا لا معنويا.

س. هل ترين النقد ممارسة فنية محضة أم أن له دورا اجتماعيا أو ثقافيا أو.....؟

ج. إن لدي قناعة لا تتزحزح مفادها أن النقد عبارة عن فاعلية فكرية بغيتها التغيير المجتمعي والإصلاح الفكري وعدم الاستكانة للواقع مع تلازمية القلق بالدأب وهذا ما يجعل للناقد دورا فاعلا في التوجيه الإنساني وإشاعة الوعي الجمالي. وأن على الناقد أن يطور نفسه باستمرار فلا يرتكن إلى التنظير وحده ولا يهتم بالتطبيق فقط بل عليه أن يوازن وهو ما سيفتح له آفاق الاجتراح ويمكنه من الوقوف على نظريات يبتكرها بنفسه وهو ما حمله كتابي الذي صدر مؤخرًا في الأردن وعنوانه (نحو نظرية عابرة للأجناس الأدبية) ومن المصطلحات التي اجترحتها في كتابي (السرد القابض على التاريخ) مصطلح رواية التاريخ الذي يخالف مصطلح الرواية التاريخية الكلاسيكية التي تتناول التاريخ كما هو بوقائعه ووثائقه. وقد أشاد به كثير من النقاد بالكتاب لعدم اقتصاره على الرواية والسرديات العراقية والعربية بل تجاوزها إلى الرواية الفارسية والتركية والأوروبية فاتحا بذلك أفق النقد العراقي على العالمي.

س. كلمة أخيرة تودين إضافتها؟

ج. أود أن أوجه تحية لكل مخلص في ميدان العلم يسعى إلى تطوير المعرفة بصبر ودأب مشتغلا بتواضع ومضيفا للثقافة تميزا واعتبارا، مؤديا دوره الإنساني والعلمي، وأشيد هنا بدور مركز الدراسات الإفريقية في جامعة جواهر لال نهرو لما يقدمه في سبيل اللغة العربية وتعليمها ونشر آدابها وعلومها من جهود طيبة وحثيثة يستحق عليها الشكر والثناء، راجية له كل التقدم والتوفيق.

AL- JEEL AL- JADEED

International Half-Yearly Refereed Journal
ISSN: 2581-3455
No. 5-2019

Editor in Chief: **Prof**. **Rizwanur Rahman**

Editorial Board:	**Advisory Committee**:
Prof. Mujeebur Rahman Prof. Khaldoun Saeed Sobh Dr. Ubaidur Rahman Dr. Khurshid Imam	Prof. Khaled bin Ibrahim Alnamlah, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, KSA. Prof. Ahmed Ali Ibrahim, University of Fallujah, Iraq. Dr. Noorah Ali Khalil, United Arab Emirates University, Abu Dhabi. Dr. Tarek Ahmed Bakri, Kuwait News Agency, Kuwait. Prof. Ashfaq Ahmad, Banaras Hindu University, Varanasi, India. Prof. Muzaffar Alam, English and Foreign Languages University, Hyderabad, India. Prof. Abdul Majid Qazi, Jamia Millia Islamia, New Delhi, India. Prof. Musheer Husain Siddiqui, University of Lucknow, Lucknow, India. Prof. Masood Alam, KMC Urdu, Arabi~Farsi University, Lucknow, India. Dr. Syed Hasnain Akhtar, University of Delhi, India. Dr. Akhtar Alam, JNU, New Delhi, India. Dr. Saeedur Rahman, Aliah University, Kolkata, West Bengal, India. Md. Mahboob Alam, JNU, New Delhi, India.

Email: aljeelaljadeed2017jnu@gmail.com

Website: www.aljeelaljadeed.in

R.N.I No DELARA/2017/74554

ISSN: 2581-3455
NO.5-2019

AL- JEEL AL- JADEED
(New Generation)

An International Half-Yearly Refereed Journal, Centre of Arabic and African Studies, School of Language, Literature and Culture Studies, Jawaharlal Nehru University, New Delhi.
Issue.No.05 July-December 2019

R.N.I No DELARA/2017/74554

ISSN: 2581-3455

AL- JEEL AL- JADEED

International Half-Yearly Refereed Journal

Vol. No. 3 | Issue. No. 05 | July-December 2019 | New Delhi

Printed and Published by Prof. Rizwanur Rahman. Centre of Arabic and African Studies.
Printed at J K Offset Printers, 315, Gali Garahya, Jama Masjid, Delhi-110006.
Published from Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi-110067.

Editor: Prof. Rizwanur Rahman